الباب الأول

في أدب النديم

وما قيل في حديثه على الشراب القديم

اعلم أن النديم : هو من يجالسك على الشراب ، واشتقاقه إما من النَّدَم ـ بفتحتين ـ بمعنى الأسف ؛ وذلك لأنه يندم على ما فات وما فرط منه في حال سكره ، فهو فعيل بمعنى فاعل ، أي : نادِم ، أو بمعنى الظُّرْف واللطافة ، يقال : رجل نديم ؛ أي : كيس ظريف لطيف .

وإما من الندامة ؛ لأن منادمه يندم على مفارقته ، وجمعه نُدَماء ككريم وكُرَماء ، ويجمع أيضا على نُدْمَان كقضيب وقضبان .

فأما النَّدَامى ـ بالقصر ؛ أي : بألف التأنيث المقصورة ـ فجمع نَدْمان ـ بفتح النون ـ كسكران ، قال في **القاموس**[1] : النديم والنديمة : المنادم على الشراب ، وجمعه نُدْمَان[2] .

والحاصل : أن النديم هو من ينادمك ويحدثك ويطرب سمعك منه على الشراب القديم ، ولما كان النديم محبوبا لكل ذي ذوق سليم وذكاء مستديم خصوصا عند الأمراء والسلاطين والوزراء ـ كان اللازم فيه أن يكون حسن الخلق ، عليَّ الهمة نظيف الثياب ، جميل الشمائل ، غزير الآداب .

وهمم الرجال تختلف باختلاف من يجالسهم باعتبار صفاته ، فمن كان من النُّدَماء وصفه حسن كان مجالسه طبعه كذلك ، ومن كان من الندماء طبعه رديء كان منادمه كذلك ؛ فإن المرء يردي بالقرين إن كان قرينه رديئًا ، وعلى

---

(١) القاموس المحيط (ن دم) .

(٢) كذا ، وفي القاموس : نُدَمَاء .

هذا فلا تناسب معاشرة أهل الطباع الرديئة ؛ لأن ذلك غاية في الخسة ، ولذا قيل[١] : [من الطويل]

إذا كنت في قَوْمٍ فصاحِبْ خِيارَهم ولا تَصْحب الأَرْدى فتردىَ مع الرَّدِي
عَنِ المَرءِ لا تَسأَل وَسَل عَن قَرينَهُ فَكُلُّ قَرينٍ بِالْمُقارِنِ يَقتَدي

والطبع يسري ولو في الأبطال ، كما يدل على ذلك حديث المصطفى المفضال ، وهو قوله ﷺ : « **المرء على دين خليله فانظر لنفسك من تخالل** »[٢] .

فإذا كملت فيه الخصال المنيفة[٣] والصفات الظريفة ، فإنه يكون محبوبا للقلوب ، سهلا على الأرواح محمود الفراغ ، عذب المساغ ، مألوف المجالسة ، ممدوح المجانسة المؤانسة .

وأما إذا كان بخلاف ذلك ؛ بأن كان موصوفا بأوصاف غير منتظمة ، فإنه يكون ثقيلا على القلوب ، بغيضا عند النفوس والأرواح ، تكره كل عين أن تنظر إليه ، ويبغض كل ذي لب أن يجالسه ويعطف عليه .

وقد كان أبو يعلي القرشي[٤] مبغوضا للناظر ، مكروها للمقابل والمعاشر ، تكره العين أن تنظر إليه ، ولا تحب النفس أن تميل لديه ؛ لخسة أوصافه ووفور اعتسافه ، وقد قيل في حقه[٥] : [الخفيف]

---

(١) البيتان لعدي بن زيد العبادي ، اطلبهما في العقد الفريد ٢/ ٣١١ ، ٣٣٠ ، وغرر الخصائص ٢/ ٤٩٥ بتحقيقنا .

(٢) أخرجه أبو داود (٤/ ٢٥٩، رقم ٤٨٣٣) ، والترمذى (٤/ ٥٨٩، رقم ٢٣٧٨) وقال : حسن غريب . وأخرجه أيضًا : عبد بن حميد (ص ٤١٨، رقم ١٤٣١) .

(٣) المنيف : المرتفع العالي . المعجم الوسيط (ن ي ف) .

(٤) هو عبيد الله بن يحيى بن خاقان الوزير الكاتب . يراجع الوزراء والكتاب للجهشياري ، ص ٢٥٤، والوافي بالوفيات ٧/ ١٢٧.

(٥) طبقات الشعراء لابن المعتز ، ص ٢٦٨، ونثر النظم وحل العقد للثعالبي ، ص ٢٢٠، ومثالب=

نعمة الله لا تعاب ولكن ربما استثقلت على أقوام
لا يليق الغنا بوجه أبي يعـ ـلى ولا نور بهجة الإسلام

وحيث إن مجلس الشراب هو موضوع للاستكثار من اللذات، فالأولى به أن يجمع من الندماء من كان موصوفا بالحذق والفطنة والذكاء، وأن يكون النديم عالما بالشعر، والنثر، والآداب المطربة، والفكاهات المستغربة، ومعرفة الأحوال المناسبة للمقام، عارفا بالغناء والطرب، وأن يكون فيه للحديث نوبة وللطرب نوبة، ولذا قال إبراهيم المعمار[1]: لذة العيش في ثلاثة أشياء؛ منادمة الأحباب، ومعاقرة الشراب، ومذاكرة الآداب.

وقد كرهوا الأحاديث الطوال وأحبوا الحكايات القصار، وأمروا بالإيجاز والاقتصار؛ فإنه لا شيء أحلى من الاقتصار إذا كان لا يخل بالمرام مما سيق لأجله الكلام، قال ابن المعتز[2]: [الخفيف]

=الوزيرين لأبي حيان التوحيدي، ص ٣٣٢، والزهرة ٢/ ٢١١.

(١) إبراهيم المعمار (٧٤٩هـ/١٣٤٨م) هو إبراهيم بن علي ابراهيم المعمار غلام النوري المصري. أديب، شاعر، ظريف، عامي. توفي بمصر. له ديوان شعر.

قال الصفدي: إبراهيم الحائك. وقيل: المعمار. وقيل: الحجار غلام النوري المصري عامي مطبوع، تقع له التوريات المليحة المتمكنة المطبوعة الجيدة لا سيما في الأزجال والبلاليق بحيث إنه في ذلك غاية لا تدرك، أما في المقاطيع الشعرية فإنه يقعد به عنها مراعاة الإعراب وتصريف الأفعال ولكنه قليل الخطأ، كتب إلي عند ورودي إلى القاهرة سنة خمس وأربعين وسبع مائة:

وافي صلاح الدين مصرا فيا نعم خليل حلها بالفلاح
فليهنها الإقبال إذ أصبحت بالملك الصالح دار الصلاح

فمن مقاطيعه اللائقة قوله:

وصاحب أنزل بي صفعة فاغتظت إذ ضيع لي حرمتي
وقال: في ظهرك جاءت يدي فقلت: لا والعهد في رقبتي

ترجمته في: الوافي بالوفيات ٢/ ٢٧٩، ومعجم المؤلفين ١/ ٦٠.

(٢) عبد الله بن محمد المعتز بالله بن المتوكل بن المعتصم بن الرشيد العباسي، أبو العباس (٢٤٧ -=

وندامىً في شباب وحسن ... وائتلاف لهم[1] نفوس كرام
بين أقداحهم حديث قصير ... هو سحر وما سواه كلام
وغناء يستعجل الراح بالرا ... ح كما ناح في القصور الحمام
وكأن السقاة بين الندامى ... ألفات بين السطور قيام[2]

ولابد أن يكون النديم على حال بحيث يكتب أحسن ما يسمع، ويحفظ أحسن ما يكتب، ويورد عند الجالسين أحسن ما يحفظ، وألا يتعاطى كلاما أجنبيا عن المقام؛ فإن لكل مقام شيئا من الكلام، ومن ذلك قول أبي نواس[3]: [الكامل]

=٢٩٦هـ=٨٦١ ـ ٩٠٩م): الشاعر المبدع، خليفة يوم وليلة، ولد في بغداد، وأولع بالأدب، فكان يقصد فصحاء الأعراب ويأخذ عنهم، وصنف كتبا، منها: البديع، وأشعار الملوك، وطبقات الشعراء. بويع بالخلافة يوما وليلة، ثم قتل، وذلك أن المقتدر لما بويع بالخلافة استصغره القواد فخلعوه، وبايعوا ابن المعتز بالخلافة، فأقام يوما وليلة، ووثب عليه غلمان المقتدر فخلعوه، وعاد المقتدر، فقبض عليه وسلمه إلى خادم له اسمه مؤنس، فخنقه، وللشعراء فيه مراث كثيرة. انظر: الأعلام ٤/ ١١٨، الأغاني طبعة دار الكتب ١٠/ ٣٧٤، ومعاهد التنصيص ٢/ ٣٨، وابن خلكان ١/ ٢٥٨، وتاريخ بغداد ١٠/ ٩٥، وأشعار أولاد الخلفاء ١٠٧ ـ ٢٩٦.

(١) في الديوان: «أتلفت ما لهم».

(٢) ديوانه، ص ٢١٤، وقطب السرور في وصاف الخمور، ص ٣٠٥.

(٣) الحسن بن هانئ بن عبد الأول بن صباح الحكمي بالولاء (١٤٦ ـ ١٩٨ هـ): شاعر العراق في عصره. ولد في الأهواز من بلاد خوزستان ونشأ بالبصرة، ورحل إلى بغداد فاتصل فيها بالخلفاء من بني العباس، ومدح بعضهم، وخرج إلى دمشق، ومنها إلى مصر، فمدح أميرها، وعاد إلى بغداد فأقام بها إلى أن توفي فيها، كان جده مولى للجراح بن عبد الله الحكمي أمير خراسان، فنسب إليه، وفي تاريخ ابن عساكر أن أباه من أهل دمشق، وفي تاريخ بغداد أنه من طيئ من بني سعد العشيرة، وهو أول من نهج للشعر طريقته الحضرية وأخرجه من اللهجة البدوية، وقد نظم في جميع أنواع الشعر، وأجود شعره خمرياته.

وإذا جلست إلى المدام وشربها فاجعل حديثك كله في الكاس[١]

وقد ضمنه ابن أبي حجلة[٢] ، فقال[٣] : [الكامل]

يا صاح قد حضر المدام ومنيتي وحظيت بعد الهجر بالإيناسِ
وكسا العذار[٤] الخد نبتًا فاسقني واجعل حديثك كله في الكاسِ

ومن آداب النديم أيضا : ألا يتحدث بشيء كان في مجلسه ولا بكلام حصل في ليلته الفائتة وما قبلها من الليالي ، ولا يتفوه به ؛ فإن ذلك يُذهب الكمال ، ويخل بالمروءة ، ويؤدي إلى الوبال .

---

(١) ديوانه بلفظ :

فإذا خلوت بشربها في مجلس فاكفف لسانك عن عيوب الناس
في الكأس مشغلة وفي لذاتها فاجعل حديثك كله في الكاس

وجاء بهذا اللفظ في تحرير التحبير ، ومعاهد التنصيص .

(٢) ابن أبي حجلة (٧٢٥ ـ ٧٧٦هـ/١٣٢٥ ـ ١٣٧٥م) هو: أحمد بن يحيى بن أبي بكر التلمساني ، أبو العباس ، شهاب الدين ، ابن أبي حجلة : عالم بالأدب ، شاعر ، من أهل تلمسان . سكن دمشق ، وولي مشيخة الصوفية بصهريج منجك (بظاهر القاهرة) ومات فيها بالطاعون . كان حنفيا يميل إلى مذهب الحنابلة ويكثر من الحط على أهل (الوحدة) وخصوصا ابن الفارض ، وامتحن بسببه . له أكثر من ثمانين مصنفا ، منها (مقامات) وكتاب (ديوان الصبابة) و(منطق الطير) و(السجع الجليل فيما جرى في النيل) و(سكردان السلطان) و (الطارئ على السكردان ـ خ) و (ديوان شعر ـ خ) و (الادب الغض) و (حاطب ليل) عدة مجلدات ، و (غرائب العجائب وعجائب الغرائب) و (جوار الاخيار في دار القرار) وهو في مناقب (عقبة بن عامر) صنفه ابن أبي حجلة لأنه دفن أحد أولاده في جواره .

ترجمته في : الدرر الكامنة ١/ ٣٢٩، وتعريف الخلف ٢/ ٤٢، وآداب اللغة ١٢٣/٣ وفهرس دار الكتب ١٠٥/٣ و ١٣٥، والأعلام للزركلي ١/ ٢٦٩، ومعجم المؤلفين ٢/ ٢٠١.

(٣) المستطرف في فن مستظرف ١/ ١٩٥.

(٤) عذار الغلام جانب لحيته . الوسيط (ع ذ ر) .

وقد قال بعضهم في هذا المعنى والمقصد الذي بهذا الشعر يعنى[١] [البسيط] :

لا يكتم السر إلا كل ذي ثقة فذاك عند خيار الناس مكتوم
والسر عنديَ في بيت له غلق ضاعت مفاتيحه والباب مختوم

ومن الآداب أيضا :

* أنه يكون أطوع للجماعة ـ أي إخوانه ـ من عبدهم .

* وأتبع لهم من ظلهم .

* موافقا لهم في كل أمر يأمرونه به .

* ولا يتأخر في أي شيء كان مما يلزم لإخوانه وخلانه مما لا يخل بالمروءة .

ولقد قال الشاعر[٢] [الوافر] :

تعلم من موافقة النديم مطاوعة الأراكة للنسيم
وعاشره بأخلاق فإني وحقك عبد رِقٍّ للنديم

ومن الآداب للنديم أيضا :

* أن يشم القدح ـ أعني الكأس ـ عند تناوله بلطف ويعطيه لصاحبه بظرف مع المحادثة عليه قليلا .

* وأن يصغي للمغني قبل انقطاع صوته ، هذا والقدح محمول بين أنامله لا يضعه على أي محل ؛ إذ ليس لوضعه فائدة حيث أخذه بيده ، فربما وضعه

---

(١) يروى لعلي بن أبي طالب في ديوانه ، ونسبه في روضة العقلاء ٣٣٩ للحسين بن عبيد الله ، وروايتهما في ديوان علي بن أبي طالب :

لا تُوَدِعِ السِرَّ إلاّ عِندَ ذي كَرَمٍ وَالسَرُّ عِندَ كِرامِ الناسِ مُكتومُ
وَالسِرُّ عِندي في بَيتٍ لَهُ غَلَقٌ قَد ضاعَ مَفتاحُهُ وَالبَيتُ مَختومُ

(٢) لم أعثر عليهما .

فينصب ويفسد ما تحته من الفراش والبساط، فإذا أخذ الندماء حظهم من الشراب وانتهى أمرهم إلى الكفاية، فينبغي ألا يزاد عليه ولا يخلف بعده بشراب آخر؛ لأن ذلك ربما جر إلى فساد الأول، فينكدر المجلس مع أن القصد منه الانبساط وترويح البال وانشراح البلبال[١]، فلا تتوهم أن هذا يزيد سرورا، أو يجر حبورا[٢]، أو يذهب أتراحا[٣]، أو يجلب فرحا وانشراحا، فربما كان ضره أكثر من نفعه كما قال أبو نواس في هذا المعنى[٤] [الوافر]:

ولست بقائل لنديم أنس[٥] وقد أخذ الشراب[٦] بمقلتيه
تناولها وإلا لم أذقها فيأخذها وإن صعبت[٧] عليه
وإن طلب الوسادة روم نوم مددت وسادة مني إليه[٨]

* * *

(١) البلبال: شدة الهم و الوسواس. والجمع بلابل و بلابيل. المعجم الوسيط (بلبل).
(٢) الحبور: السرور. لسان العرب (ح ب ر).
(٣) الترح: الحزن. انظر: لسان العرب (ت ر ح)، المعجم الوسيط (ت ر ح).
(٤) ديوانه، ص ٣٢٤، ومحاضرات الأدباء ١/ ٣١٦، والتذكرة الفخرية، ص ٧٦، وحماسة الظرفاء، ص ١٩.
(٥) في الديوان: «صدق».
(٦) في الديوان: «النعاس».
(٧) في الديوان: «وقد ثقات».
(٨) لم يرد هذا البيت في الديوان.

خاتمة الباب
وتحفة لذوي الآداب

اعلم أيها الواقف على كتابنا هذا، أن آداب المنادمة تختلف باختلاف من يجالسه النديم؛ فإن كان مثله أو قريبا منه لزم عند ذلك اطِّراح التكليف وترك ما يؤدي إلى الحصر والضيق، قال ابن المعتز: الحق في المنادمة ترك التحفظ ـ يعني بين الأقران ـ كما قيل: من الآداب ترك الآداب عند من لا يحتشم ولا يهاب.

ولكنه مع قلة الخلاف والمعاملة بالإنصاف، ومع المسامحة بالشراب ـ أي عنده ـ والتغافل عن الجواب، واستدامة الرضا، واطراح ما مضى، واستعمال ما حضر، وإحضار الذي تيسر، وعدم الهرج[1] والصياح عند الطرب، وترك الافتخار بالنسب والحسب.

وإن كان المُجالس من أكابر الناس ـ كالملوك والوزراء وأرباب المناصب العالية ـ فآداب مجالستهم صعبة، وهي مصورة بأن يجلس النديم:

* بحسن أدب وسكون جأش[2] من غير اتكاء ولا استناد إلى جدار ولا مخدة، ولا إلى ظهر كرسي.

* وألا يعبث بلحيته إن كان ذا لحية، ولا بثيابه.

* وألا يظهر شيئا من قدميه، ولا يشتغل بما لا يناسب؛ من تشبيك اليدين أو فرقعة الأصابع، ولا بإدارة الخاتم.

* وأن ينهض لنهوض أمير المجلس ويجلس لجلوسه ويدنو منه إن استدعاه للقرب.

* ولا يستعيد منه الكلام.

* وإذا سأله نهض قائما على قدميه وأجابه بأحسن عبارة وألطف إشارة، ثم

---

(١) الهرج: الاضطراب بالقول الباطل. الوسيط (هـ ر ج).

(٢) الجأش: النفس أو القلب. ويقال: هو رابط الجأش: ثابت عند الشدائد. الوسيط (ج أ ش).

لا يجلس حتى يأذن له في الجلوس.

* وألا يكون من شأنه التهنئة ولا التعزية، ولا التشميت عند العطاس، ولا الإسراع بالتحية، ولا العبث بالفاكهة والرياحين والأزهار، ولا التناول للمشمومات، ولا التنقل على الشراب. لكن المذموم الإكثار من ذلك.

* وألا يعض بأسنانه على الفاكهة، بل يقطع حاجته منها بالسكين.

* ولا يكثر من شم الرياحين.

* ولا يستحث أحدًا على الشراب، ولا يحبس الكأس في يده.

* ولا يقترح صوتا على مغنٍّ.

* ولا يستعمل من الشراب لنفسه ما لا يطيق، بل يقتصر على ما يعلم أنه يقوم به، وإذا أحس من نفسه بالسُّكر أسرع إلى القيام وهو يملك نفسه، فربما زلق لسانه وذهب عقله من كثرة الشراب فيتكلم بما لا يليق ويخاطب بما لا ينبغي؛ فإن ذلك عيب كبير وربما كان سببا لهلاكه.

ومما يحتاج إليه النديم:

أن يجمع عقله مع قوة الخاطر ليفهم بذلك ضمير من ينادمه من الأمراء على حسب ما يعرفه من خلائقه ـ أي خصاله وسجاياه ـ ويعلمه من معاني ألفاظه ومن رموزه وإشاراته ـ هذا إن كان من الخلفاء أو الأمراء والوزراء ـ وإلا لم يستعمل هذه الآداب، بل يجري مع ندمائه مجرى الأكفاء والأقران.

وحيث إن النديم قد استكمل بمحاسن هذه الصفات، واتصف بما تقدم ذكره من تلك الفكاهات، وحاز هذه الأوصاف السنية، ونال بها المرتبة العلية ـ كان مرغوبا عند الملوك والأمراء محبوبا عند السلاطين والوزراء؛ لما له من اللطائف والتحف والظرائف، أحببنا أن نمدحه بخصاله، وأن نثني عليه بذكر شيء من محاسن أفعاله فلذلك قلنا:

obeikandl.com

الباب الثاني

في مدح ساقي كئوس الراح

الجالب لعامة الأحباب محاسن الأفراح

اعلم أنهم قد ذكروا للساقي آدابا كثيرة ومحاسن وصفات غزيرة:

فمنها:

أن يبدأ أولا بنفسه عملا بقول النبي ﷺ: «**ساقي القوم أولهم شربا**»[(١)].

وفي هذا دفع للريبة حتى لا يتوهم أحد من الندماء أن في الشراب سمًّا أو غشًا مثلا، فيكون كلٌّ مطمئنَ الخاطر من ذلك.

ومنها:

أن يدير الكأس على اليمين لا على الشمال، قال عمرو بن كلثوم[(٢)] في

---

(١) الحديث روايته: «ساقي القوم آخرهم شربا». أخرجه الترمذي (٤/ ٣٠٧، رقم ١٨٩٤) وقال: حسن صحيح. وابن ماجه (٢/ ١١٣٥، رقم ٣٤٣٤). وأخرجه أيضًا: ابن أبي شيبة (٥/ ١١١، رقم ٢٤٢٢٧)، والدارمي (٢/ ١٦٤، رقم ٢١٣٥)، والطبراني في الأوسط (٢/ ٤٠، رقم ١١٧٤).

(٢) عمرو بن كلثوم بن مالك بن عتّاب، أبو الأسود، من بني تغلب. شاعر جاهلي، من الطبقة الأولى، ولد في شمالي جزيرة العرب في بلاد ربيعة وتجوّل فيها وفي الشام والعراق ونجد، وكان من أعز الناس نفسًا، وهو من الفتاك الشجعان، ساد قومه (تغلب) وهو فتىً وعمّر طويلًا وهو الذي قتل الملك عمرو بن هند.

أشهر شعره معلقته التي مطلعها: (ألا هبي بصحنك فاصبحينا .....)، ويقال: إنها في نحو ألف بيت وإنما بقي منها ما حفظه الرواة، وفيها من الفخر والحماسة العجب، مات في الجزيرة الفراتية. انظر: ترجمته في الأعلام ٥/ ٨٤، خزانة الأدب للبغدادي ٢/ ٣٣٣ - ٣٣٦، والمرزباني ص ٢١٤.

معلقته[١] : [الوافر]

صبنت[٢] الكأس عنا أم عمرو وكان الكأس مجراها اليمينا

فإن أمر رب المجلس بإدارتها على اليسار امتثل أمره ؛ لأنه لو خالف لما صلح أن يكون ساقيا ؛ لأن من أعظم آدابها عدم المخالفة ؛ ولذا قال بعضهم[٣] : [الكامل]

أدر الكئوس على اليسار[٤] ولا تخف عتبا وكن في مزجهن أمينا
فالشمس تجرى[٥] في الحقيقة يسرة ويديرها الفلك المحيط يمينا

ومنها :

أن يستأذن الندمان في المزج وعدمه ، وهو ـ أى المزج ـ : عبارة عن خلطها بقليل من الماء ، أو خلط بعض شراب سكري بها ، أو خلط جنس من الشراب بآخر منه ، أو أي نوع من هذا القبيل ، فإن أذنوا له فذاك ، وإلا لم يمزج . ومحل طلب الاستئذان منهم إذا لم يكن خبيرا بحالهم ، فإن كان خبيرا بأحوالهم عامل كلًّا منهم بما يوافق طبعه ، والذي أراه أن الاستئذان مطلقا أتم وأحسن ؛ لأنه وإن

---

(١) انظر : ديوانه ، ص ١١٧، والمعلقات السبع ، ص ٥٢٨، والأغاني ٤/ ٢٢٨، ونهاية الأرب ١٢/ ٣٦٦، وخزانة الأدب ٨/ ٣٦٨، وجمهرة أشعار العرب ٢/ ٤١. وجاء في فصل المقال في شرح كتاب الأمثال للبكري : ذكر العلماء أن هذا البيت لعمرو بن جذيمة ذي الطوق هذا ، فنقله عمرو بن كلثوم التغلبي في قصيدته التي أولها :

ألا هبي بصحنك فاصبحينا ... ...

وكان بينهما دهر طويل .

(٢) في بعض المصادر : « صددت » ، وبعضها : « تصد » ، وصبنت : صرفت . لسان العرب (ص ب ن) .

(٣) البيتان لصفي الدين الحلي في ديوانه ، ص ٣٥٨.

(٤) في الديوان : « الشمال » .

(٥) في الديوان : « تسري » .

كان خبيرا بأحوالهم لكن ربما تتغير الطباع وتنقلب الأوضاع ، فيدعو الحال لغير ما يعلم من حال من ينادمه ، وهذا أدب بيِّن لا محيد عنه ؛ فمِن الندماء مَن لا يختار إلا الصِّرف[١] ، كما قال بعضهم[٢] : [مجزوء المتقارب]

نديميَ لا تسقني سوى الصرف فهو الهني
ودع كأسها أطلسا ولا تسقني مع دني

وقال الفخر بن مكانس[٣] [السريع] :

من شرطنا إن أسكرتنا الطلا[٤] صرفا تداوينا بشرب اللمى[٥]
نعاف مزج الراح في كأسنا لا آخذ الله الندامى بما

ومنهم من لا يختارها إلا ممزوجة بماء ولو قليلا .

قال الشهاب الإسكندري : [الخفيف]

قلل الماء ما استطعت لأني أمزج الراح بالدموع ورودا

---

(١) صرف الشراب : قدمه صرفا لم يمزجه بغيره . الوسيط (ص ر ف) .

(٢) البيتان لعلي بن المظفر الكندي في الدرر الكامنة ١/ ٣٨٦، ولمجد الدين بن تميم في المستطرف في كل فن مستظرف ص ٤٢٥.

(٣) ابن مكانس (٧٤٥ ـ ٧٩٤هـ/١٣٤٥ ـ ١٣٩٢م) هو : عبد الرحمن بن عبد الرزاق بن إبراهيم ، أبو الفرج ، فخر الدين ، المعروف بابن مكانس : وزير ، شاعر ، مصري . حنفي المذهب . أصله من القبط . ولد بالقاهرة ، وولي نظارة الدولة بمصر ، ثم تولى في آخر عمره وزارة دمشق ، وعزله السلطان الظاهر برقوق واستدعاه منها ، فتوفي قبيل وصوله إلى القاهرة ودفن بها . له (ديوان إنشاء ـ خ) جمعه ابنه مجد الدين ، و (ديوان شعر ـ خ) و(اللطائم والأشناف ـ خ) في دار الكتب ، أرجوزة على نسق الصادح والباغم .

ترجمته في : الدرر الكامنة ٢/ ٣٣٠، وابن الفرات ٩/ ٣٢٢، وآداب اللغة ٣/ ١٢٤، والأعلام للزركلي ٣/ ٣١٠، ومعجم المؤلفين لكحالة ٥/ ١٤٣.

(٤) الطلا : الخمر . لسان العرب (ط ل و) .

(٥) اللمى : سمرة الشفتين . لسان العرب (ل م ي) .

وأدرها فالوقت راق ولكن لو أمنا من الحبيب صدودا

(وقال) الشهاب الحجازي[1]، وأجاد في قوله: [السريع]

يا أيها الساقي البديع الصفات املأ وحيِّ القوم واشرب وهات
وضم قطر النبت وامزج به كأسي فما أطيب قطر النبات

وقال ابن النبيه[2]: [الطويل]

جلوها على الندمان فاحمرَّ لونها لخلجلتها عند البروز من الخدر
وصبوا عليها الماء فاصفر لونها ويحسن عند الملتقى وجل البكر

وقال ابن الحنديس: [الخفيف]

عاطنيها من عهد كسرى سلافا وُقِّدَتْ في الكئوس كالنيران
بابن ماء السماء إذ زوجوها أذكرتنا شقائق النعمان

---

(١) الشهاب الحجازي (٧٩٠ ـ ٨٧٥هـ/١٣٨٨ ـ ١٤٧١م) هو: أحمد بن محمد بن علي الأنصاري الخزرجي، شهاب الدين المعروف بالحجازي: من شيوخ الأدب في مصر. مولده ومنشؤه ووفاته في القاهرة. نظم الشعر، وعني بالموسيقى، وقرأ الحديث والفقه واللغة، وتصدر للتدريس. من كتبه (قلائد النحور من جواهر البحور) رسالة في ما وقع في القرآن الكريم على أوزان البحور العروضية، و(جنة الولدان) و (الكنس الجواري) رسالتان طبعتا مع الاولى، و(شرح المقامات الحريرية) و (تخميس البردة) و (ديوان شعره ـ خ) و (روض الآداب) و (نيل الرائد ـ خ) في زيادات النيل، و(التذكرة) نحو ٧٠ جزءا، و (حبيب الحبيب ونديم الكئيب) أدب و (شرح المعلقات) و(روض الآداب).

ترجمته في: نظم العقيان، ص ٦٣، وبدائع الزهور ٢/ ١٢٥، وآداب اللغة ٣/ ١٢٦، والضوء اللامع ٢/ ١٤٧، ومعجم المطبوعات ١١٥١، والأعلام للزركلي ١/ ٢٣٠، ومعجم المؤلفين لكحالة ٢/ ١٢٩.

(٢) علي بن محمد بن الحسن بن يوسف، أبو الحسن، كمال الدين ابن النبيه: شاعر، منشئ، من أهل مصر، مدح الأيوبيين، وتولى ديوان الإنشاء للملك الأشرف موسى، ورحل إلى نصيبين، فسكنها وتوفي بها سنة (٦١٩ هـ = ١٢٢٢م)، له ديوان شعر صغير، انتقاه من مجموع شعره. انظر: الأعلام ٤/ ٣٣١، فوات الوفيات ٢/ ٧١.

ومنهم من تستوي عنده الصرف والممزوجة.

ولذا قال أبو نواس في مجونه حين فاض عليه الحال من شجونه: [السريع][1]

ما استكمل اللذات إلا فتى ... يشرب والغيد[2] نداماه
هذا يغنيه[3] وهذا إذا ... ناوله الخمرة[4] حياه
وكلما احتاج[5] إلى قبلة ... من واحد ألثمه فاه
سقيا لدهر كنت فيه لهم ... منادما[6] ما كان أهناه[7]
نشربها صرفا وممزوجة[8] ... وشرطنا من نام نكناه[9]

وقال الكمال بن النبيه[10]: [الكامل]

اشرب ثلاثا يا نديمي واسقني[11] ... وَاطْرَبْ لِعُجْمَةِ نُطْقِهِ وَبَيانِي[12]
كأسا إذا صافحتها أثرت يدي ... من فضة ملئت من المرجان[13]

(١) انظر: ديوانه، ٣٦٧.
(٢) في الديوان: «والمرد».
(٣) في الديوان: «يفديه».
(٤) في الديوان: «القهوة».
(٥) في الديوان: «اشتاق».
(٦) في الديوان: «معاشرا».
(٧) في الديوان: «أحلاه».
(٨) في الديوان: «ولم نقترع».
(٩) في الديوان: «نلناه».
(١٠) انظر: ديوانه، ١٨٧.
(١١) في الديوان: «وسقني».
(١٢) في الأصل: واطرب لنقطة عجمة وبيان. والمثبت من الديوان وهو المناسب للمعنى.
(١٣) في الديوان: «العقيان».

حمراء رصعها الحباب بجوهر كالزهر في مرج من العقيان[١]
والله لو عقل المجوس لكاسها جعلوه بيت عبادة النيران

وقال الشاب الظريف[٢] : [الوافر]

وساقٍ كالهلال سعى بكاس وباقة نرجس فسقى وحيا
فهل أبصرت في الآفاق بدرا سقى شمسا وحيا بالثريا

وقال ابن النفيس[٣] : [الطويل]

سقاني وحياني بفيه وخده ولم ير ساق قصده مثل قصده
فأسكرني من خمر ريقة ثغره وأنعشني من نشر طيب وردِّه

وقال أبو الوليد المكي[٤] : [الخفيف]

---

(١) في الديوان : « المرجان » .

(٢) هو محمد بن سليمان بن علي بن عبد الله التلمساني ، شمس الدين ، المعروف بالشاب الظريف ، ويقال له ابن العفيف (٦٦١ ـ ٦٨٨هـ) : شاعر مترقق ، مقبول الشعر ، وهو ابن عفيف الدين التلمساني الشاعر أيضا ، ولد بالقاهرة ، لما كان أبوه صوفيا فيها بخانقاه سعيد السعداء ، وولي عمالة الخزانة بدمشق ، وتوفي بها . انظر : ترجمته في الأعلام ٦/ ١٥٠ ، فوات الوفيات ٢/ ٢١١ ، وآداب اللغة ٣/ ١٩١ ، والنجوم الزاهرة ٧/ ٣٨١ ، والوافي بالوفيات ٣/ ١٢٩ .

(٣) علي بن أبي الحزم القرشي ، علاء الدين الملقب بابن النفيس : أعلم أهل عصره بالطب ، أصله من بلدة قَرْش (بفتح القاف وسكون الراء ، في ما وراء النهر) ومولده في دمشق ، ووفاته بمصر ، له كتب كثيرة ، منها : (الموجز) في الطب ، اختصر به قانون ابن سينا ، و(فاضل بن ناطق) على نمط (حي بن يقظان) لابن الطفيل ، وغيرهما . وكانت طريقته في التأليف أن يكتب من حفظه وتجاربه ومشاهداته ومستنبطاته ، وقل أن يراجع أو ينقل ، وخلف مالا كثيرا ، ووقف كتبه وأملاكه على البيمارستان المنصوري بالقاهرة ، ومات سنة (٦٨٧هـ) وهو في نحو الثمانين من عمره . انظر ترجمته في الأعلام ٤/ ٢٧١ ، طبقات السبكي ٥/ ١٢٩ ، ودول الإسلام للذهبي ٢/ ١٤٣ ، وكشف الظنون ١٠٢٤ ، والنجوم الزاهرة ٧/ ٣٧٧ .

(٤) كذا في الأصل ، وهو : هشام بن أحمد بن هشام الكناني أبو الوليد ، المعروف بالوقشي =

عجبا للمدام كيف[١] استعارت من سجايا مديرها وصفاته
طيب أنفاسه وطعم لماه ثم سكر المدام[٢] من لحظاته[٣]

وقال [محيي][٤] الدين[٥] بن عبد الظاهر[٦] : [البسيط]

يا ساقيَ الراح بل يا ساقيَ الفرح ويا نديميَ بل يا كل مقترحي
لا تخش في ليل لهوٍ من تقاصره أما تراني شربت الصبح في القدح

وقال سيف الدين بن المشد[٧] : [الكامل]

= (٤٠٨-٤٨٩هـ) : كاتب ، قاض ، مهندس ، أديب ، له شعر جيد ، من أهل طليطلة ، للمؤرخين ثناء عليه ، ولد في وقش ، وولي قضاء ألبيرة (من أعمال طليطلة) وصنف نكت الكامل للمبرد والمنتخب من غريب كلام العرب . وكان شاعراً بليغاً ، حافظاً للسُّنَن وأسماء الرجال ، بصيراً بالاعتقادات وأصول الفقه ، واقفاً على كثير من فتاوي فقهاء الأمصار ، نافذاً في علوم الشروط والفرائض ، محقّقا في الحساب والهندسة ، مُشرِفاً على آراء الحكماء حَسَنَ النَّقد للمذهب .

ترجمته : الوافي بالوفيات ٧/ ٤١٣، والأعلام ٨/ ٨٤.

(١) في مصادر التخريج : « ماذا » .

(٢) في مصادر التخريج : « العقول » .

(٣) البيتان في الوافي بالوفيات ٧/ ٤١٣، ونفح الطيب ٤/ ١٣٧، وخريدة القصر ٣/ ٢٦.

(٤) في الأصل : « مجير » ، وهو خطأ صوابه ما أثبتناه ، وسيأتي ذكره على الصواب .

(٥) ابن عبد الظاهر (٧١٧هـ/١٣١٧م) علي بن محمد ابن عبد الظاهر ، علاء الدين السعدي : فاضل ، من القضاة له "مراتع الغزلان" و"مفاخرة السيف والرمح" و"تشريف الأيام والعصور" في سيرة الملك المنصور قلاوون . وقال ابن تغري بردي : كان ابن عبد الظاهر صديقا للأمير أرسلان الناصري ، فمرضا في وقت واحد ، بعلة واحدة ، وماتا في شهر واحد ، وفي أرسلان هذا ، عمل كتابه" مراتع الغزلان .

ترجمته في الأعلام ٤/ ٣٣٤.

(٦) البيتان في ديوان ابن رشيق القيرواني ، ص ٢٥٤.

(٧) علي بن عمر بن قزل التركماني الياروقي المصري ، سيف الدين ، المشدّ : شاعر من أمراء التركمان ، كان (مشدّ الديوان) بدمشق ، ولد بمصر سنة ٦٠٢ هـ ، وتقلب في دواوين =

وسعى بها من وجنتيه وطرفه ... وردى كما شهد الجمال ونرجسي
ساق تهاداه الندامي بينهم ... فكأنه ريحانة في المجلس[١]

وقال آخر وأجاد[٢] : [الطويل]

يقولون تب والكأس في يد أغيد[٣] ... وصوت المثاني والمثالث عالِ
فقلت لهم لو كنت أضمرت توبة ... وعاينت هذا في المنام بدا لي

وقال غيره[٤] : [الوافر]

أدرها بالصغير وبالكبير ... وخذها من يد القمر المنير
ولا تشرب بلا طرب فإني ... رأيت الخيل تشرب بالصفير

وقال ابن عطية[٥][الطويل]

ومعشوق الشمائل قام يسعى ... وفي يده مدام كالحريق
فناولني عقيقا ضمن در ... ونقلني بثغر كالعقيق

وقال الخالدي[٦] : [الخفيف]

= الإنشاء، وتوفي بدمشق سنة ٦٥٦ هـ. انظر: الأعلام ٤/ ٣١٥، فوات الوفيات ٢/ ٦٣، والنجوم الزاهرة ٧/ ٦٤، والبداية والنهاية ١٣/ ١٩٧، وآداب اللغة ٣/ ١٨.

(١) ديوانه ١٦٧.

(٢) البيتان لكشاجم في ديوانه ١٠٩، والديارات ص ٦٣، وزهر الآداب ص ٢٥٢، وجمع الجواهر ص ٥١، ومحاضرات الأدباء ١/ ٣٠٩، ووردا في ديوان ديك الجن، ص ٣٠٥.

(٣) غيد غيدا: تمايل وتثنى في لين ونعومة فهو أغيد وهي غيداء، والجمع: غيد. الوسيط (غ ي د).

(٤) البيت الثاني ورد في خريدة القصر ٢/ ٣٥٤ لتميم بن المعز .، وورد أيضا في ديوان أبي نواس، ص ٢٠٩.

(٥) ورد البيتان في ديوان المطوعي، ص . ٩٥، وهما له في يتيمة الدهر ٣/ ١٥٧.

(٦) سعيد بن هاشم بن وعلة بن عرام بن عبد القيس أبو عثمان الخالدي المتوفي سنة ٣٧١ هـ: شاعر، أديب، اشتهر هو وأخوه محمد، بالخالديين، وكانا آية في الحفظ والبديهة، يتهمهما شعراء عصرهما بسرقة شعرهم، قال ابن النديم: كانا إذا استحسنا شيئًا غصباه صاحبه، حيًّا أو ميتًا، ليس عجزًا منهما عن قول الشعر ولكن كذا كانت طباعهما. وهما من أهل الخالدية =

هتف الصبح بالدجى فاسقينها خمرة تترك الحليم سفيها
لست تدري من رقة وصفاء هي في كاسها أم الكأس فيها[1]

وقال مجير الدين بن تميم[2] : [الرمل]

هاتها نضحك من غير عجب لامني العاذل فيها أو عتب
كسحيق المسك في لطف الهرا في مذاق البحر في لون الذهب

وقال غيره أيضا وأجاد[3] : [الطويل]

لقد كان لي وحدي وخداه روضتي وعشنا زمانا فيه تصفو مشاربه
فعارضني في ورد خديه عارض وزاحمني في شربي الريق شاربه

وما أحلى قول من قال[4] : [البسيط]

بدا ليكشف عن ساق ويعرضها على المحبين كيما يفهم الباقي
وركب الكأس فوق الساق يحجبها ما حير الناس غير الكأس والساقي

= قرب الموصل، ونسبتهما إليها، وقيل نسبتهما إلى جدهما واسمه خالد بن منبّه، أو ابن عبد القيس، أو ابن عبد عنبة، وعرّفهما الزبيدي في التاج: بالموصليين، وقال ياقوت في معجم الأدباء: كانا أديبي البصرة، وشاعريها في وقتهما. الأعلام ٣/ ١٠٣، وفوات الوفيات ١/ ١٧٠، ومعجم الأدباء لياقوت ١١/ ٢٠٨، فهرست ابن النديم ص ٢٤٠ وتاج العروس (خ ل د)، واليتيمة ١/ ٤٧١.

(١) انظر: ديوانه ٢١١، والوافي بالوفيات ٥/ ٨٤، فوات الوفيات ٢/ ٥٤، ومعجم الأدباء ١/ ٤٧٩، والتذكرة الحمدونية ٣/ ٥٨.

(٢) الأديب البارع مجير الدين أبو عبد الله محمد بن يعقوب بن علي المعروف بابن تميم الشاعر المشهور (ت ٦٨٤هـ)، وهو سبط ابن تميم، كان أصله دمشقيا وانتقل إلى حماة وخدم صاحبها الملك المنصور جنديا، وكان له به اختصاص، وكان فاضلا شجاعا عاقلا، وكان من الشعراء المعدودين. انظر: النجوم الزاهرة ٢/ ٣٦٦.

(٣) لم أعثر عليه.

(٤) لم أعثر عليه.

وقال ابن وكيع[1] : [مخلع البسيط]

يـديـر فـي كـفـه مـداما ألـذ مـن غـفـلـة الـرقـيـب
كـأنـهـا إذ صـفـت وراقـت شكـوى محـب إلى حـبـيـب[2]

* * *

(١) هو: الحسن بن علي الضبي التنيسي أبو محمد، المعروف بابن وكيع: شاعر مجيد. أصله من بغداد، ومولده ووفاته في تنيس (بمصر) له ديوان شعر، وكتاب (المصنف) في سرقات المتنبي. وكانت في لسانه عجمة.
ترجمته في وفيات الأعيان ١٣٧/١ ويتيمة الدهر ١/ ٢٨١، وسير أعلام النبلاء ١٧/ ٦٤، والأعلام ٢/ ٢٠١.

(٢) ورد البيتان في يتيمة الدهر ١٤٤/٢ لمنصور بن كيغلغ، ووردا غير منسوبين ثمار القلوب، ص ٢٥٤، ونصرة الثائر على المثل السائر للصفدي، ص ٣٤٣.

obeikandl.com

خاتمة الباب
وتحفة لذوي الآداب

أقول : اعلم أن بين الساقي والنديم عموما وخصوصا وجهيا ؛ فيجتمعان في شاب ظريف أحرز الفضيلتين وجمع هاتين الصفتين الجميلتين ـ أعنى السقي والمنادمة ـ ينفث السحر الحلال لفظه ، ويفعل ما تفعله الخمر بالعقول لحظه ، إن نطق فإنما يتكلم بأفصح عبارة ، وإن أشار فيكون بألطف إشارة بحيث تستحلى نوادره ولا تخشى بوادره . فهذا يقال له ساق من حيث مناولته الكأس ، ويقال له نديم من حيث ما فيه من الرقة واللطافة والمجانسة لأجل الإيناس .

وينفرد النديم فيمن كان من الشيوخ الكبار أصحاب العظمة والاعتبار ، وله النوادر الرائقة والحكايات البديعة الفائقة . فهذا إن كان لزند السرور قد قدح[1] لا يليق به أن يطوف بكأس ولا قدح[2] ، فهذا يمسي نديما فقط ، وكذا كل من كان على هذا النمط .

وينفرد الساقي فيمن كان من الغلمان الصغار الذين تخجل البدور منهم وتغار ، وتغيب خجلا من ضوئهم الشمس في رابعة النهار ، والضياء من وجوههم في استكثار وانتشار ، بحيث يكون مقتدرا على إدارة كئوس الشراب القديم دون حديث ، يأتي به النديم فهذا يسمى ساقيا فقط ، وعلى كل حال فينبغي أن يكون بديع الجمال ، معشوق الدلال ، محبوب الوصال ، مأنوس الخصال لو سعى بكأسه يميس[3] ، ويميل فهو على الوصف كما قيل : [البسيط]

---

(١) قدح الزند : ضربه بحجره ليخرج النار منه . المعجم الوسيط (ق د ح) .

(٢) القدح : إناء يشرب به الماء أو النبيذ . المعجم الوسيط (ق د ح) .

(٣) ماس : تبختر واختال . المعجم الوسيط (م ي س) .

إذا النسيم دنت يوما برقتها في مجلس ضحكت منها شمائله

ومن ذلك ما حكاه حماد بن إسحاق الموصلي[١]، قال[٢]: كان أبي يوما عند إسحاق الظاهري وقد اصطبح ـ والاصطباح هو شرب الخمر عند الصباح؛ ولذا كان من أسمائها الصَّبُوح على ما يأتي في باب أسمائها ـ فجعل الغلمان الحسان يطوفون عليه بالأقداح، ثم جاء غلام قبيح المنظر إلى أبي بقدح فلم يأخذه منه، فقال له إسحاق: لم لا تشرب يا أبا حماد؟

فأنشد أبي يقول على البديهة[٣]: [البسيط]

أَصْبِحْ نديمك أقداحا تواصلها[٤] من الشمول وأتبعها بأقداح
من كف ريم[٥] مليح الوجه ريقته بعد الهجوع[٦] كمسك أو كتفاح
لا تشرب الراح[٧] إلا من يدي رشأ تقبيل راحته[٨] أشهى من الراح

قال: فضحك منه إسحاق، ثم دعا بجارية تامة الحسن، وألبسها ملبس غلام وقال لها: تولي سقي أبي حماد.

---

(١) الموصلي (كان حيا قبل ٢٣٥هـ/٨٤٩م) هو: حماد بن إسحاق بن إبراهيم الموصلي. أديب، راوية، شارك أباه إسحاق في كثير من سماعه، ولحق بكبار مشايخه، فسمع من أبي عبيدة والأصمعي، وأخذ أكثر علم أبيه. له من الكتب الأثرية: أخبار الحطيئة، أخبار ذي الرمة، أخبار الندامى، ومختار غنى إبراهيم جده.
ترجمته في: معجم المؤلفين ٤/ ٧٢.

(٢) انظر الخبر في: الأغاني ٢/ ٨٣، والوافي بالوفيات ٣/ ١٦٣.

(٣) الشعر في ديوان إسحاق الموصلي، ص ٢٠٥، والأغاني ٢/ ٨٣، والوافي بالوفيات ٣/ ١٦٣.

(٤) في الديوان: «يسلسلها».

(٥) الريم: الظبي الخالص البياض. الوسيط (ر ي م).

(٦) الهجوع: النوم ليلا. لسان العرب (هـ ج ع).

(٧) الراح: الخمر. لسان العرب (ر و ح).

(٨) الراحة: كف اليد. لسان العرب (ر و ح).

فما زالت تسقيه حتى سكر وخر كالميت، فأمر إسحاق بحمله إلى داره ومعه الجارية ومعها ألف دينار.

ولذا قيل في ذلك: [البسيط]

لا تشرب الراح إلا من يدي رشأ تحكيه في رقة المعنى ويحكيها
إن المدامة لا يلتذ شاربها حتى يكون نقي الخد يسقيها

وهذا المعرض ما قيل فيه أكثر من أن يذكر وأشهر من أن يشهر، وفيما ذكرناه منه كفاية لا سيما لأهل المنزلة.

ومن المعلوم أن مدح ساقي الكئوس مما يزيل عن كل مهموم الهم والعبوس، وقد ألحقنا هذا الباب بذكر من اختلف عن إخوانه وتبداعد عن أخدانه في شرب الجالب للانشراح المزيل للهموم والأتراح، وانفرد بنفسه ولم يحتج إلى نديم فقلنا في هذا الغرض:

* * *

obeikandl.com

obeikandl.com

الباب الثالث

في ذكر من اختلف عن إخوانه في شرب راح الكئوس منفردا به عن باقي النفوس

قال بعضهم : اعلم أن الناس قد اختلفوا في نظم هيئة مجلس الشراب : **فمنهم من لا يرى** إلا الانفراد بنفسه ، والاشتغال بمطالعة الكتب ، أو غيرها كإتقان مخترع ، أو إتحاف مبدع لم يسبق له عند غيره مثال ، ولم ينسجه أحد قبله على منوال ، فينفرد لأجل إتقان ذلك ، فيكون عند الانفراد رائق الذهن سليما مما يكدر من الأخبار ، فالعزلة عنهم ـ أي : عن الناس ـ خير إذ ذاك ، ولا يُرى في اجتماعهم سوى الارتباك ، كما حكى الرئيس ابن سينا[1] ؛ فإنه قال : كنت أستعين على مصنفاتي وكتبي وعلومي باليسير من الخمر الممزوج بالماء وأنا منفرد .

ومن نظمه قوله : [الخفيف]

---

(١) الحسين بن عبد الله بن سينا ، أبو علي ، شرف الملك (٣٧٠ ـ ٤٢٨هـ) : الفيلسوف الرئيس ، صاحب التصانيف في الطب والمنطق والطبيعيات والإلهيات ، أصله من بلخ ، ومولده في إحدى قرى بخارى ، ونشأ وتعلم في بخارى ، وطاف البلاد ، وناظر العلماء ، واتسعت شهرته ، وتقلد الوزارة في همذان ، وثار عليه عسكرها ونهبوا بيته ، فتوارى ، ثم صار إلى أصفهان ، وصنف بها أكثر كتبه ، وعاد في أواخر أيامه إلى همذان ، فمرض في الطريق ، ومات بها ، وكان أهل بيته من أهل دعوتهم ، من أتباع الحاكم العبيدي الذي كان هو وأهل بيته معروفين عند المسلمين بالإلحاد ، وصنف نحو مئة كتاب بين مطول ومختصر ، ونظم الشعر الفلسفي الجيد ، ودرس اللغة مدة طويلة حتى بارى كبار المنشئين ، ومن أشهر كتبه (القانون) . الأعلام ٢/ ٢٤١، ٢٤٢، وفيات الأعيان ١/ ١٥٢، وتاريخ حكماء الإسلام ص ٢٧ ـ ٧٢، وخزانة البغدادي ٤/ ٤٦٦، ودائرة المعارف الإسلامية ١/ ٢٠٣، وآداب اللغة ٢/ ٣٣٦، ولسان الميزان ٢/ ٢٩١.

من على يسرتي خزانة خمري وعلى يميني قمطرة كتبي
فإذا ما طربت أعملت كأسي وإذا ما صحوت أعلمت قلبي

وما أحلى قول الصفي الحلي[1] حيث قال[2] : [الطويل]

إذا لم أجد للراح خِلًّا موافقا فلي بين أنس كامل حين أشرب
لساني يغنيني وفكرى منادمي وكفي يسقيني وسمعي يطرب

وهذا مذهب البعض وقد رآه حسنا .

ومنهم من يرى اجتماع الندماء، ولكن مع الاختلاف في قدرهم :

* فمن قائل بنديم واحد فقط ؛ ليكون المجموع اثنين فيكون أعون على كتم الأسرار ؛ فإن السر إذ زاد على ذلك شاع وذاع وملأ البقاع ، وهذا أقل ما يحصل به الغرض الداعي إلى المنادمة .

* ومنهم من يقول بنديمين ، أي : يكتفي بهما عن أكثر منهما ؛ ليكون

---

(١) صفي الدين الحلي (٦٧٧ ـ ٧٥٠هـ/١٢٧٨ ـ ١٣٤٩م) هو : عبد العزيز بن سرايا بن علي بن أبي القاسم السنبسي الطائي : شاعر عصره . ولد ونشأ في الحلة (بين الكوفة وبغداد) واشتغل بالتجارة ، فكان يرحل إلى الشام ومصر وماردين وغيرها ، في تجارته ، ويعود إلى العراق ، وانقطع مدة إلى أصحاب ماردين ، فتقرب من ملوك الدولة الأرتقية ، ومدحهم ، وأجزلوا له عطاياهم . ورحل إلى القاهرة سنة ٧٢٦ هـ . فمدح السلطان الملك الناصر . وتوفي ببغداد . له "ديوان شعر" و"العاطل الحالي" رسالة في الزجل والموالي ، و"الأغلاطي ـ خ" معجم للأغلاط اللغوية ، و"درر النحور ـ خ" وهي قصائده المعروفة بالأرتقيات ، و"صفوة الشعراء وخلاصة البلغاء ـ خ " و " الخدمة الجليلة ـ خ" رسالة في وصف الصيد بالبندق . وللشيخ علي الخزين المتوفي سنة ١١٨١ كتاب "أخبار صفي الدين الحلي ونوادر أشعاره" .
ترجمته في : الدر الكامنة ٢/ ٣٦٩، وفوات الوفيات ١/ ٢٧٩، وآداب اللغة ٣/ ١٢٨، والنجوم الزاهرة ١٠/٢٣٨ وفيه : وفاته في ذي الحجة ٧٤٩، والذريعة ١/ ٣٣٧، ونزهة الجليس ٢/ ٢٠١، والأعلام ٤/ ١٨.

(٢) لم أعثر على البيتين في ديوانه .

المجموع ثلاثة فلو قام أحدهم لحاجة لوجد الآخر من يؤانسه، وفي غيبة صاحبه ذاك يجانسه، ويكون عونا على المنادمة والمصادقة معولا عليه عند الحاجة المفارقة.

* ومنهم من يقول بثلاثة من الندماء؛ ليكون المجموع أربعة، فلو تحدث أحدهم مع الآخر لوجد الثالث من ينادمه.

ولهم في مقادير الندماء مذاهب، ولكن هذا هو القدر المتفق عليه عندهم، ولذا قال بعضهم: من زاد في الندمان على أربعة فقد فوت السرور على نفسه وضيعه منها، فلم يزل قلبه حزينا والهم عنده خازنا أمينا.

وسئل إسحاق بن إبراهيم النديم الموصلي[1] عن الندماء؛ أي عن كون الواحد أوجز، أو لا بد من اثنين أم ثلاثة أم أربعة؟

فقال: نديم واحد هَمّ، ونديمان اثنان غَمّ، وثلاثة ندماء نظام، وأربعة تمام، وخمسة مجلس، وستة زحام، وسبعة جيش، وثمانية عسكر، وتسعة اضرب طبلك، وعشرة الق بهم من شئت.

---

(١) إسحاق بن إبراهيم بن ميمون التميمي الموصلي، أبو محمد بن النديم (١٥٥ ـ ٢٣٥هـ): من أشهر ندماء الخلفاء، تفرد بصناعة الغناء، وكان عالمًا باللغة والموسيقى والتاريخ وعلوم الدين وعلم الكلام، راويًا للشعر حافظًا للأخبار، شاعرًا له تصانيف، من أفراد الدهر أدبًا وظرفًا وعلمًا، فارسي الأصل، مولده ووفاته ببغداد، وعمي قبل موته بسنتين، نادم الرشيد والمأمون والواثق العباسيين. ولما مات نُعِي إلى المتوكل فقال: ذهب صدر عظيم من جمال الملك وبهائه وزينته. وألف كتبًا كثيرة، قال ثعلب: رأيت لإسحاق الموصلي ألف جزء من لغات العرب كلها سماعه. ومن تصانيفه: كتاب أغانيه التي غنى بها، و(أخبار عزة الميلاء)، و(أغاني معبد)، و(أخبار حماد عجرد) وغيرها. الأعلام ١/ ٢٩٢، الفهرست ١/ ١٤٠، ووفيات الأعيان ١/ ٦٥، وسمط اللآلي ص ١٣٧ و ٢٠٩ و ٥٠٩، والأغاني، طبعة دار الكتب، ٥/ ٢٦٨ ـ ٤٣٥ ولسان الميزان ١/ ٣٥٠، وتاريخ بغداد ٦/ ٣٣٨.

وقال بعضهم: اثنان خلان، وثلاثة ندمان، وأربعة بستان، وخمسة بيمارستان[١].

قال النواجي[٢] رحمه الله: إن هذه أمور نسبية وخيالات وهمية؛ فقد يوجد صفاء العيش مع الكثير من الندماء ويفقد مع القليل منهم، وقد ينعكس الحال فيوجد صفاء العيش مع القليل ويفقد مع الكثير، وذلك يختلف باختلاف أحوال الناس.

وحيث كان الشراب وسيلة إلى نيل المطلوب والفوز بلقاء المحبوب، يبعد جدًّا على من ذوقه سليم وطبعه مستقيم أن تتشوق نفسه في مجلسه بعد حضور الحبيب إلى وجود واشٍ أو رقيب؛ فإن الغيرة عند أهل الأشواق معروفة وفي أشعارهم موصوفة، قال الشاعر[٣]: [الطويل]

أغار على أعطافها[٤] من ثيابها إذا لبستها فوق جسم منعم
وأحسد كاسات تقبل ثغرها إذا وضعتها موضع اللثم في الفم

وقال آخر[٥]: [الوافر]

---

(١) البيمارستان: المستشفى. فارسي معرب. الوسيط (بيرم).

(٢) محمد بن حسن بن علي بن عثمان النواجي، شمس الدين (٧٨٨ ـ ٨٥٩هـ): عالم بالأدب، نقاد، له شعر، من أهل مصر، مولده ووفاته في القاهرة، نسبته إلى نواج (من غربية مصر) رحل إلى الحجاز حاجًّا، وطاف بعض البلدان، وهو صاحب (حلبة الكميت) في الخمر والندماء وما يتعلق بهما، وله كتب كثيرة، منها: مراتع الغزلان في الحسان من الغلمان، والصبوح والغبوق، وغيرها. الأعلام ٦/ ٨٨، الضوء اللامع ٧/ ٢٢٩، والخطط التوفيقية ١٧/ ١٣، وحوادث الدهور ٢/ ٣٦٥، وآداب اللغة ٣/ ١٣٧، والبدر الطالع ٢/ ١٥٦.

(٣) البيتان منسوبان ليزيد بن معاوية في تزيين الأسواق في أخبار العشاق ص ١٥٥.

(٤) الأعطاف جمع عطف: وعطف كل شيء جانبه، وهو من الإنسان من لدن رأسه إلى وركه. الوسيط (ع ط ف).

(٥) البيتان منسوبان لحفصة المغربية، انظر: النجوم الزاهرة ٢/ ٣٦١، نصرة الثائر ص ٩٤.

أغار عليك من غيري ومني ومنك ومن مكانك والزمان
ولو أني خبأتك في عيوني إلى يوم القيامة ما كفاني

وقال البرهان القيراطي[1] : [الوافر]

وتركيَّ اللحاظ تروم قتلي عقارب صدغه فأقول رومي
ومن شغفي بحسن القد منه أغار على الغصون من النسيم

* * *

(١) القيراطي (٧٢٦ - ٧٨١هـ/١٣٢٦ - ١٣٧٩م) هو : إبراهيم بن عبد الله بن محمد بن عسكر الطائي ، برهان الدين القيراطي : شاعر من أعيان القاهرة . اشتغل بالفقه والادب ، ولد في صفر ، ومات بمكة في ربيع الاول ، جاور بمكة فتوفي فيها . له ديوان شعر سماه (مطلع النيرين) ومجموع أدب اسمه (الوشاح المفصل) .
ترجمته في : الدرر الكامنة ١/ ٣١، وشذرات الذهب ٦/ ٢٦٩، وآداب اللغة ٣/ ١٢٤، والأعلام ١/ ٤٩، ومعجم المؤلفين ١/ ٣٨. وعرفه صاحب العقيق اليماني - خ - بالبارعي المتقي القيراطي ، وجعل وفاته سنة ٨٠٠ هـ ، والصحيح ما أثبتناه .
وفي طبقات الشافعية ٦: ٤٦ - ٨٢ رسالتان متبادلتان بينه وبين السبكي .

خاتمة الباب

وتحفة لذوي الآداب

فإن سألنا سائل وقال : إن في اجتماع الإخوان واللطفاء من الندمان ما يولد الأفراح ، ويطيب به شرب الراح ، وينعش قلب المحزون ، ويباعد عنه الشجون ، ويرسل المسرات ، ويزيل الحسرات ، ويجلب الهنا ويبعد العنا .

قلنا : نعم إنما ذاك مذهب ، وهذا مذهب ، إذا عرفت وجهه قلت : لكلٍّ وجهُه .

قال الصفي الحلي[1] : [من الوافر]

أدم يا رب خلواتي بحبي ... لأقضى بالتواصل منه ديني
ولا تجعل هناك سوى لساني ... يترجم بين من أهوى وبيني
وإن قدرت إنسانا يرانا ... بحقك فليكن إنسان عيني[2]

---

(١) لم أعثر على الأبيات في ديوان الحلي .

(٢) إنسان العين : هو ناظر العين الذي به يبصر الإنسان ، وإنما سمي إنسان العين ؛ لأن الإنسان يترآى فيه ؛ قال ذو الرمة :

وإنسان عيني يحسر الماء تارةً ... فيبدوا وتاراتٍ يجم فيغرق

وقد ظرف ابن الحجاج في قوله :

إنك إنسان له موقع ... من ناظري في جوف إنسانه

وقد ظرف أبو الفضل الميكالي في قوله :

أعددت محتفلاً ليوم فراغي ... روضاً غدا إنسان عين الباغ
روض يروض هموم قلبي حسنه ... فيه لكأس الأنس أي مساغ
وإذا بدت قضبان ريحانٍ به ... حيت بمثل سلاسل الأصداغ

وفي ناظر العين يقول منصور الفقيه :

قالوا : خذ العين من كل فقلت لهم ... في العين فضل ولكن ناظر العين =

وقال النواجي خوفا من مراقبة عيون النرجس[١] : [الكامل]

غضي جفونك يا عيون النرجس منك استحيت بأن أقبل مؤنسي[٢]
نام الحبيب تدبلت وجناته وجفونكن شواخص لم تنعس
ولقد تحير إذا رآك شواخصا ترمينه بلواحظ المتفرس

وقال مجير الدين بن تميم[٣] : [الكامل]

كيف السبيل لأن أقبل خد من أهوى وقد نامت عيون الحرس
وأصابع المنثور تومي نحونا حسدا وتغمزنا عيون النرجس

فليت شعري من لم يصبر على عيون النرجس غيرة على حبيبه ، فكيف حال قلبه بمعاينة واشيه ورقيبه؟

فأما ما تقدم من قول إسحاق الموصلي واحد هم واثنان غم . . . إلخ .

إنما هو باعتبار الأغلب الأعم ، وحيث لا وجود للحبيب فلا مبالاة بواش ولا رقيب ، فأما إذا كان الحبيب موجودا ، وكان وصله موعودا ، ولا سيما إذا

= حرفان من ألف طومارِ مسودةٍ وربما لم تجد في الألف حرفين

ثمار القلوب في المضاف والمنسوب ١٠١.

(١) عيون النرجس : تشبيه العيون بالنرجس مشهور متعارف ، واستعارة العيون له كذلك ؛ قال ابن المعتز :

كأن عيون النرجس الغض حولنا مداهن در حشوهن عقيق

وقال الصنوبري :

أرأيت أحسن من عيون النرجس أم من تلاحظهن وسط المجلس!
در تشقق عن يواقيت على قضب الزمر فوق بسط السندس

ثمار القلوب في المضاف والمنسوب ١٨٠.

(٢) ورد هذا البيت في محاضرات الأدباء ٤٢٢/٢ منسوبا لأبي نواس ، وروايته هناك :

كأنما النرجس يحكي لنا عين محبٍ أبداً تنظر

(٣) معاهد التنصيص ص ١٨٥.

كان حسن الصوت والمحاورة، حلو الفكاهة والمحاضرة، فإن طلب الزائد من أعظم المفاسد، ويعود الطالب للزائد وهو كاسد وعن الصواب متباعد لا إيناس له؛ إذ قد عكف على المفاضلة وقد حمل كاهله ما لا طاقة به له.

ولله در القائل حيث قال وأجاد في المقال: [الكامل]

وجعلت غصن قوامه لي شمعة ... في مجلس وخدوده تفاحي
ومن اللواحظ نرجسي وعذاره[1] ... آسي[2] ومعسول المراشف راحي
والوجه بدري والثنايا أنجمي ... والشعر ليلي والجبين صباحي
بشراك يا قلبي لقد نلت المنى ... جمع الحبيب محاسن الأفراح

وقال غيره: [الكامل]

خداه وردي والعذار بنفسجي ... والريق خمري واللواحظ نرجسي
فكأنني من خده وعذاره ... ورضابه[3] ولحاظه في مجلس

وحيث أنهينا الكلام على هذا الباب الذي يكاد أن يأخذ بالألباب، أردنا أن نذكر ما يتعلق بذكر من نادم الملوك وعقدنا لذلك بابا سميا ومقصدا عليا فقلنا:

* * *

(١) العذار: جانب اللحية. لسان العرب (ع ذ ر).
(٢) الآس: ضرب من الرياحين. لسان العرب (أ و س).
(٣) الرضاب: الريق أو الريق المرشوف. الوسيط (ر ض ب).

الباب الرابع

في ذكر من نادم الملوك فكان عندهم محبوبا وفي حوزتهم ولديهم مرغوبا

سئل بعضهم عن نديم له فقال: هو والله ريحانتي على قدحي، ومنشأ نشوتي وفرحي.

وسئل آخر عن نديم له فقال: هو مبعد الحزن عني، ومزيل الفكر مني، ومنتهى أفراحي وغاية انشراحي، وهو الذي على الأبد في بالي والساكن في بلبالي[1]، لا أبرح عن محبته، ولا أزال عاكفا على مودته، إن فارقني فارقتِ الروحُ الجسد، وإن توارى عني توارى عن العين نورها على الأبد.

ومن الندماء الظرفاء: محمد بن إسحاق بن إبراهيم الموصلي، فإنه كان ممن يقل في الزمان نظيره، وإليه مرجع الأدب ومصيره، وكان من ندماء الخلفاء، وله اليد الطولى في الخلاعة والغناء، وقد تفرد بهما في عصره، وكان من العلماء العارفين بعلم اللغة والشعر وأخبار الشعراء وأيام الناس، فله في فن التاريخ القدم الراسخ، وفي علم الحديث الغاية القصوى والرتبة العليا، كتب الحديث عن سفيان بن عيينة[2]، ومالك بن .....

---

(١) البلبال: شدة الهم و الوسواس. والجمع بلابل و بلابيل. المعجم الوسيط (بلبل).

(٢) سفيان بن عيينة بن ميمون الهلالي الكوفي، أبو محمد: محدث الحرم المكي، من الموالي، ولد بالكوفة سنة ١٠٧ هـ، وسكن مكة وتوفي بها سنة ١٩٨ هـ، كان حافظا ثقة، واسع العلم كبير القدر، قال الشافعي: لولا مالك وسفيان لذهب علم الحجاز. وكان أعور، وحج سبعين سنة، له كتاب الجامع في الحديث، وكتاب في التفسير. انظر ترجمته في: تذكرة الحفاظ ١/ ٢٤٢، وصفة الصفوة ٢/ ١٣٠، وابن خلكان ١/ ٢١٠، وميزان الاعتدال ١/ ٣٩٧، وحلية الأولياء ٧/ ٢٧٠، وتاريخ بغداد ٩/ ١٧٤، والأعلام ٣/ ١٠٥.

أنس[١]، وهشيم بن بشير[٢]، وأبو[٣] معاوية الضرير، وأخذ الأدب عن الأصمعي[٤]،

---

(١) مالك بن أنس بن مالك الأصبحي الحميري، أبو عبد الله: إمام دار الهجرة، وأحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة، وإليه تنسب المالكية، مولده ووفاته في المدينة سنة ٩٣ هـ، كان صلبا في دينه، بعيدا عن الأمراء والملوك، وشي به فضربه سياطا انخلعت لها كتفه، ووجه إليه الرشيد العباسي ليأتيه فيحدثه، فقال: العلم يؤتى. فقصد الرشيد منزله واستند إلى الجدار، فقال مالك: يا أمير المؤمنين من إجلال رسول الله إجلال العلم. فجلس بين يديه، فحدثه، وسأله المنصور أن يضع كتابا للناس يحملهم على العمل به، فصنف الموطأ. وتوفي سنة ١٧٩ هـ. انظر ترجمته في: الوفيات ١/ ٤٣٩، وتهذيب التهذيب ١٠/ ٥٠، وصفة الصفوة ٢/ ٩٩، وحلية ٦/ ٣١٦، والأعلام ٥/ ٢٥٧، ٢٥٨.

(٢) هشيم بن بشير بن أبي خازم قاسم بن دينار السلمي، أبو معاوية، الواسطي، نزيل بغداد (١٠٤ - ١٨٣هـ): مفسر من ثقات المحدثين، قيل: أصله من بخارى. كان محدث بغداد، ولزمه الإمام ابن حنبل أربع سنين، قال الدورقي: كان عنده عشرون ألف حديث. وقال يحيى بن معين: روى عن الحسن بن عبيد الله، ولم يدركه. وأورد البلخي في (قبول الأخبار) أسماء جماعة حدث عنهم هشيم وطرح من كان بينه وبينهم من الرواة، وهذا ما يسميه أهل الحديث التدليس. وكان ممن خرج مع إبراهيم بن عبد الله الطالبي بواسط، وقتل ابنه معاوية مع إبراهيم، قال الداودي: له غير التفسير كتاب السنن في الفقه، والمغازي. انظر ترجمته في: تذكرة الحفاظ ١/ ٢٢٩، وميزان الاعتدال ٣/ ٢٥٧، وتاريخ بغداد ١٤/ ٨٥، وطبقات المدلسين ص ١٨، والأعلام ٨/ ٨٩.

(٣) في الأصل: «ابن»، وهو محمد بن خازم أبو معاوية الضرير ثقة من رجال الستة، أعرض بشر الحافي عن السماع منه بسبب كونه مرجئا غلو غير مقبول، فإن الارجاء الذي يطلقه المحدثون على من لا يقول بزيادة الايمان ونقصانه، ولا بدخول العمل في حقيقته، ليس بطعن في الحقيقة على ما لا يخفى على المهرة النقاد، وهو مذهب لعدة من جلة العلماء. ميزان الاعتدال ٤/ ٩٩.

(٤) عبد الملك بن قريب بن علي بن أصمع الباهلي، أبو سعيد الأصمعي (١٢٢ - ٢١٦هـ): راوية العرب، وأحد أئمة العلم باللغة والشعر والبلدان، نسبته إلى جده أصمع، ومولده ووفاته في البصرة، كان كثير التطواف في البوادي، يقتبس علومها ويتلقى أخبارها، ويتحف بها الخلفاء، فيكافأ عليها بالعطايا الوافرة، أخباره كثيرة جدا، وكان الرشيد يسميه شيطان الشعر. قال الأخفش: ما رأينا أحدا أعلم بالشعر من الأصمعي. وقال أبو الطيب اللغوي: كان أتقن القوم=

وأبي عبيدة[١]، وبرع في علم الغناء والألحان، وانفرد في عصره بهذا الشان، فلذا غلب عليه ونسب إليه، وله أشعار وأخبار ونوادر مشهورة، وكان الخلفاء يكرمونه ويقربونه ويعظمونه ويجلونه؛ لحسن سيرته وطيب سريرته، وكمال ذوقياته واستحسان أدبياته، ودقة مخترعاته، وله نظم وديوان شعر مشهور.

ومن الندماء المشاهير: إسحاق بن إبراهيم الموصلي، فقد كان المعتصم[٢]

=للغة، وأعلمهم بالشعر، وأحضرهم حفظا. وكان الأصمعي يقول: أحفظ عشرة آلاف أرجوزة. انظر: السيرافي ص ٥٨، وجمهرة الأنساب ص ٢٣٤، والأعلام ٤/ ١٦٢.

(١) معمر بن المثنى التيمي بالولاء، البصري، أبو عبيد النحوي (١١٠ - ٢٠٩هـ): من أئمة العلم بالأدب واللغة، مولده ووفاته في البصرة، استقدمه هارون الرشيد إلى بغداد سنة ١٨٨ هـ، وقرأ عليه أشياء من كتبه، قال الجاحظ: لم يكن في الأرض أعلم بجميع العلوم منه. وكان إباضيا، شعوبيا، من حفاظ الحديث، قال ابن قتيبة: كان يبغض العرب وصنف في مثالبهم كتبا. ولما مات لم يحضر جنازته أحد، لشدة نقده معاصريه، وكان مع سعة علمه ربما أنشد البيت فلم يقم وزنه، ويخطئ إذا قرأ القرآن نظرا. وله نحو ٢٠٠ مؤلف. انظر: وفيات ٢/ ١٠٥، وتذكرة ١/ ٣٣٨، وبغية الوعاة ص ٣٩٥، وميزان الاعتدال ٣/ ١٨٩، والسيرافي ص ٦٧، وتاريخ بغداد ١٣/ ٢٥٢، والأعلام ٧/ ٢٧٢.

(٢) محمد بن هارون الرشيد بن المهدي بن المنصور، أبو إسحاق، المعتصم بالله العباسي (١٧٩ - ٢٢٧هـ): خليفة من أعاظم خلفاء هذه الدولة، بويع بالخلافة سنة ٢١٨ هـ، يوم وفاة أخيه المأمون، وبعهد منه، وكان بطرسوس وعاد إلى بغداد بعد سبعة أسابيع (في السنة نفسها)، وكان قوي الساعد، يكسر زند الرجل بين أصبعيه، ولا تعمل في جسمه الأسنان، وكره التعليم في صغره، فنشأ ضعيف القراءة يكاد يكون أميا، وهو فاتح عمورية من بلاد الروم الشرقية، في خبر مشهور، وهو باني مدينة سامرا (سنة ٢٢٢هـ) حين ضاقت بغداد بجنده، وهو أول من أضاف إلى اسمه اسم الله تعالى، من الخلفاء، فقيل (المعتصم بالله) وكان لين العريكة رضي الخلق، اتسع ملكه جدا، وكان له سبعون ألف مملوك، خلافته ٨ سنين و ٨ أشهر، وخلف ٨ بنين و ٨ بنات، وعمره ٤٨ سنة، وتوفي بسامرا، وكان أبيض أصهب حسن الجسم مربوعا طويل اللحية. انظر: ابن الأثير ٦/ ١٤٨ - ١٧٩ واليعقوبي ٣/ ١٩٧، والفوات ٢/ ٢٧٠، وتاريخ بغداد ٣/ ٣٤٢، ومروج الذهب ٢/ ٢٦٩ - ٢٧٨ والبدء والتاريخ ٦/ ١١٤، والطبري ١١/ ٦، والأعلام ٧/ ١٢٧، ١٢٨.

يقول ما غناني إسحاق بن إبراهيم قط إلا خيل إلي أنه قد زيد في ملكي[١].

وأخباره كثيرة.

ومن الندماء أيضا: ابن جامع السهمي[٢]؛ فإنه كان من الندماء، وكان يحضر مجلس أمير المؤمنين هارون الرشيد[٣].

ومن المغنين: ابن محرز[٤]؛ فإنه كان يغني لكل إنسان بما يشتهيه كأنه خلق

---

(١) القول في الأغاني ٦/ ٦٨، والتذكرة الحمدونية ٢/ ١١١ عن الواثق.

(٢) إسماعيل بن جامع السهمي القرشي، أبو القاسم، ويعرف أيضا بابن أبي وداعة: من أكابر المغنين الملحنين، كان من أحفظ الناس للقرآن، متعبدا، كثير الصلاة، يعتم بعمامة سوداء على قلنسوة طويلة، ويلبس لباس الفقهاء، في زي أهل الحجاز، ولد بمكة وضاق به العيش، فانتقل بعياله إلى المدينة واحترف الغناء فذاعت شهرته، فرحل إلى بغداد، فاتصل بالخليفة هارون الرشيد، فحظي عنده، وكان من أقران إبراهيم الموصلي إلا أن هذا يزيد عليه الضرب بالعود. انظر: الأغاني، طبعه دار الكتب ٦/٢٨٩ - ٣٢٦، والبداية والنهاية ١٠/ ٢٠٧، والأعلام ١/ ٣١١.

(٣) هارون الرشيد بن محمد المهدي بن المنصور العباسي، أبو جعفر (١٤٩ - ١٩٣هـ): خامس خلفاء الدولة العباسية في العراق، وأشهرهم، ولد بالري، لما كان أبوه أميرا عليها وعلى خراسان، ونشأ في دار الخلافة ببغداد، وولاه أبوه غزو الروم في القسطنطينية، فصالحته الملكة إيريني وافتدت منه مملكتها بسبعين ألف دينار تبعث له إلى خزانة الخليفة في كل عام، وبويع بالخلافة بعد وفاة أخيه الهادي سنة ١٧٠ هـ، فقام بأعبائها، وازدهرت الدولة في أيامه، واتصلت المودة بينه وبين ملك فرنسا كارلوس الكبير الملقب بشارلمان، فكان يتهاديان التحف، وكان الرشيد عالما بالأدب وأخبار العرب والحديث والفقه، فصيحا، له شعر أورد صاحب "الديارات" نماذج منه، له محاضرات مع علماء عصره، شجاعا كثير الغزوات، يلقب بجبار بني العباس، حازما كريما متواضعا، يحج سنة ويغزو سنة، لم ير خليفة أجود منه، ولم يجتمع على باب خليفة ما اجتمع على بابه من العلماء والشعراء والكتاب والندماء، وكان يطوف أكثر الليالي متنكرا. انظر: البداية والنهاية ١٠/ ٢١٣، واليعقوبي ٣/ ١٣٩، وابن الأثير ٦/ ٦٩، والطبري ١٠/ ٤٧، والبدء والتاريخ ٦/ ١٠١، والمسعودي ٢/ ٢٠٧ - ٢٣١، وتاريخ بغداد ١٤/ ٥، والديارات ص ١٤٤ - ١٤٦، والأعلام ٨/ ٦٢.

(٤) ابن محرز (ت نحو ١٤٠هـ/نحو ٧٥٧م) هو: مسلم بن محرز، أبو الخطاب، مولى بني =

من قلب كل إنسان مع أن الطالب لم يصرح له بمطلوبه ولكن الغناء يوافي به .

ومن الندماء : هاشم بن سليمان مولى بني أمية ، وكان له شعر فائق وحكايات مطربة ، وحكي أن الرشيد قال للقاضي يحيى بن أكثم[1] : بلغني عنك أنك تحسن الزمر .

فقال : أجل يا أمير المؤمنين .

فقال له : أريد أن أشاهد ذلك منك وأسمعه .

= عبد الدار : أحد المقدمين في صناعة الغناء والألحان . فارسي الأصل . كان أبوه بمكة من خدام الكعبة . ونشأ هو بمكة . ثم كان يقيم فيها مدة وفي المدينة مدة ، يتعلم في الثانية الضرب من عزة الميلاء . وشخص إلى (إيران) فتعلم ألحان الفرس . وصار إلى الشام ، فتعلم غناء الروم وألحانهم . ومزج غناء الفرس والروم وأخذ منهما أغانيه التي صنعها في أشعار العرب ، فأتى بما لم يسمع مثله . وكان يقال له (صناج العرب) . اشتهر في صدر الدولة العباسية ، وأصيب بالجذام فلم يعاشر الخلفاء ولا خالط الناس .

ترجمته في الاغاني ، طبعة دار الكتب ١ : ٣٧٨، والأعلام للزركلي ٧/ ٢٢٣.

(١) يحيى بن أكثم بن محمد بن قطن التميمي الأسيدي المروزي ، أبو محمد (١٥٩ ـ ٢٤٢هـ) : قاض ، رفيع القدر ، عالي الشهرة ، من نبلاء الفقهاء ، يتصل نسبه بأكثم بن صيفي حكيم العرب ، ولد بمرو ، واتصل بالمأمون أيام مقامه بها ، فولاه قضاء البصرة سنة ٢٠٢ هـ ، ثم قضاء القضاة ببغداد ، وأضاف إليه تدبير مملكته ، فكان وزراء الدولة لا يقدمون ولا يؤخرون في شيء إلا بعد عرضه عليه ، وغلب على المأمون حتى لم يتقدمه عنده أحد . وكان مع تقدمه في الفقه وأدب القضاء ، حسن العشرة ، حلو الحديث ، استولى على قلب المأمون حتى أمر بألا يحجب عنه ليلا ولا نهارا ، وله غزوات وغارات ، منها أن المأمون وجهه سنة ٢١٦ هـ إلى بعض جهات الروم ، فعاد ظافرا ، ولما مات المأمون وولي المعتصم ، عزله عن القضاء ، فلزم بيته ، وآل الامر إلى المتوكل فرده إلى عمله ، ثم عزله سنة ٢٤٠ هـ ، وأخذ أمواله ، فأقام قليلا ، وعزم على المجاورة بمكة ، فرحل إليها ، فبلغه أن المتوكل صفا عليه ، فانقلب راجعا ، فلما كان بالربذة (من قرى المدينة) مرض وتوفي فيها . انظر : وفيات الأعيان ٢/ ٢١٧، وطبقات الحنابلة ١/ ٤١٠، والجواهر المضية ٢/ ٢١٠، وتاريخ بغداد ١٤/ ١٩١ ـ ٢٠٤، والنجوم الزاهرة ٢/ ٢١٧، ٣٠٨، والأعلام ٨/ ١٣٨، ١٣٩.

فقال : لتحضر الآلة ويحضر من ينفخ فيها ؛ فإن العلم غير العمل ، ويليق بمثلي العلم بذلك ولا يليق به العمل .

فلما حضرت الآلة وحضر النافخ وضع القاضي أنامله على خروق الآلة فأظهر من حسن الصنعة ما لا يحسنه غيره من الزمار .

فعجب الرشيد من ذلك ، فقال القاضي : يا أمير المؤمنين ، إني ما رأيت علما قبيحا إلا ورأيت الجهل به أقبح ، فلا بد وأن أتعلمه لأكون على بصيرة فيه ، وهذا خير من الجهل وقد قالوا : إن العلم بكل شيء أفضل من الجهل به . وقد قيل :

تعلم السحر ولا تعمل به فالعلم بالشيء ولا الجهل به

ومن الندماء المغنين أيضا : المشدود ، ودبيس ، ورقيق ، فمن غنائهم بحضرة أبي عيسى أمير المؤمنين قول المشدود[1] : [المنسرح]

لما استقل بإرداف تجاذبه واخضر فوق بياض الدر شاربه
وأشرق الورد من نسرين وجنته واهتز أعلاه وارتجت حقائبه
كلمته بجفون غير ناطقة فكان من رده ما قال حاجبه

ثم سكت وغنى دبيس فأجاد وقال : [المنسرح]

الحب حلو أمرَّته عواقبه وصاحب الحب صب القلب ذائبه
استودع الله من بالطرف ودعني يوم الفراق ودمع العين ساكبه
ثم انصرفت وداعي الشوق يهتف بي أرفق بقلبك قد عزت مطالبه

ثم سكت وغنى رقيق ، وكان بحسن الصوت لحقيق : [المنسرح]

بدر من الإنس حفَّته كواكبه قد لاح عارضه واخضر شاربه

---

(١) الخبر والأشعار في المستطرف في كل فن مستظرف ١/ ٢٠٩.

إذ يوعد الوعد يوما فهو مخلفه أو ينطق القول يوما فهو كاذبه
عاطيته كدم الأرواح صافية فقام يشدو وقد مالت جوانبه

* * *

obeikandl.com

خاتمة الباب

وتحفة لذوي الآداب

اعلم أن أول من غنى من العرب قينتان للنعمان[١] يقال لهما الجرادتان[٢]، ومن غنائهما قولهما[٣] : [الوافر]

ألا يا قَيل ويحك قم فهينم لعل الله يسقينا غماما

وإنما غنتا ذلك من أجل أن الله تعالى كان قد حبس عنهما المطر.

وأول من غني في الإسلام الغناء الرقيق طويس[٤] وكان يكنى بأبي

---

(١) النعمان بن المنذر بن المنذر بن امرئ القيس اللخمي، أبو قابوس (توفي نحو سنة ١٥ ق هـ = نحو ٦٠٨م) : من أشهر ملوك الحيرة في الجاهلية، كان داهية مقداما، وهو ممدوح النابغة الذبياني وحسان بن ثابت وحاتم الطائي، وهو صاحب إيفاد العرب على كسرى، وباني مدينة النعمانية على ضفة دجلة اليمنى، وصاحب يومي البؤس والنعيم، وقاتل عبيد بن الأبرص الشاعر، في يوم بؤسه، كان أبرش أحمر الشعر، قصيرا، ملك الحيرة إرثا عن أبيه، نحو سنة ٥٩٢ م، وكانت تابعة للفرس، فأقره عليها كسرى فاستمر إلى أن نقم عليه كسرى أبرويز أمرا، فعزله ونفاه إلى خانقين، فسجن فيها إلى أن مات، وقيل: ألقاه تحت أرجل الفيلة، فوطئته، فهلك. انظر: الأعلام ٨/ ٤٣، واليعقوبي ١: ١٧٣ - ١٧٦ وابن خلدون ٢: ٢٦٥ وخزانة الأدب ١: ١٨٥ والاغاني، طبعة الساسي ٢٠: ١٣٢، والنويري ١٥: ٣٢١ - ٣٣١ والمسعودي طبعة باريس ٢٠١ - ٢٠٨.

(٢) المستطرف في كل فن مستظرف ١/ ١١٨، والأوائل للعسكري ٣٢٢/١ وفيه أن الجاريتين لعبد الله بن جدعان وفي العقد الفريد ١١/٢ أنهما لعاد.

(٣) المستطرف ١/ ١١٨.

(٤) طويس (١١ - ٩٢هـ/٦٣٢ - ٧١١م) هو: عيسى بن عبد الله، أبو عبد المنعم، مولى بني مخزوم: أول من غنى بالمدينة غناءا يدخل في الإيقاع. كان ظريفا، عالما بتاريخ المدينة وأنساب أهلها، يجيد النقر على الدف. وهو من أشهر المغنين والعارفين بصناعة الغناء، في صدر الإسلام. ولد بالمدينة وأقام إلى أيام مروان بن الحكم، فانتقل إلى السويداء (على ليلتين من=

[عبد المنعم][١]، ومن غنائه وهو أول صوت غني به في الإسلام هذا البيت[٢]: [السريع]

قد براني الشوق حتى كدت من وجدي أذوب

وقد علّم كثيرا من أهل هذا الشأن ثم نَجَم ـ أي ظهر ـ طويس ابن طنبور، وأصله من اليمن وكان أهزج الناس [وأخفهم][٣] غناء، فمن غنائه[٤]: [الوافر]

وفتيان على شرب جميعا ألفت دلفت[٥] بهم على شرب هدور

فلا تشرب بلا طرب فإني رأيت الخيل تشرب بالصفير

ومن المغنين المشهورين: حكم الوادي[٦] ومن غنائه[٧]: [الرمل]

=شمالي المدينة) فلم يزل فيها إلى أن توفي. وفيه المثل "أشأم من طويس" لما يقال من أنه ولد يوم وفاة النبي ﷺ وفطم يوم مات أبو بكر، وختن يوم قتل عمر، وتزوج يوم قتل عثمان، وولد له يوم قتل علي، فتشاءموا به.

ترجمته في: وفيات الأعيان ١/ ٤٠٠، والأغاني طبعة دار الكتب ٣/٢٧ و ٤/٢١٩ وفيه: "اسمه طاووس، ولقب بطويس". الأعلام ٥/ ١٠٥.

(١) في الأصل: «عبد النعيم».

(٢) الأغاني ٦/ ١١٥، والمستطرف ١/ ١١٨.

(٣) في الأصل: «وأتحفهم». والمثبت من المستطرف.

(٤) العقد الفريد ٣/ ١٢٤، والمستطرف ١/ ١١٨.

(٥) في المستطرف: «دلفت».

(٦) حكم بن ميمون، أو ابن يحيى بن ميمون (توفي نحو سنة ١٨٠هـ): مغن، من الطبقة الأولى في عصره، أصله من الموالي، أعتق الوليد ابن عبد الملك أباه، ونشأ حكم ينقل الزيت على الجمال بالأجرة من الشام إلى المدينة، وأولع بصناعة الغناء فكان ينقر بالدف ويغني مرتجلا، فاتصل بيني العباس في خلافة المنصور وانقطع إليهم، فاشتهر، وأصاب مالا وافرا وحظوة، وطالت مدة حياته، أدرك الوليد بن عبد الملك، وغناه، وأدرك هارون الرشيد وغناه. انظر: الأعلام ٢/ ٢٦٧، والأغاني ٦: ٦٢.

(٧) الأغاني ١٢/ ٣٥٧، والعقد الفريد ٣/ ٢١.

امدح الكاس ومن أعملها واهج قوما [قتلونا][1] بالعطش
إنما الراح ربيع باكر فإذا ما وفت المرء انتعش

وحكي عن هارون الرشيد ـ رحمه الله ـ أنه قال يوما للفضل بن الربيع[2] : من بالباب من الندماء؟

قال : جماعة منهم هاشم بن سليمان مولى بني أمية وأمير المؤمنين يشتهي سماعه .

قال : فأذن له وحده .

فدخل ، فقال : هات يا هاشم .

فغناه من شعر جميل[3] .....

(١) في الأصل : « قبلوا » ، والمثبت من مصادر التخريج .

(٢) الفضل بن الربيع بن يونس ، أبو العباس (١٣٨ ـ ٢٠٨هـ) : وزير أديب حازم ، كان أبوه وزيرا للمنصور العباسي ، واستحجبه المنصور لما ولى أباه الوزارة ، فلما آل الأمر إلى الرشيد واستوزر البرامكة كان الفضل من كبار خصومهم ، حتى ضربهم الرشيد تلك الضربة ، قيل : وكانت نكبتهم على يديه . وولي الوزارة إلى أن مات الرشيد ، قال أبو نواس :

إن دهرا لم يرع عهدا لحي غير راع ذمام آل ربيع

واستخلف الأمين ، فأقره في وزارته ، فعمل على مقاومة المأمون ، ولما ظفر المأمون استتر الفضل سنة ١٩٦ هـ ، ثم عفا عنه المأمون وأهمله بقية حياته ، وتوفي بطوس ، وهو من أحفاد أبي فروة كيسان مولى عثمان بن عفان . انظر : الأعلام ٥/ ١٤٨، وابن خلكان ١: ٤١٢ والبداية والنهاية ١٠: ٢٦٣، وتاريخ بغداد ١٢: ٣٤٣ والمرزباني ٣١٢

(٣) جميل بن عبد الله بن معمر العذري القضاعي ، أبو عمرو : شاعر ، من عشاق العرب ، افتتن ببثينة (من فتيات قومه) ، فتناقل الناس أخبارهما ، شعره يذوب رقة ، أقل ما فيه المدح ، وأكثره في النسيب والغزل والفخر ، وكانت منازل بني عذرة في وادي القرى (من أعمال المدينة) ورحلوا إلى أطراف الشام الجنوبية ، فقصد جميل مصر ، وافدا على عبد العزيز بن مروان ، فأكرمه عبد العزيز وأمر له بمنزل فأقام قليلا ومات فيه سنة ٨٢ هـ . انظر : الأعلام ٢/ ١٣٨، ابن خلكان ١: ١١٥ وابن عساكر ٣: ٣٩٥ والأغاني طبعة دار الكتب ٨: ٩٠ والآمدي ٧٢=

حيث يقول[1] : [الطويل]

إذا ما تراجعنا الذي كان بيننا جرى الدمع من عين بثينة بالكحل
فيا ويح نفسي حسب نفسي الذي بها ويا ويح عقلي ما صحبت به أهلي
خليلي فيما عشتما هل رأيتما قتيلا بكى من حب قاتله قبلي

قال : فطرب الرشيد طربا شديدا وقال : أحسنت لله أبوك .

ثم قلده عقدا نفيسا ، فلما رآه هاشم بكى واغرورقت عيناه بالدموع .

فقال له الرشيد : ما يبكيك يا هاشم ؟

فقال : يا أمير المؤمنين ، إن لهذا العقد حديثا عجيبا غريبا ، إن أذن لي أمير المؤمنين حدثته به .

قال : قد أذنت لك .

قال : يا أمير المؤمنين ، قدمت يوما على الوليد[2] ، وهو على بحيرة طبرية

=والتبريزي ١: ١٦٩ والشعر والشعراء ١٦٦ وتزيين الاسواق ١: ٣٨ ـ ٤٧ وخزانة البغدادي ١: ١٩١.

(١) ديوان جميل ص ١٥٥، الأغاني١٧/ ١٤٤.

(٢) الوليد بن عبد الملك بن مروان ، أبو العباس (٤٨ ـ ٩٦هـ) : من ملوك الدولة الأموية في الشام ، ولي بعد وفاة أبيه سنة ٨٦ هـ ، فوجه القواد لفتح البلاد ، وكان من رجاله موسى بن نصير ومولاه طارق بن زياد ، وامتدت في زمنه حدود الدولة العربية إلى بلاد الهند ، فتركستان ، فأطراف الصين ، شرقا ، فبلغت مسافتها مسيرة ستة أشهر بين الشرق والغرب والجنوب والشمال ، وكان ولوعا بالبناء والعمران ، فكتب إلى والي المدينة يأمره بتسهيل الثنايا وحفر الآبار ، وأن يعمل فوارة ، فعملها وأجري ماءها ، وكتب إلى البلدان جميعها بإصلاح الطرق وعمل الآبار ، ومنع المجذومين من مخالطة الناس ، وأجري لهم الأرزاق ، وهو أول من أحدث المستشفيات في الإسلام ، وجعل لكل أعمى قائدا يتقاضى نفقاته من بيت المال ، وأقام لكل مقعد خادما ، ورتب للقراء أموالا وأرزاقا ، وأقام بيوتا ومنازل يأوي إليها الغرباء ، وهدم مسجد المدينة والبيوت المحيطة به ، ثم بناه بناء جديدا ، وصفح الكعبة والميزاب والأساطين في مكة ،=

ومعه قينتان لم ير مثلهما جمالا وحسنا، فلما وقعت عينه عليّ، قال: هذا أعرابي قد ظهر من البوادي ادعوا به فنستسخر به، فدعاني فصرت إليه ولم يعرفني، فغنت إحدى الجاريتين بصوت هو لي ـ أي بلحن من ألحاني ـ فأخطأته الجارية، فقلت لها: أخطأت يا جارية. فضحكت ثم قالت: يا أمير المؤمنين، ألم تسمع ما يقول هذا الأعرابي يعيب علينا غناءنا! فنظر إليّ كالمنكر، فقلت: يا أمير المؤمنين، أنا أبين لك الخطأ فلتصلح؛ وتر كذا ووتر كذا، ففعلت وغنت شيئا ما سمع منها إلا في هذا اليوم، فقامت الجارية منكبّة علي وقالت: أستاذي هاشم ورب الكعبة، فقال الوليد: أهاشم بن سليمان أنت؟ قلت: نعم يا أمير المؤمنين وكشفت عن وجهي وأقمت معه بقية يومنا، فأمر لي بثلاثين ألف درهم، فقالت الجارية: يا أمير المؤمنين، أتأذن لي في بر أستاذي؟ فقال الوليد: ذلك إليك. فحلت ـ يا أمير المؤمنين ـ هذا العقد من عنقها ووضعته في عنقي وقالت: هو لك. ثم قربوا إليه السفينة ليرجع إلى موضعه، فركب السفينة وطلعت معه إحدى الجاريتين وتبعتها صاحبتي، فأرادت أن ترفع رجلها وتطلع في السفينة، فسقطت في الماء فغرقت لوقتها، وطلبت فلم يقدر عليها، فاشتد جزع الوليد عليها وبكى بكاء شديدا وبكيت أنا عليها أيضا بكاء شديدا. فقال: يا هاشم ما نرجع عليك بما وهبناه لك ولكن نحب أن يكون هذا العقد عندنا نذكرها به، فبعني إياه. فعوضني عنه ثلاثين ألف درهم.

فلما وهبتني العقد يا أمير المؤمنين تذكرت قضيته، وهذا سبب بكائي.

=وبنى المسجد الأقصى في القدس، وبنى مسجد دمشق الكبير، المعروف بالجامع الأموي، وأتمه أخوه سليمان، وكانت وفاته بدير مران (من غوطة دمشق) ودفن بدمشق، وكان نقش خاتمه: (ياوليد إنك ميت). انظر: الأعلام ٨/ ١٢١، ابن الاثير ٥: ٣ والطبري ٨: ٩٧ وبلغة الظرفاء ٢٣ واليعقوبي ٣: ٢٧ وتاريخ الخميس ٢: ٣١١، ٣١٤، والمسعودي ٢: ١١٩ - ١٢٧

فقال الرشيد : لا تعجب فإن الله كما ورثنا مكانهم ورثنا أموالهم .

وأخبار الندماء والظرفاء كثيرة مشهورة وفي كتب الأدب مذكورة مسطورة ، وفيما ذكرته في هذا الباب من أخبارهم كفاية لأولي الألباب ، وحيث انتهى ما ذكرناه من أخبار الظرفاء وحكايات اللطفاء ونوادرهم المستعذبة ولطائفهم المطربة ، أحببنا أن نذكر صفة مجلس الشراب وما فيه من تعديل المزاج للأتراب فقلنا :

* * *

obeikandl.com

obeikandl.com

الباب الخامس

في صفة مجلس الشراب

وما فيه من النزاهة وتعديل المزاج للأتراب

اعلم أنهم قد قرروا بأن البدن مدينة وسلطانها النفس، ووزيرها العقل، ومركزها القلب، ومحيطها الدماغ، وجندها القوى، وأبوابها الحواس، وأن الحركة والنشاط والفرح بحركة القلب الغريزية، وأن الشراب له في ذلك الفعل الذي لا يشاركه فيه بسيط، وإذا قارنته المركّبات العظيمة؛ كمعجون العنبر واللؤلؤ، ومثل ذلك معجون المنستر وحب العنبر، كان غاية في ذلك.

فإذا عرفت ذلك فاعلم أن السلطان مفتقر ضرورة إلى ما يسع جنده وينفذ أمره، فعلى من أراد الشرب نهارا أن يكون في مجلس مرتفع مكشوف، يسرح فيه النظر إلى البعيد من الجنان والخضرة والمياه، بحيث يشتمل على الوجوه الحسان والأصوات الحسنة بالأغاني المناسبة؛ كالتغزل بذكر المحاسن أول الشرب والكرم أوسطه، ثم يذكر الشجاعة والهمة والغيرة آخره، ويكون ذكر ذلك كله على الآلات والتوقيعات التامة، ويكون المجلس مشتملا على المجامر المشتملة على العود والعنبر.

وأن يكون المجلس مشتملا على فرش الزهور، ورش المياه الممسكة، والمياه المستخرجة من الزهور، وأن تتعطر المطاعم اللذيذة، وكذا الملبوسات اللطيفة، وتعطر المناديل وإن كان ليلا أضيف إلى ذلك الفرش الذي يميل للحمرة والصفرة والألوان المفرحة من الأقمشة، ثم يكثر من إيقاد الشموع ليعظم نورها إذا رفعت الكاسات ويتضح ضوءها وتظهر بهجتها عند تناول الطاسات، ويكون ذلك في محل مزخرف، وتكون الكاسات من البلور الصافي، وأن يطوف بها صبيح

الوجه صافي اللون معتدل القامة حسن الملبس، فإذا تهيأ ذلك فليبدأ بأخذ الكاسات إلى أن يستقر الكأس الأول، وما دام التفريح يزيد والبدن ينمو والفكر يصفو، فإن الشراب جيد فإما إذا أحس بالتكاسل بمعنى أنه سكر وجب حينئذ الترك، فمن سلك هذا المسلك حرك الشراب قوته، فترافقت إلى النفس فانبعثت في مطلوباتها مستخدمة العقل في استحثاث الحواس على تحصيل مدركاتها، فتوجه إليها فإذا لم تجد مطلوباتها رجعت وبالعكس، وحينئذ يكون الغم بقدر المفقود من اللذات، أي: من الآلات التي بها الالتذاذ.

وهكذا ومن ثم تجب المبالغة في تنظيف مجلس الشراب من كل مكروه للنفس ومبغوض عن العقل، ويجب أن يحف مجلس الشراب بكل محبوب، وكل ذي ذوق لطيف، وهذا القانون يفيد المنافع البدنية وهي تنقية الأخلاط بالتنفيذ للدم، والتقطيع للبلغم، والإسهال للسوداء، والإدرار للصفراء، والهضم والتصفية، أو المنافع النفسية؛ كالخفة والنشاط والفرح والسرور والشجاعة والكرم واللطف والظرف والأنس والابتهاج، انتهى من تذكرة داود الأكمه.

وأقول: إن هذا نقل صواب معقول الأسباب إليه مرجع الراحة والحلول في هذه الساحة، فإنها نعم المنزل الهني والمورد السني، شرابها يحلو وظلها على جميع الظلال يعلو.

* * *

خاتمة الباب

وتحفة لذوي الآداب

أقول ـ وبالله التوفيق ـ : إن أواني الراح لا بد وأن تكون صافية رائقة بشرط أن تكون لا كبيرة جدا ولا صغيرة جدا ، بل تكون متوسطة .

قال بعضهم : إن الآنية الكبيرة تعنِّي حاملها والصغيرة تحمل على كثرة الذهاب والإياب .

وقال بعضهم : إن الكبير من الآنية ينافي السرور ؛ لكثرة ما فيه لأن الكثير ربما سئمت منه النفوس ، والواجب في كأس الشراب أن يكون صغيرا لتشتاق النفس بعده إلى غيره فتحصل النشوة ، ويتم اعتدال المزاج ولو كان بغير ذلك لم يتم .

قال معدن الرشاقة ابن الرشاقة : الذي عندي أن ذلك يختلف باختلاف أحوال الشاربين :

* فمنهم من لم يتم له السرور إلا إذا كان الإناء كبيرا .
* ومنهم من يكتفي بالإناء الصغير .
* ومنهم من يرغب كونه متوسطا ، ولعل هذا المذهب هو الصواب .

انتهى .

قال الصاحب بن عباد[1] .....

---

(١) إسماعيل بن عباد بن العباس ، أبو القاسم الطالقاني (٣٢٦ ـ ٣٨٥هـ) : وزير غلب عليه الأدب ، فكان من نوادر الدهر علما وفضلا وتدبيرا وجودة رأي ، استوزره مؤيد الدولة ابن بويه الديلمي ثم أخوه فخر الدولة ، ولقب بالصاحب لصحبته مؤيد الدولة من صباه ، فكان يدعوه بذلك ،=

رحمه الله تعالى[١] : [الكامل المحذوذ]

رق الزجاج وراقت الخمر ... فتشابها وتشاكل الأمر
فكأنما خمر ولا قدح ... وكأنما قدح ولا خمر

وقال ابن تميم الخياط : [المتقارب]

صفراء لو لاحت لشمس الضحى ... من قبل أن تطلع لم تطلع
أحسن ما في وصفها أنها ... لم تجمتع والهم في موضع

وقال الأخطل[٢] : [الطويل]

إذا ما نديم علني ثم علني ... ثلاث زجاجات لهن هدير
أبيت أجر الذيل فيها كأنني ... عليك أمير المؤمنين أمير[٣]

=ولد في الطالقان (من أعمال قزوين) وإليها نسبته، وتوفي بالري ونقل إلى أصبهان فدفن فيها، له تصانيف جليلة، منها: المحيط، والوزراء، والكشف عن مساوئ شعر المتنبي، والإقناع في العروض وتخريج القوافي، وغيرها، وله شعر في ديوان، وتواقيعه آية الابداع في الإنشاء. انظر: الأعلام ١/ ٣١٦، معجم الأدباء ٢: ٢٧٣ ـ ٣٤٣ ومعاهد التنصيص ٤:١١١ وابن الوردي ١: ٣١٢ وابن خلدون ٤: ٤٦٦ وابن خلكان ١: ٧٥ والمنتظم ٧: ١٧٩ وإنباه الرواة ١: ٢٠١.

(١) ريحانة الألبا ص ١١٨، ومحاضرات الأدباء ١/ ٣١٢.

(٢) غياث بن غوث بن الصلت بن طارقة بن عمرو، من بني تغلب، أبو مالك (١٩ ـ ٩٠هـ): شاعر، مصقول الألفاظ، حسن الديباجة، في شعره إبداع، اشتهر في عهد بني أمية بالشام، وأكثر من مدح ملوكهم، وهو أحد الثلاثة المتفق على أنهم أشعر أهل عصرهم: جرير، والفرزدق، والأخطل، نشأ على المسيحية، في أطراف الحيرة (بالعراق) واتصل بالأمويين فكان شاعرهم، وتهاجى مع جرير والفرزدق، فتناقل الرواة شعره، وكان معجبا بأدبه، تياها، كثير العناية بشعره، ينظم القصيدة ويسقط ثلثيها ثم يظهر مختارها، وكانت إقامته طورا في دمشق مقر الخلفاء من بني أمية، وحينا في الجزيرة حيث يقيم بنو تغلب قومه، وأخباره مع الشعراء والخلفاء كثيرة. الأعلام ٥/ ١٢٣، الأغاني طبعة دار الكتب ٨: ٢٨٠ والشعر والشعراء ١٨٩ وشرح شواهد المغني ٤٦ وخزانة البغدادي ١: ٢١٩ ـ ٢٢١.

(٣) البيتان في الأغاني ٧/ ٤١١، والزهرة ٢/ ١٤.

وهذا من أبدع الأبيات الشاهدة لمنشئها بعلو الهمة في الشعر والثبات.

وقال عبد المحسن: [مجزوء الكامل]

راقت فكادت لا يرى ... في كأسها إلا التماس
لولا الحباب لخالها ... شرابها في الكأس كاس

وقال ابن المعتز: [الطويل]

معتقة صاغ المزاج لرأسها ... أكاليل در ما لمنظومها سلك
جرت حركات الزهر[(١)] فوق سكونها ... فذابت كذوب التبر أخلصه[(٢)] السبك
وأدرك منها الغابرون[(٣)] بقية ... من الروح في جسم أضرَّ به النهك
وقد خفيت من لطفها[(٤)] فكأنها ... بقايا يقيني[(٥)] كاد يذهبه[(٦)] الشك[(٧)].

وقال ابن المهدي: [البسيط]

يا من يحاول شرب الراح بشربها ... ولا يفك بما يلقاه قرطاسا
الكيس والكأس لا يقضي املأوهما ... ففرغ الكيس حتى تملا الكاسا

وقال مجير الدين بن تميم: [الكامل]

لو كنت شاهدنا وقد جلت لنا ... في كأسها حتى انتشى الندماء
لرأيت أحسن ما يرى بزجاجة ... سال النضار[(٨)] بها وقام الماء

---

(١) في الديوان: «الدهر».
(٢) في الديوان: «أخلصها».
(٣) في الديوان: «الآخرون».
(٤) في الديوان: «صفوها».
(٥) في الديوان: «يقين».
(٦) في الديوان: «يدركه».
(٧) ديوان ابن المعتز ٢/ ٣٠٠.
(٨) النضار: الخالص من كل شيء. يقال: ذهب نضار، والذهب يقال: لها سوار من نضار، =

وقال ابن تميم الطائي وأجاد فيما قال[١] : [الكامل]

ما زال يشربها وتشرب عقله سكرا وتؤذن روحه برواح
حتى انثنى متوسد بيمينه ثملا وأسلم روحه للراح

وقال ديك الجن[٢] : [الوافر]

إذا العشرون من شعبان ولت فواصل شرب ليلك بالنهار
ولا تشرب بأقداح صغار فإن الوقت ضاق على الصغار[٣]

وقال بعضهم تضمينا : [الوافر]

ليالي الأنس يا صاح استقلت وأيام العبادة قد أظلت
ألم تسمع بما قد قيل قدما إذا العشرون من شعبان ولت

وقال ابن حجة الحموي[٤] : [البسيط]

نزه لحاظك في عذارء قد جليت وزانها من حباب الدار إكليل

= وأثل ورسي اللون بغور الحجاز يقال : أهداني قدحا من نضار . الوسيط (ن ض ر) .

(١) البيتان في المحب والمحبوب والمشموم والمشروب ١/ ٢٨٤، وزهر الآداب ١/ ٤١٥.

(٢) عبد السلام بن زغبان بن عبد السلام بن حبيب الكلبي، المعروف بديك الجن (١٦١ - ٢٣٥هـ) : شاعر مجيد، فيه مجون، من شعراء العصر العباسي، سمي بديك الجن لأن عينيه كانتا خضراوين، أصله من سلمية (قرب حماة) ومولده ووفاته بحمص (في سورية) لم يفارق بلاد الشام، ولم ينتجع بشعره. انظر: الأعلام ٤/ ٥، وفيات الأعيان ١: ٢٩٣.

(٣) البيتان منسوبان لأبي نواس في المحاضرات في الأدب واللغة لليوسي ٣٥٤، وزهر الأكم، وتنسب للفقيه أحمد بن علي المشكهري في خريدة القصر ٢/ ١٥٤.

(٤) أبو بكر بن علي بن عبد الله الحموي الأزراري، تقي الدين ابن حجة (٧٦٧ - ٨٣٧ هـ = ١٣٦٦ - ١٤٣٣م) : إمام أهل الأدب في عصره، وكان شاعرا جيد الإنشاء، من أهل حماة (بسورية) ولد ونشأ ومات فيها، اتخذ عمل الحرير وعقد الأزرار صناعة له في صباه، فنسب إليها، وله مصنفات كثيرة. انظر: الأعلام ٢/ ٦٧، الضوء اللامع ١١/ ٥٣، وآداب اللغة ٣/ ١٢٥، وكشف الظنون ١٣٦٦، دائرة المعارف الإسلامية ١/ ١٣٥.

وانظر إلى الكأس ترشافا ومبتسما كأنه منهل بالراح معلول

وقال الشهاب ابن حجر[١] وفيه اكتفاء:

أطيل الملام لمن لامني وأملأ في الروض كأس الطلا
وأهوى الملاهي وطيب الملاذ وها أنا معكتف في الملا

وقال الرصافي الأندلسي[٢]:

وعيشة نعمت بها أرواحنا والخمر قد أخذت هنالك حقها
وكأنما إبريقنا لما جثا أبقى حديثا للكئوس وقهقها[٣]

وقال آخر وأجاد في قوله إذ قد شرب من علله ونهله[٤]: [المنسرح]

---

(١) أحمد بن علي بن محمد الكناني العسقلاني، أبو الفضل، شهاب الدين، ابن حجر (٧٧٣ - ٨٥٢هـ): من أئمة العلم والتاريخ، أصله من عسقلان (بفلسطين) ومولده ووفاته بالقاهرة، ولع بالأدب والشعر ثم أقبل على الحديث، ورحل إلى اليمن والحجاز وغيرهما لسماع الشيوخ، وعلت له شهرة فقصده الناس للأخذ عنه وأصبح حافظ الإسلام في عصره، قال السخاوي: (انتشرت مصنفاته في حياته وتهادتها الملوك وكتبها الأكابر). وكان فصيح اللسان، راوية للشعر، عارفا بأيام المتقدمين وأخبار المتأخرين، صبيح الوجه، وولي قضاء مصر مرات ثم اعتزل، أما تصانيفه فكثيرة جليلة، منها: الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة، ولسان الميزان، والأحكام لبيان ما في القرآن من الأحكام، وغيرها. انظر: الأعلام ١/ ١٧٨، التبر المسبوك ٢٣٠، والضوء اللامع ٢: ٣٦ والبدر الطالع ١: ٨٧ وخطط مبارك ٦: ٣٧، وبدائع الزهور ٢: ٣٢، وانظر ترجمته لنفسه في كتابه رفع الإصر ١: ٨٥.

(٢) الرصافي الشاعر محمد بن غالب، أبو عبد الله الأندلسي الرصافي رصافة بلنسية نزيل مالقة. كان يعيش بالرفو، وكان شاعر زمانه، شعره مدون ينافس فيه لم يتزوج، وهو متعفف، روى عنه أبو علي ابن كسرى المالقي وأبو الحسين ابن جبير. توفي سنة اثنتين وسبعين وخمس مائة. ترجمته في: المعجب، ص ٢٨٦، والتكملة ٢/ ٥٢٠، والمغرب ٢/ ٣٤٢، والمقتضب من التحفة، ص ٥٦، ورايات المبرزين، ص ٨٤، وجذوة الاقتباس، ص ١٦٤، وشذرات الذهب ٤/ ٢٤١، ووفيات الأعيان ٤/ ٤٣٢، والوافي بالوفيات ٢/ ٥٩.

(٣) البيتان في نفح الطيب ٤/ ١١١.

(٤) البيتان لأبي طاهر بن مكنسة، انظر: الكشكول ١/ ١٢٢، الوافي بالوفيات ٦/ ٢٨٤، فوات=

إبريقنا عاكف على قدح كأنه الأم ترضع الولدا
أو عابد من بني المجوس إذا توهَّم الكأسَ شعلة سجدا

وقال أبو[١] شراعة اليمني[٢]: [البسيط]

لا خير في العيش فاسمع قول ذي نصُح إن أنت لم تغد سكرانا ولم ترح
من خمرة كشعاع الشمس صافية تنفي الهموم بأنواع من الفرح
ما زلت أشربها والليل معتكر حتى أكب الكرى رأسي على القدح

وقال أبو نواس[٣]: [مجزوء الرمل]

إنما الدنيا طعام ومدام وغلام
فإذا فاتك هذا فعلى الدنيا السلام

وقال ابن المعتز[٤]: [الطويل]

وحمراء قبل المزج صفراء بعده بدت بين ثوبي نرجس وشقائق
حكت وجنة المعشوق صرفا فسلطوا عليها مزاجا فاكتست لون عاشق
فقم واغتنم واشرب على كل روضة وفي كل بستان وبين الحدائق
فما العمر إلا صحة وشبيبة وكأس وقرب من حبيب موافق

=الوفيات ٤/ ٣٠٠، خريدة القصر٤/ ٢٠٨.

(١) في الأصل: «ابن»، والمثبت من مصادر ترجمته، وهو: أبو شِراعَة (٢٣٠هـ/٨٤٤م) أحمد بن محمد بن شراعة القيسي. شاعر عباسي من شعراء البصرة في القرن الثالث، جمع بين قبح الخلقة وسماحة الخلق، صحب الجاحظ ورثاه عند موته، وصحب دعبل الخزاعي وعبد الصمد المعذل الجماز وغيرهم. عمّر طويلاً، من أشعر أهل زمانه، ونقل شعره من طريق ابنه أبو الفياض سوّاء وهو أيضاً شاعر. له شعر في كتاب شعراء عباسيون منسيون.

(٢) الأبيات في قطب السرور في أوصاف الخمور، ص ٤١٩.

(٣) الكشكول ١/ ٢٧٣، ومحاضرات الأدباء ٢/ ٢٢٠.

(٤) ليس الشعر لابن المعتز، بل لابن دريد الأزدي، انظر: ديوان ابن دريد ٨٦، وديوان المعاني ٢/ ٢٤٩، ووفيات الأعيان ٤/ ٣٢٧، والوافي بالوفيات ١/ ٢٨٨.

ومن عرف الأيام لم يغترر بها فبادر إلى اللذات قبل العوائق

وقال الآخر على لسان الكأس[1] : [الطويل]

أدور لتقبيل الثنايا ولم أزل أجود بروحي للنديم وأنفاسي
وأكسو جميع القوم ثوبا مهذبا ومن أجل هذا لقبوني بالكاسي

وقال غيره[2] : [مجزوء البسيط]

أقول للكأس إذا تبدى في كف ظبي أغن أحور
خربت بيتي وبيت غيري وأصل ذا كعبك المدور

وقال آخر : [مجزوء الكامل]

أصبحت من أغنى الورى مستبشرا بالفرح
الراح عندي ذهبٌ أكاله بالقدح

وحيث انتهى ما يعتدل به المزاج من الشراب، والكلام على مجلسه النفيس، وما ورد في ذلك من الأشعار، والألفاظ الرائقة في هذا المعنى كثيرة، والعبارات الرشيقة فيها شهيرة، ولكنا اختصرنا خوف الملالة، وأوجزنا مخافة الإطالة؛ فإن القليل مستعذب والوجيز يطرب لا سيما إذا كان في محبوب أو شيء يكون هو المرغوب، فقد لاح لنا أن نذكر مجلس الأنس والابتهاج، وما قيل في شمعه الوهاج فقلنا :

* * *

(١) البيتان للشاب الظريف في ديوانه ١٠٢، ونفحة الريحانة ٢/ ١٣٢.

(٢) البيتان للنصير الحمامي، انظر: الوافي بالوفيات ٧/ ٣٣٦، أعيان العصر ٣/ ٣٢، عقد الجمان ص ٤٥١.

obeikandl.com

الباب السادس

في ذكر مجلس الأنس والابتهاج

وما قيل في شمعه الوهاج

اعلم أن هذا مقصد شريف، وملحظ مُنيف؛ فإن المجلس أهم ما يحافظ عليه وتدعو حاجة الجالسين فيه إليه.

قال صفي الدين الحلي في وصف المجلس[١]: [البسيط]

ومجلس راق من واش يكدره ... ومن رقيب له باللوم إيلام
ما فيه ساع سوى الساقي وليس به ... بين الندامي سوى الريحان[٢] نمام

وقال البرهان القيراطي: [المتقارب]

أطربنا العود إلى أن غدا ... مجلسنا يرقص مع صحبه
فشمعه قام على ساقه ... وكأسه دار على كعبه

وقال الصفي الحلي[٣]: [الوافر]

ومجلس لذة أمسى دجاه ... يضيء كأنه بدر[٤] منير
تجمع فيه مشموم وراح ... وعيدان[٥] وولدان وحور
تلذذت الحواس الخمس[٦] فيه ... بخمس يستتم بها السرور

---

(١) البيتان في ديوان سيف الدين المشد، ص ١٢٨، والمستطرف ٢/ ١٤، والوافي بالوفيات ٤/ ٣٢١، وديوان الصبابة ٢٥٤.

(٢) في الأصل: «النمام»، والمثبت من مصادر التخريج.

(٣) انظر: ديوانه ٣٠٩.

(٤) في الديوان: «صبح».

(٥) في الديوان: «وأوتار».

(٦) في الديوان: «اللمس».

فكان الضم قسم اللمس مني[١] وقسم الذوق كاسات تدور
وللسمع الأغاني والغواني لناظرنا[٢] وللشم البخور

وقال ابن مكانس: [الطويل]

انظر لمجلسنا وكاسات بدت منها الشموس وليس فيها المشرق
وغدا لمجلسه وشاذر وانه عين مسهدة وقلب يخفق
والشمع في وهج وفرط تلهُّب وحشا يذوب وعبرة تترقرق

وقال ابن التعاويذي[٣]: [الطويل]

إذا اجتمعت في مجلس الأنس سبعة فبادر فما التأخير عنه صواب
شواء وشمام وشهد وشادن وشمع وشاد مطرب وشراب

(تنبيه):

اعلم أنه قد نحا نحو ابن التعاويذي في هذا جماعة من الشعراء، وكل منهم اختار سبعة أحرف جمعها في كلامه، فقد قال صلاح الدين الصفدي[٤]: [البسيط]

---

(١) في الديوان: «فيه».

(٢) في الديوان: «لأعيننا».

(٣) محمد بن عبيد الله بن عبد الله، أبو الفتح، المعروف بابن التعاويذي، أو سبط ابن التعاويذي: شاعر العراق في عصره، من أهل بغداد، مولده ووفاته فيها، ولي بها الكتابة في ديوان المقاطعات، وعمي سنة ٥٧٩ وهو سبط الزاهد أبي محمد ابن التعاويذي، كان أبوه مولى اسمه نشتكين فسمي عبيد الله. انظر: الأعلام ٦/ ٢٦٠، النجوم الزاهرة ٦: ١٠٥.

(٤) خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي، صلاح الدين (٦٩٦ - ٧٦٤هـ): أديب، مؤرخ، كثير التصانيف الممتعة، ولد في صفد بفلسطين وإليها نسبته، وتعلم في دمشق فعانى صناعة الرسم فمهر بها، ثم ولع بالأدب وتراجم الأعيان، وتولى ديوان الإنشاء في صفد ومصر وحلب، ثم وكالة بيت المال في دمشق، فتوفي فيها، له زهاء مئتي مصنف، منها: الوافي بالوفيات، والشعور بالعور، ونكت الهميان. انظر: الأعلام ٢/ ٣١٥، الدرر الكامنة ٢: ٨٧ وطبقات الشافعية ٦: ٩٤.

إن قدر الله لي بالوصل[١] واجتمعت ... سبع فما أنا في اللذات مغبون
قصر وقدر وقوّاد وقحبته ... وقهوة وقناديل وقانون[٢]

وقال أيضا وأجاد في قوله[٣] : [الطويل]

وسبع إذا ما الدهر أنعم لي بها[٤] ... فمالي عليه بعد ذلك مطلوب
مقام ومشروب ومأكول شهوة ... وملهى ومركوب ومال ومحبوب

وقال السراج الوراق[٥] : [البسيط]

عندي فديتك سبع لا نظير لها ... ألقى بها الحزن إن وافى وإن وردا
راح وروح وريحان وريق رشا ... ورفرف ورياض زخرفت وردا[٦]

وقال ابن سكرة[٧] : [البسيط]

---

(١) في مصدر التخريج : « في العمر » .

(٢) البيتان في الوافي بالوفيات ١/ ٤٢٣.

(٣) البيتان في الوافي بالوفيات ١/ ٤٢٣.

(٤) رواية هذا الشطر في الوافي بالوفيات :

ثمانية إن يمسح الدهر لي بها

(٥) عمر بن محمد بن حسن ، أبو حفص ، سراج الدين الوراق (٦١٥ ـ ٦٩٥هـ) : شاعر مصر في عصره ، كان كاتبا لواليها الأمير يوسف بن سباسلار ، له ديوان شعر كبير ، في سبعة مجلدات ، اختار منه الصفدي (لمع السراج) ، وله نظم درة الغواص ، توفي بالقاهرة . انظر : الأعلام ٥/ ٦٣، فوات الوفيات ٢: ١٠٧ والنجوم الزاهرة ٨: ٨٣.

(٦) البيتان في النجوم الزاهرة ٢/ ١٠٤. منسوبان للسراج والوراق ، ووردا في ديوان ابن لبال الشريشي ، وروايتهما فيه :

عِندي فديتكَ راءاتٌ ثمانيةٌ ... ألقى بها الحَرَّ إن وافَى وإن بَرَدا
رَفٌ ورَوح ورَيحانٌ وريقُ رشاً ... ورفرف ورياضٌ ناعم وردا

(٧) محمد بن عبد الله بن محمد الهاشمي ، أبو الحسن ، المعروف بابن سكرة ، من ولد علي بن المهدي العباسي (توفي ٣٨٥هـ) : شاعر كبير ، من أهل بغداد ، له ديوان شعر في أربعة مجلدات يربي على خمسين ألف بيت . انظر : الأعلام ٦/ ٢٢٥، وفيات الأعيان ١: ٥٢٦.

إذا بلغت من الدنيا ولذتها سبعا فإنّي في اللذات سلطان
خمر وخود[١] وخاتون وخادمها وخضرة وخلاعات وخلان[٢]

وقال أيضا[٣] : [البسيط]

جاء الشتاء وعندي من حوائجه سبع إذا القطر عن حاجاتنا حبسا
كيس وكن وكانون وكأس طلا مع الكباب وكس ناعم[٤] وكسا

وقال الشيخ شهاب الدين[٥] مبدلا الكافات طاءات : [البسيط]

وللشتا سبع طاءات قد انتظمت كأنها درر والسمط إبريز
طلا وطاس وطنبور وطيب شذا وطيلسان وطباخ كذا طيز

وعلى اختلاف مذاهبهم في الطلب ورغبتهم في الأدب ، وقع الاختلاف في أشخاص المطلوبات وإن توافقوا في تمام العدد ؛ ولذلك ذكرنا ما هم مختلفون فيه ، ولكن الظن بالعباد خيرا أحسن ، وحمل الأمور على التأويل أجمل

---

(١) في الأصل : « خور » ، والمثبت من مصدري التخرسيج ، والخود : الشابة الناعمة الحسنة الخلق . الوسيط (خ و د) .

(٢) البيتان للصفدي في الوافي بالوفيات ١/ ٤٢٣، وانظر النجوم الزاهرة ٢/ ١٠٤.

(٣) انظر : ديوانه ١٨٧، والوافي بالوفيات١٣/ ٢٥٢، ومقامات الحريري ، ص ٢٥٥، ووفيات الأعيان ٤/ ٤١٢.

(٤) في الأصل : « عاكم » ، والمثبت من الديوان والمصادر .

(٥) شهاب الدين (١٢١٠ - ١٢٧٤هـ/١٧٩٥ - ١٨٥٧م) هو : محمد بن إسماعيل بن عمر المكي ، ثم المصري المعروف بشهاب الدين : أديب ، من الكتاب ، له شعر . ولد بمكة ، وانتقل إلى مصر ، فنشأ بالقاهرة ، وتعلم في الأزهر . وأولع بالأغاني وألحانها . وساعد في تحرير جريدة (الوقائع المصرية) وتولى تصحيح ما يطبع من الكتب في مطبعة بولاق . واتصل بعباس الأول (الخديوي) فلازمه في إقامته وسفره . ثم انقطع للدرس والتأليف ، فصنف (سفينة الملك ونفيسة الفلك) في الموسيقي والأغاني العربية ، ورسالة في (التوحيد) وجمع (ديوان شعره) وتوفي بالقاهرة .

ترجمته في : الأعلام ٦/ ٣٨.

وأمكن، فالذي نعرفه أن الشيخ شهاب صاحب **السفينة** الموقرة بالمواعظ والألحان المكينة، كان مشهورا بنزاهة النفس والميل إلى معالي الأمور وترجيح نهج سنن الاستقامة، وإنما حكى ذلك محاكاة للملحدين وتنزيلا في الكلام مع المبطلين، ليكون خلاصا له من شرهم، وإبعادا له عن مكرهم، ونقول فيمن قبله بمثله، والله سبحانه يعلم ما عليه العباد من الأحوال، وهو سبحانه ذو الجود والإفضال.

ولنرجع للكلام على الشمع خاصة إذ كان أحد قسمي الترجمة تتميما لما وعدنا به فيها؛ فإن ترك الوفاء لا يعد مكرمه فنقول: قال الصفي الحلي في وصف الشمع الموقود في مجلس الأنس والابتهاج: [المنسرح]

بيضاء مثل القضيب قامتها ضياؤها في الظلام منتدب
كأنها حين أوقدت وبدت رمح لجين[1] سنانه ذهب

وقال القاضي الفاضل[2]: [الطويل]

بكت قبل ما أبكى وفاضت دموعها ولم تفش أسرارا كفيض دموعي

---

(١) اللجين: الفضة. الوسيط (ل ج ن).

(٢) عبد الرحيم بن علي بن السعيد اللخمي، المعروف بالقاضي الفاضل (٥٢٩ - ٥٩٦هـ): وزير، من أئمة الكتاب، ولد بعسقلان (بفلسطين) وانتقل إلى الإسكندرية، ثم إلى القاهرة وتوفي فيها، كان من وزراء السلطان صلاح الدين، ومن مقربيه، ولم يخدم بعده أحدا، قال بعض مترجميه: (كانت الدولة بأسرها تأتي إلى خدمته). وكان السلطان صلاح الدين يقول: (لا تظنوا أني ملكت البلاد بسيوفكم بل بقلم الفاضل). وكان سريع الخاطر في الإنشاء، كثير الرسائل، قيل: لو جمعت رسائله وتعليقاته لم تقصر عن مئة مجلد، وهو مجيد في أكثرها. وقد بقي من رسائله مجموعات، منها: ترسل القاضي الفاضل، ورسائل إنشاء القاضي الفاضل، والدر النظيم في ترسل عبد الرحيم، ولابن سناء الملك كتاب فصوص الفصول وعقود العقول، أكثره من إنشاء القاضي الفاضل، وله ديوان شعر. انظر: الأعلام ٣/ ٣٤٦، النجوم الزاهرة ٦: ١٥٦ وابن خلكان ١: ٢٨٤ وخطط مبارك ٦: ١٢.

إشارة مظلوم وعبرة عاشق ... ووقفة[١] مأسور ولون مروع[٢]

وقال الطغرائي[٣] : [الكامل]

وأنيسة[٤] لي في الظلام وحيدة ... باتت[٥] مجاهدة كمثل جهادي

اللون لوني والدموع كأدمعي ... والوجد وجدي[٦] والسهاد سهادي

لا فرق فيما بيننا لو لم يكن ... لهبي خفيا وهو فيها بادي[٧]

وقال الصقلي[٨] : [الكامل]

وافى إلي بشمعة وضياؤه ... وضياؤها يحكي لنا القمرين

---

(١) في الديوان : « وغصة » .

(٢) ديوان القاضي الفاضل ، ص ١٢٢.

(٣) الحسين بن علي بن محمد بن عبد الصمد ، أبو إسماعيل ، مؤيد الدين ، الأصبهاني الطغرائي (٤٥٥ ـ ٥١٣هـ) : شاعر ، من الوزراء الكتاب ، كان ينعت بالأستاذ ، ولد بأصبهان ، واتصل بالسلطان مسعود بن محمد السلجوقي صاحب الموصل فولاه وزارته ، ثم اقتتل السلطان مسعود وأخوه السلطان محمود ، فظفر محمود وقبض على رجال مسعود ، وفي جملتهم الطغرائي ، فأراد قتله ثم خاف عاقبة النقمة عليه ؛ لِمَا كان الطغرائي مشهورا به من العلم والفضل ، فأوعز إلى من أشاع اتهامه بالإلحاد والزندقة فتناقل الناس ذلك ، فاتخذه السلطان محمود حجة ، فقتله ، ونسبة الطغرائي إلى كتابة الطغراء . انظر : الأعلام ٢/ ٢٤٦، الأنساب ، للسمعاني ٥٤٣ وكشف الظنون ٦٨.

(٤) في الديوان : « ونديمة » .

(٥) في الديوان : « مثلي » .

(٦) في الديوان : « والقلب قلبي » .

(٧) الأبيات منسوبة للحسن بن أسد الفارقي في ديوانه ، ومعجم الأدباء ١/ ٢٣٠، وخريدة القصر ٢/ ٥٢.

(٨) الكاتب الصقلي (قبيل ٥٠٠هـ/قبيل ١١٠٦م) هو : علي بن عبد الرحمن بن أبي البشر الأنصاري ، أبو الحسن ، المعروف بالكاتب الصقلي : شاعر . من محاسن جزيرة صقلية يوم كانت تعد من المغرب . له ديوان شعر .
ترجمته في الأعلام ٤/ ٢٩٨.

فسألته من أنت يا كل المنى فأجابني عثمان ذو النورين[١]

وقال أيضا : [الكامل]

لم أنسه إذ جاء يحمل شمعة كالبدر ليلة تمه في سعده
فكأن لين قوامها من قده وكأن حمرة نارها من حده

وقال الشهاب الحجازي :

رأيت بمجلس رشأ مليحا يؤجج خده ناري عليه
قالت شمعة للخد منه وشبه الشيء منجذب إليه

وقال آخر وقد قام يقط رأس شمعة فمال عليها فطفئت[٢] : [البسيط]

يا أهل ذا المجلس السامي سرادقه ما ملت لكنني مالت بي الراح
وإن أكن مطفئا مصباح مجلسكم فما فتى فيه إلا وهو مصباح

* * *

(١) البيتان في المستطرف ٢/ ١٤٤.

(٢) البيتان لابن قزمان في المُغرب ص ١٩، والوافي بالوفيات ٢/ ٥٦.

obeikandl.com

خاتمة الباب

وتحفة لذوي الآداب

حكي أن مجير الدين بن تميم الخياط كان عشق غلاما وهام به، فسكر ذات ليلة وزاد به الشوق إليه، فخرج يريد أن يلقاه فوقع في أثناء الطريق لغلبة السُّكر، فمر عليه محبوبه وهو على تلك الحالة، فعرفه فأوقد مصباحا وجاء إليه وأقعده وجعل ينفض التراب عن ثيابه ووجهه ويمسح له عينيه وفمه، فسقط المصباح من يد الغلام على وجهه، فأحس بالحرارة ففتح عينيه فرأى محبوبه فاستيقظ من سكره وأنشد يقول[1]: [الكامل]

يا محرقا بالنار وجه محبه مهلا فإن مدامعي تطفيه
احرق بها جسدي وكل جوارحي واحذر على قلبي لأنك فيه

قيل لرجل: يقول لك الملك: تهيأ لمنادمتي.

فقال: وكيف أتهيأ؟

فقال له الرسول: إياك أن تبزق، أو تتنشق، أو تعطس.

فعند ذلك قال له: ارجع إليه وقل له: إنه استعظم عليك ولم يرغب الحضور عندك.

فبلغ الملك كلامه، فأمر بإحضاره، فلما جاء إليه قال له: لِمَ لَمْ تقبل منادمتي؟

فقال: إن هذا الأحمق قد شرط علي شروطا يهرب منها الشيطان، فإن رضيت أن تفسو علي وأنا أفسو عليك وإلا فلست بصاحبك.

---

(١) ثمرات الأوراق ٥١، وتزيين الأسواق ١٣٩، ونفح الطيب ٥/ ٢٥٩.

فضحك الملك منه وأمره بالجلوس بالمجلس.

سأل رجل آخر: كيف شربت الخمر؟

فقال: لو شئت لشربت مشرب شهر مقدما.

وقال أبو نواس[١]: الراح صديق الروح وقيد اللذات ومفتاح المسرات.

وقيل لأعرابي: كم تشرب من النبيذ؟

فقال: على مقدار النديم[٢].

وقيل: إنما يستعذب الراح بأخلاق النديم[٣].

وقال الأمين[٤]: أشرب الكأس وأشم الآس من غير نعاس، وذلك أحب إلي من مداراة الناس.

---

(١) القول في من غاب عنه المطرب ١٢٠ منسوبا لجالينوس.

(٢) محاضرات الأدباء ٢/ ٩٠.

(٣) السابق: نفس الموضع.

(٤) الأمين العباسي (١٧٠ ـ ١٩٨هـ/٧٨٧ ـ ٨١٣م) محمد بن هارون الرشيد بن المهدى ابن المنصور: خليفة عباسي. ولد في رصافة بغداد. وبويع بالخلافة بعد وفاة أبيه (سنة ١٩٣هـ) بعهد منه، فولى أخاه المأمون خراسان وأطرافها. وكان المأمون ولي العهد من بعده. فلما كانت سنة ١٩٥ أعلن الأمين خلع أخيه المأمون من ولاية العهد، فنادى المأمون بخلع الأمين في خراسان، وتسمى بأمير المؤمنين. وجهز الأمين وزيره (ابن ماهان) لحربه، وجهز المأمون طاهر بن الحسين، فالتقى الجيشان، فقتل ابن ماهان وانهزم جيش الأمين، فتتبعه طاهر بن الحسين وحاصر بغداد حصارا طويلا انتهى بقتل الأمين: قتل بالسيف، بمدينة السلام، وكان الذى ضرب عنقه مولى لطاهر، بأمره. وكان أبيض طويلا سمينا، جميل الصورة، شجاعا أديبا، رقيق الشعر، مكثرا من إنفاق الاموال، سيئ التدبير، يؤخذ عليه انصرافه إلى اللهو ومجالسة الندماء.
ترجمته في: المعارف: ٣٨٤ ـ ٣٨٦، تاريخ الطبري: ٨/ ٣٦٥، تاريخ بغداد ٣/ ٣٣٦، الكامل لابن الأثير ٦/ ٢٢١، العبر ١/ ٣٢٥، دول الإسلام ١/ ١٢٤، البداية ١٠/ ٢٢٢، تاريخ الخلفاء: ٢٩٧، شذرات الذهب ١/ ٣٥٠. الوافي بالوفيات ٥/ ١٣٥.

وقيل: الغناء بلا شراب كتحية بلا عطية، أو شجرة بلا ثمر.

والكلام في ذلك كثير الوصف فيه شهير، وفي هذا القدر كفاية وإن كان نزرا قليلا لكنه يشفي سقيما ويبرئ عليلا.

وحيث انتهى ما أوردناه من الكلام على مجلس الأنس، فلنشرع الآن في الكلام على ما يتعلق بالمكاتبات إلى مجلس الشراب؛ إذ ليس ذلك في علم كل أحد من الندماء الذين هم أعضاؤه فنقول:

* * *

obeikandl.com

الباب السابع

في المكاتبات والاستدعاء إلى مجلس الشراب

بين الأخلاء والأحباب

فمن المكاتبات ما لبعض الظرفاء، حيث كتب لبعض أصحابه فقال: نحن ـ أطال الله بقاء سيدنا ـ في بستان تنسم منه ريح الجنان، قد اتسعت أشجاره، وضحكت أزهاره، واطردت أنهاره، وغنت أطياره، ونحن في مقعد صدق لا كذب، ومحل جد لا لعب نتناشد الأشعار، ونتذاكر الأخبار، ونسير سير الأولين، ونطلع على أخبار المتقدمين، فإن تفضلت بالحضور في تلك الساعة فقد تم بك سرور الجماعة.

صورة استدعاء إلى مجلس أنس:

نحن في مجلس إيناس لا ينقص إلا إيناس حضرتك، وسرور خال من الإلباس، ولا يتم إلا بقدوم مطالع طلعتك، فإن قبلت هذه الإشارة وحضرت للزيارة تم سرورنا وكمل أنسنا، فتفضل ولا تتأخر، وهذا نهاية المقام وعليك منا جميعا أزكى السلام.

وكتب بعض الأندلسيين:

أشواقنا دعتنا إلى شرب الشراب، وقد حان حينه فوحق الحميا إنه في هذا الحين مستطاب، وإذ قد دعوناك ليتكامل سرورنا بذلك الجناب، وما من ذوقيّ دُعي إلا وأجاب، فبادر سيدي بالإجابة لنحظى منك بشموس المسرات والنجابة، ولا تقرب لنا (ليت) و(لعل) فهما اللتان أورثتانا العلل، واحضر على جناح السرعة فإن ذلك لدين الهوى شرعة.

وكتب آخر لصاحب له يستدعيه فقال :

سيدي ، مجلسنا مفتقر إليك ، معول في شوقه عليك ، وقد أبت راحه أن تصفو لنا إلا أن تتناولها يمناك ، وأقسم غناؤه لا يطيب إلا إن سمعته أذناك ، فأما خدود ورده فقد احمرت لإبطائك ، وأما عيون نرجسه فقد أحدقت شوقا إلى لقائك ، ونحن لغيبتك كعقد ذهبت واسطته ، وشباب أخذت جادته ، فإذا رأيت أن تحضر لنصل الواسطة بالعقد ونحصل بك في جنة الخلد فكن بحياتك أسرع إلينا من السهم إلى مقره والماء إلى ممره .

وكتب العتبي[١] فقال[٢] :

هذا يوم رقت غلائل صحوه ، وغنجت[٣] شمائل جوّه ، وضحكت ثغور رياضه ، وتنسم در النسيم فوق حياضه ، وفاحت مآثر الأزهار ، وانتشرت قلائد الأغصان من فرائد الأنوار ، وقامت خطباء الأطيار على منابر الأشجار ، ودارت أفلاك الأيدي بشموس الراح في بروج الأدنان والأقداح ، وسبينا العقل في مرج الجفون ، وخلعنا العذار بأيدي المجون ، فبحق الفتوة التي زان الله بها طبعك ، والمروءة التي قصر عليها أصلك وفرعك ، إلا ما تفضلت علينا بالحضور ونظمت

---

(١) العتبي(٢٢٨هـ/٨٤٢م) هو : محمد بن عبيد الله بن عمرو ، أبو عبد الرحمن الأموي ، من بني عتبة بن أبي سفيان : أديب ، كثير الأخبار ، حسن الشعر . من أهل البصرة ، ووفاته فيها . له تصانيف ، منها (أشعار النساء اللاتي أحبين ثم أبغضن) و(الأخلاق) و(أشعار الأعاريب) و(الخيل) . قال ابن النديم : كان العتبي وأبوه سيدين أديبين فصيحين . وقال ابن قتيبة : الأغلب عليه الأخبار ، وأكثر أخباره عن بني أمية . وهو غير العتبي المؤرخ (محمد بن عبد الجبار) . ترجمته في : الفهرست لابن النديم ١/ ١٢١، ووفيات الأعيان ١/ ٥٢٢، والمعارف ٢٣٤، وشذرات الذهب ٢/ ٦٥، والمرزباني ٤٢٠، وتاريخ بغداد ٢/ ٣٢٤، والأعلام ٦/ ٢٥٩.

(٢) يتيمة الدهر ٢/ ٢٨٨.

(٣) في اليتيمة : « وخنثت » .

لنا بك عقد السرور .

وكتب الصاحب عباد إلى صديق له :

نحن يا سيدي بمجلس أنس غني إلا عنك ، شاكر إلا منك ، قد تفتحت فيه عيون النرجس ، وتوردت فيه خدود الورد ، وفاحت فيه مجامر الأترج ، وانطلقت فيه ألسن العيدان ، وقامت فيه خطباء الأطيار ، وهبت فيه رياح الأفراح ، وتغنت فيه سواقي الأنس ، وقام فيه منادي الظرف ، وطلعت فيه كواكب الندمان ، وامتدت فيه سماء الند [فبحياتي][1] عليك إلا ما حضرتنا فنحظى بك في جنة الخلد ، ونصل الواسطة بالعقد .

صورة استدعاء إلى مجلس الأنس :

إن أعلى درجات الإيناس ، وأبهى دوحات يزول بها الإلباس ما نحن فيه من نواشد السرور ، وحواشد الحبور ، وبوادر النور ، وميادين الإشراق ، ومجامع الإطلاق ، خفقت علينا رايات الشرف ، وجمعتنا محاسن الطرف ، ونحن في روضة غنًّا لم يغب سوى سرورك عنا ، والشحرور[2] غرد فوق الأغصان ، وأطربتنا بصريرها ألحان الخلجان[3] ، ولكن سرورنا لم يكمل إلا بحضورك لدينا ، وشم نفحات قدومك إلينا ، فإن تفضلت بالحضور تم وكمل لنا وافر السرور ، واقتطفنا من ثمرات أغصان الزهور ما يوافينا بالحظ الموفور ، والله يديم لنا إجابتك ويؤيد نجابتك .

---

(١) في الأصل : « فحياتي » ، ولعل المثبت أنس للسياق .

(٢) الشحرور : طائر غريد من فصيلة الشحروريات ورتبة الجواثم المشرومات المناقير ، ذكره أسود وأنثاه أعلاها أسمر وصدرها إلى حمرة ، يصاد ويربى في أقفاص لحسن صوته . الوسيط (ش ح ر) .

(٣) جمع خليج وهو : امتداد من الماء متوغل في اليابس . الوسيط (خ ل ج) .

وكتب ابن سناء الملك[١] يستدعي بعض أحبته لمجلس الأنس وتلطف في ذلك فقال :

قد انتظمنا انتظام الجمان[٢] ، واجتمعنا على رغم أنف الزمان ، وعندنا فلان وفلان ، وما أدراك ما فلان ! تارة ينظر فيملأ علينا البيت سحرا ، وتارة يبتسم فينفق علينا درا ، فاحضر إلينا عَجِلًا ، وَبَلِّغْنَا بذلك أملا .

صورة استدعاء إلى مجلس الشراب كتبه البدر الصاحب[٣] إلى الفخر بن مكانس فقال :

هل لك يا سيدي ـ بسط الله آمالك ، وضاعف نعيمك ودلالك ـ في عذراء مصونة كالدرة المكنونة ، فتانة مفتونة ، كأنها وردة أو يتيمة مخدرة تدهش العقول بمجلاها ، وتغشى العيون بضوء محياها ، مظلومة الريق في تشبيهها بالضرب وباللثات وفي أنيابها شنب ، لها من ذاتها طرب يغني عن المزامير ، ولها صرح ممرد من قوارير ضرة للشمس ، وشقيقة للبدور ، وبقربها يلين

---

(١) هبة الله بن جعفر بن سناء الملك أبي عبد الله محمد بن هبة الله السعدي ، أبو القاسم ، القاضي السعيد (٥٤٥ ـ ٦٠٨هـ) : شاعر ، من النبلاء ، مصري المولد والوفاة ، كان وافر الفضل ، رحب النادي ، جيد الشعر ، بديع الإنشاء ، كتب في ديوان الإنشاء بمصر مدة ، وولاه الملك الكامل ديوان الجيش سنة ٦٠٦ ، من كتبه : دار الطراز (في عمل الموشحات) ، وروح الحيوان ، وغيرهما . انظر : الأعلام ٨/ ٧١ ، ابن خلكان ٢: ١٨٨ وشذرات الذهب ٥: ٣٥.

(٢) الجمان : اللؤلؤ ، وحب يصاغ من الفضة على شكل اللؤلؤ ، ونسيج من جلد مطرز بخرز ملون تتوشح به المرأة . الوسيط (ج م) .

(٣) بدر الدين البشتكي (٧٤٨ ـ ٨٣٠هـ/١٣٤٧ ـ ١٤٢٧م) هو : محمد بن إبراهيم بن محمد البشتكي ، الدمشقي الأصل ، الأنصاري ، القاهري ، الظاهري (بدر الدين ، أبو البقاء) أديب ، شاعر . نشأ بالقاهرة ، وتوفي بها فجأة في ١٣ جمادى الآخرة .
من آثاره : ديوان شعر ، ومركز الإحاطة في اختصار الإحاطة للسان الدين الخطيب .
ترجمته في : شذرات الذهب ٧: ١٩٥ ، ومعجم المؤلفين ٨/ ٢١٦.

ويرطب عيش السرور، وليلها من نور عروس في الاستماع تستخف الكريم بكشف القناع، تعصبت بالدياجي[1] وتلثمت بالصباح، وتلطفت حتى مازجت الريح، كريمة الأصل والفعال، لطيفة المعاني حسنة الخصال، أديمها كلما تعتق يغلو، ووردها كلما مر يحلو بخلع الوقور في حبها العذار، ويكاد يطيعها بالسعي فلك الهواء الدوار، ثملة المعاطف تقهقه قهقهة الرعونة كأنها خلقت نشوانة من طينة تزداد بثغرها طيبا ساعة السحر، وتعرف عينها الخفيفة بحسن الأثر، حديثها السحر الحلال، وعشيقها خليع الدلال، أيامها السعيدة أعياد، وأوقاتها أوقات القلوب والأكباد، يطيب بها عيش الجلاس، وتعرك بها أذن الوسواس من القاصرات الطرف في كل قصر، وهي على الحقيقة مليحة العصر، نديمها يحس أنه جالس على السحاب، وأنه أمير على كل أمير، مهاب يرى كأن الشمس والقمرين بيديه، أو كأنهما دينار أو درهم يعود نفعه عليه، له همم لا منتهى لكبارها بالقهر، وهمته الصغرى أجل من الدهر ورميته لها بالكيمياء معرفة لا بل هي بإدراك الطالب، منصفة فتارة تقلب الأحزان أفراحا، وتارة تكتال لك من الذهب أقداحا، نديمها يجد من نفسه مخايل المملكة، ويكاد من شهامتها يمد على الدنيا من لؤلؤها شبكة قينية كأنها غنت الفلك فنقطها بالنجوم، وتحلقت بعد أن تقمصت بقميص الغيوم، ترد مهورا عاليات الخطاب، وتجمع شمل الإخوان والأحباب، لو خالطها جبل لطاش، قتلت عشاقها لما نسبت إلى الأوباش، ولو قارنها جماد لقيل: إنه كاس. ولقال لسان الحال: فيها منافع للناس. لطفت حتى كاد رائيها يكون سامعا يطيب ويطرب، وحتى تكاد تؤكل بالضمير وتشرب، تغايرت الاستقصاءات على شكلها النوراني، وتأنقت في خلقها الجثماني والروحاني؛ فلذلك لم يجد الطيب له

(١) الدياجي: الظلمات. الوسيط (د ج ى).

فيها مدخلا لكن رضي منها بالتلطيف تطفلا على أنه وارثها بالتغلب، بل هو كان جدلا، أنفاسها مكية، وطباعها برمكية، ومكارمها حاتمية، وأنسابها قبرصية، وهي بكر بخاتم ربها ترضع أبناءها من صلبها، فتعيد الشيخ صبيا، والمشغول خليا، فكأنها استعارت الإرضاع من أمها التي لها ثدي كالنجوم عدة، وتعلمت منها المكارم لما رأت أكمامها بالندى ممتدة، ولا تنزل الحوادث ساحتها، ولا يعرف التعب من صافح راحتها، وهي وإن بالغ فيها الفصيح لا ينهض لوصفها، فالعجز حينئذ عن إدراك وصفها إدراك لوصفها.

وكتب أبو الوليد الشاطبي[1] يستدعي أصحابا له فقال:

نحن في روض مجلس أغصانه الندماء وغمامه الصهباء، فبالله عليك إلا ما كنت لروض مجلسنا نسيما، ولزهر حديثنا شميما، وللجسم روحا، وللطير ريحا، وبيننا عذراء حاجبها خدرها، وحباها ثغرها، بل شقيقة حوتها حمامة، وشمس حجبتها غمامة، إذا طاف بها معصم الساقي فوردة على غصنها أو شربها النديم مقهقهة فحمامة على قنها، طافت علينا طواف القمر على منزله الجليل، وحلت بإكليلنا وقد حان حلولها بالإكليل.

صورة استدعاء لمجلس أنس شريف:

سيدي ـ أيد الله نصرك، وعظم في البرية أمرك، وأعلى ذكرك، وأثقب

(١) أبو الوليد الشاطبي هو: محمد بن سعيد بن هشام بن الجنان ـ بتشديد النون ـ الشيخ فخر الدين أبو الوليد الشاطبي الحنفي؛ ولد سنة خمس عشرة وستمائة بشاطبة، وقدم الشام، وصحب الصاحب كمال الدين ابن العديم وولده قاضي القضاة مجد الدين، فاجتذباه ونقلاه من مذهب مالك إلى مذهب أبي حنيفة، ودرس بالإقبالية وكان أديباً فاضلاً وشاعراً محسناً، وكان يخالط الأكابر وفيه حسن عشرة ومزاج؛ وتوفي سنة خمس وسبعين وستمائة.

ترجمته في: الوافي ١/ ١٧٥، والبدر السافر: ١٠٣ واختصار القدح: ٢٠٦ والمغرب ٢/ ٨٣٣، ونفح الطيب ٢/ ١٢٠ وبغية الوعاة: ٤٥، وفوات الوفيات ٣/ ٢٦٣.

فكرك ـ نحب أن يجمعنا مجلس إيناس يكون خاليا من الباس، وأن يشملنا مقعد صدق مبين تسر بفيحاء نشره عموم الناظرين، ولا يكون هذا إلا إذا حضرت، وها هو معقود كما أمرت فبادر إليه وأتحفنا بحضورك، وتفضل ولو بمرورك، فساعة التصافي معقودة وألوية السرور ممدودة، ولكن سرور الجميع لا يتم إلا بحصنك المنيع، ويكون ذلك يوم الاثنين سادس ساعة من النهار سابع يوم من شهرنا هذا الفائق على غيره من دون إنكار، ومنا عليك مزيد التحية ودوام العز لسلطان المحبين من بين البرية.

ومن الاستهداء ما كتب به ابن العميد[1] إلى صديق له يستدعيه إلى الزيارة لمجلس أنس فقال:

قد اغتنمت الليلة ـ أطال الله بقاك ـ رقدة من الدهر، واختلست فرصة من العمر، وانتظمت مع أصحابي في سلك الثريا، فإن لم تحفظ علينا النظام بإهداء المدام عدنا كبنات نعش[2] والسلام.

---

(١) علي بن محمد بن الحسين، أبو الفتح ابن العميد (٣٣٧ ـ ٣٦٦هـ): وزير، من الكتاب الشعراء الاذكياء، يلقب بذي الكفايتين، وهو ابن أبي الفضل بن العميد الوزير العالي الشهرة (المتوفي سنة ٣٦٠هـ) خلف أباه في وزارة ركن الدولة البويهي بالري ونواحيها (سنة ٣٦٠) ولقبه الخليفة الطائع لله بذي الكفايتين (السيف والقلم) واستمر إلى أيام مؤيد الدولة بن ركن الدولة وأحبته القواد وعساكر الديلم، لكرمه وطيب أخلاقه، فخاف آل بويه بالعاقبة، فقبض عليه مؤيد الدولة وعذبه ثم قتله وأخباره كثيرة، على قصر مدته. انظر: الأعلام ٤/ ٣٢٥، إرشاد الاريب ٥: ٣٤٧ ـ ٣٧٥ ونكت الهميان ٢١٥ ويتيمة الدهر ٣: ٢٥ والإمتاع والمؤانسة ١: ٦٦.

(٢) بنات نعش: سبعة كواكب تشاهد جهة القطب الشمالي شبهت بحملة النعش، وجاء في الشعر (بنو نعش) قال النابغة الجعدي:

إذا ما بنو نعش دنوا فتصوبوا

والنعيش: السها وهو أخفى بنات نعش. الوسيط (ن ع ش).

حكى الثعالبي[١] أن ابن العميد هذا كان أبوه قد بالغ في تأديبه وتهذيبه، وجعل عليه عيونا ـ أي جواسيس ـ لينظروا ما يصدر منه من المكاتبات، فأخبره يوما بعض أصدقائه بأن ولده قد استهدى شرابا من صديق له في ليلة أنس، فوجَّه أبوه لذلك الشخص ـ أي توجه إليه ـ ليسأله عن هذه القضية هل هي صحيحة أو لا؟ ليطلع على تلك الرقعة، فلما توجه أبوه وطلب من ذلك الشخص تلك الرقعة التي أرسلها ولده إليه فأطلعه عليها فقرأها، فإذا قوله المتقدم ذكره، ففرح بذلك وسر به وأعجبه ذلك الاستهداء اللطيف وقال: الآن ظهرت براعته. ثم أمر له بألفي دينار، رحمه الله وغفر لنا وإياه.

ولنختم هذا الباب بما كتب من هذا القبيل نظما والله ولي التوفيق.

* * *

(١) عبد الملك بن محمد بن إسماعيل، أبو منصور الثعالبي (٣٥٠ ـ ٤٢٩هـ): من أئمة اللغة والأدب، من أهل نيسابور، كان فراء يخيط جلود الثعالب، فنسب إلى صناعته، واشتغل بالأدب والتاريخ، فنبغ، وصنف الكتب الكثيرة الممتعة، ومن كتبه: يتيمة الدهر، وفقه اللغة، وغيرهما. انظر: الأعلام ٤/ ١٦٣، معاهد التنصيص ٣: ٢٦٦ ومفتاح السعادة ١: ١٨٧ و ٢١٣ و ٤٩٩ وابن خلكان ١: ٢٩٠ وشذرات الذهب ٣: ٢٤٦.

خاتمة الباب

وتحفة لذوي الآداب

فمن ذلك ما كتبه بعضهم إلى صديق له يستدعيه إلى مجلس الأنس والشراب نظما فقال : [الوافر]

نجوم الليل قد طلعت نهارا ... وشرب الراح طاب إلى الوفود
فبادر بالحضور إلى الحميا ... فنحن من السرور على ورود
وماء النيل زوج بنت حان ... فهل لك أن تكون من الشهود

وكتب أبو الربيع السرقسطي[١] إلى نديم له يدعوه إلى مجلس أُنسٍ فقال[٢] :

بالراح والريحان والياسمين ... وبكرة الندمان قبل الأذين
وبهجة الروض بأندائه[٣] ... مقلدا منها[٤] بعقد ثمين
ألا أجب حقا[٥] ندائي إلى ... كاس تبدت لذة الشاربين
هامت بها الأعين من قبل أن ... يخبرها الذوق بحق اليقين
لاحت لدينا شفقا معلنا ... فكن لها بالله صبحا مبين

---

(١) السرقسطي : سليمان بن أحمد بن محمّد أبو الربيع ابن أبي عمر السرقطي . من الأندلس ، سمع بمصر عليّ بن إبراهيم بن سعيد الحوفي وبواسط عليّ بن عبيد الله بن عليّ القصّاب ، وأقام ببغداد يُؤدّب الصبيان ، وقرأ بالروايات عَلَى القاضي أبي العلاء محمّد بن عليّ بن يعقوب الواسطي ، وسمع منه ومن عبد الملك بن محمّد ابن عبد الله بن بشران وغيرهما ، وقرأ عَلَيْهِ جماعة وحدّث . قال السمعاني : سمعت أبا الفضل تسع وسبعين وأربع مائة .
ترجمته في الوافي بالوفيات ٥/ ١١٢.

(٢) نفح الطيب ٣/ ٤٠٢.

(٣) في الأصل : « بإذانه » ، والمثبت من نفح الطيب

(٤) في مصدر التخريج : « منه » .

(٥) في مصدر التخريج : « سبقا » .

وليعلم أن الأذين لغة في الأذان ، وقد استعمله هذا الشاعر واستعمله بعضهم حيث قال[١] :

قد بدا لي وضح الصبح المبين فاسقنيها قبل تكبير الأذين

وكتب بعض الظرفاء إلى بعض ندمائه فقال : [البسيط]

قامت لغيبتك الدنيا على ساق والكأس أصبح غضبانا على الساقي
والراح قد أقسمت ألا يطيب لنا حتى ترى وجهك الزاهي بإشراق
وأعين الزهر نحو الحان ناظرة وقد صغت أذن الوسواس للطاق
وناح حزنا عليك العود حين بكى الـ راووق والجنك ذا وجه وإطراق
والدف يزعف والموصول صاح جوًى والزمر يصرخ من شجو وإشراق
والشمع أضحى بنار الوجد ملتهبا يدر مدمعه من فرط إحراق
والبد أحرق أحشاء وفاق لنا بعرفه كشذا مسك بأعباق
والنهر جن فجاء الريح سلسه وبات في الليل صبا ما له راقي
والريح أصبح معتلا على فرش الـ أزهار في الحب سار غير خفاق
والورد قد فكك الأزرار من شفق وشمر[٢] النرجس الريان عن ساق
وازرق في الروض من غلظ[٣] بنفسجه والزهر يزهر من محمر أحداق
والآس قد ماس والمنثور منتشر والجلنار[٤] شكا نارا بإحراق
والورق للروض تملي من صبابتها والطل يكتب أشواقا بأوراق
وانشق قلب شقيق الروض من كمد وناظر الجو ما أعيا بأطباق
وألسن النوفر الريان تنشدنا قوموا اشربوا الراح صرفا من يد الساقي

(١) البيت للأشبوني القبذاقي ، انظر : نفح الطيب ١/ ٤٣٣، والمغرب ص ٩٨.
(٢) في الأصل : « وشمل » ، ولعل المنسب أثبت للسياق .
(٣) في الأصل : « غليظ » ، ولعل المنسب أضبط للوزن .
(٤) الجلنار : زهر الرمان . الوسيط (جلنر) .

فاسمح بجودك فضلا في الحضور لنا ما دام شمل مسرات الهنا باقي
ولا تدع طيب أيام السرور إلى غد ولا تتناس عهد ميثاق
فلو دعيت على هذا سعيت له يا حبذا ذا على راسي وأحداقي

وكتب الوزير [أبي][1] عامر إلى هند المغربية[2] يستدعيها إلى مجلس أنس بعد قطيعة كانت منها فقال[3] : [الكامل]

يا هند هل لك في زيارة فتية نبذوا المحارم غير شرب السلسل
سمعوا البلابل قد شدت فتذاكروا نغمات عودك في الثقيل الأول

فكتبت إليه الجواب[4] : [الكامل]

يا سيدا حاز العلا عن سادة شم الأنوف من الطراز الأول
حسبي من الإسراع نحوك أنني كنت الجواب مع الرسول المقبل

وكتب الحسن بن وهب[5] اعتذار عن تأخره عن زيارة محمد بن

---

(١) ساقط من اصل، والمثبت من مصادر ترجمته، وهو الطبيب أبو عامر محمد بن يثّق شُهرَ ذكاءً وطَبْعاً، وعمُر للمحاسن رَبْعاً، لولا عُجْب استهواه، وأخلّ بما حواه، وزهْوٌ ضَفا على أعطافه، وأخفى ثوب إنصافه، إلا أن حسنة إحسانه لتلك السيئة ناسخة، وفي نفس الاستحسان راسخة. ومن شعره قوله:

دَعْني أُصَادِ زماني في تقلُّبِهِ فهل سمعتَ بظلٍّ غير مُنتقل

ترجمته في: المغرب في حلي المغرب ٢/ ١٤٦، وخريدة القصر ٤/ ١٢٨.

(٢) المغربية: هند خادمُ أبي محمد مسلمة بن مسلمة الشاطبي الكاتب، ترجمتها في: الوافي بالوفيات ٧/ ٤٣٣.

(٣) تحفة القادم لابن الأبار ٣٤٩، والوافي بالوفيات ٧/ ٤٣٣.

(٤) تحفة القادم لابن الأبار ٣٤٩، والوافي بالوفيات ٧/ ٤٣٣.

(٥) الحسن بن وهب بن سعيد بن عمرو بن حصين الحارثي، أبو علي (توفي نحو ٢٥٠هـ): كاتب، من الشعراء، كان معاصرا لأبي تمام، وله معه أخبار، وكان وجيها، استكتبه الخلفاء، ومدحه أبو تمام، وهو أخو سليمان وزير المعتز والمهتدي، ولما مات رثاه البحتري. انظر: الأعلام ٢/ ٢٢٦، فوات الوفيات ١: ١٣٦ وسمط اللآلي ٥٠٦.

عبد الملك الزيات[١] لمطر عاقه عن زيارته فقال[٢] : [الخفيف]

أوجب العذر في تراخي اللقاء ما توالى من هذه الأنواء
لست أدري ماذا أذم وأشكو من سماء تعوقني عن سماء
غير أني أدعو على تلك بالمحـ ـو وأدعوا لهذه بالبقاء
وسلام الإله أهديه مني كل يوم لسيد الوزراء

ومن الاعتذار عن التخلف عن الحضور إلى مجلس الشراب ما كتبه بعض الأندلسيين معتذرا، وكان قد دعي إلى مجلس أنس فلم يجب ونص كتابته :

سيدي ساعدك سؤلك لما وصل إلى أخيك رسولك، قابله بما يجب من القبول وأبدى له من الشغل ما منع من الوصل : [الطويل]

ومن ذا الذي يدعى لعدن فلا يرى على الرأس إجلالا إليها يبادر

ولكن الاضطرار لا يكون معه اختيار، وإني لأشوق الناس إلى مشاهدة تلك المكارم، وأحبهم في محاضرة تلك الآداب المترادفة الغمائم، ولكن شغلني عارض قاطع وبزعمي أني لدعواتك عاص وله طائع، وإني بعد ذلك لحامل على تلك السجية الكريمة في الغفران متسجير بالإخلاص الذي أعهده من حذق فلان ومكر فلان، فإني متى غبت لا أعدم مترصدا قرحة يقع عليها ذبابه، ومستجمعا إذا أبصر فرصة سل عليها ذبابه : [الطويل]

ولكنني أدري بأني نازح ودان سواء عند من يحفظ العهدا

وإني لا أقول وقد غبت عن تلك الحضرة العلية وجانبت ذلك الجناب

---

(١) محمد بن عبد الملك، كاتب مترسل مشهور، وزر للمعتصم والواثق، ولما توفى سجنه المتوكل وعذبه حتى مات.
ترجمته فى تاريخ بغداد ٢/ ٣٣٢.

(٢) الأبيات في الأغاني ٦/ ٧١، والعقد الفريد ١/ ٣٢٤، ٢/ ٦١، وخاص الخاص ٤١.

السامي والمثابة السنية [الطويل]

لئن غبت عمن نوره نور ناظري فحسي لديه أن أغيب عقابا
وسوف أوافيه مقرا بزلتي وفي حلمه ألا يطيل حسابا[1]

وكتب بعض الأدباء اعتذارا عن تخلفه عن حضور مجلس إيناس فقال:

الحق أن الحضور من أهم الأمور، ولكن الاشتغال من أجل أمر دهم على البال فهيج البلبال، فلو بقي الإيناس حتى يذهب النعاس وتتبعه عيون الحواس ما غبنا عنه طرفة عين، ولوددنا أن يكون عامين، فالاشتغال قد ألم وصار الجسم لفوات الإيناس علينا في ألم، وإني توجعت لذلك، وأعلم أن فوات مجلس السرور عند ذي العقل يؤدي إلى المهالك، فسامحوني الآن ولا تؤاخذوني في هذا الشان، ومني عليكم السلام في كل مبدأ أو ختام، وما غردت فوق رءوس أهل الأنس ورق وهدر حمام.

وحيث انتهى ما يتعلق بالمكاتبات إلى مجلس الشراب بين الأحباب والأصحاب لاح لنا أن نذكر أسماء الشراب في باب؛ لأن الحاجة إليه اعتراها المسيس وندب اليراع لأن يدأب في سير المحاسن التي ذكرها بغية كل أنيس فلذلك قلنا:

❊ ❊ ❊

(١) نفح الطيب ٤/ ١٩١.

obeikandl.com

الباب الثامن

في ذكر ما وصل إلينا من أسماء الراح الذي تنتعش وتتعطر منه النفوس والأرواح

اعلم أن الراح له أسماء كثيرة وكثرة الأسماء تدل على شرف المسمى غالبا ؛ فإنهم ذكروا [للسيف][1] عشرة أسماء ، وللحب عشرة أسماء ، وللأسد ستمائة اسم وثلاثين اسما ، وقد ذكروا للراح أسماء كثيرة لم أقف على عددها ، وما ذاك إلا لما بها من المزايا التي أوجبت الاعتناء بها حتى وسمت بتلك الأسماء ، ولكنا نقتصر منها على ما اشتهر ؛ فإن استقصاءها ربما يجر إلى الملالة .

قال أبو العباس بن المعتز : للخمر أسماء كثيرة سمتها بها العرب ؛ لأن من شأن العرب إذا أحبت شيئا أو أهانته أكثرت أسماءه ، فالذي حضرني من أسمائها[2] : الشَّمول ، العقار ، الخندريس ، القرقف ، الراح ، القهوة ، المُدام ، [المزة][3] ، السكر ، الطلا ، السُّلاف ، العاتق ، الإسفنط ، المعرق ، الكميت ،

---

(١) في الأصل : « سيف » والمثبت أنسب للسياق .

(٢) يمكن الرجوع إلى أسمائها في المحب والمحبوب والمشموم والمشروب للسري الرفاء ١/ ٣٢٠.

(٣) في الأصل : « المرة » والمثبت من المحب والمحبوب ، وما سيأتي في كلام المصنف بعد قليل ، وانظر جمهرة اللغة ، مادة (م ز ز) قال : وتسمَّى الخمر المزةَ والمزَّاءَ . قال الشاعر :

بِئسَ الصباحُ وبئسَ الشربُ شَربهُمُ ... إذا مَشَت فيهمُ المُزَّاء والسكَرُ

وكان بعض أهل اللغة يُنكر أن تكون الخمر سمّيت مُزة من هذه الجهة ويقول : إنما سميت بذلك من قولهم هذا أمَز من هذا ، أي أفضل منه . قال الراجز - هو رؤبة :

ذا ميعَةٍ يهتَزُّ عند الهزِّ ... يقتحم الدقةَ للأمزِّ

إذا أقل الخيرَ كلُّ لَحزِ

ويقال : هذا أمرَ أمَز ومَزيز ، أي صعب .

الزنجبيل، التامور، الدرياق، الماذية، الشراب، السباء، الخمطة، المشعشع، المسطار، المصفق، التمحان، الخمر، المعتقة، الشموس، الجريال، الخرطوم، المقطب، السحامية، الغرب، العانية، الحامية، الرحيق، الحُمَيَّا، القنديد، الخليلة، الرساطون، العراض، اللذة، الكأس، المروق، المائع، الحبابية، المطيَّة، المحببة، أم ليلى، [السلسل][1]، المهيج، المرتاح، السلسل، أم ديق، الزينية، الذهبية، الصهباء، السلسال، العروس، الآسرة، الخلة، المثلة، النفيس، النملية، الضريع، المرواحة، الثائرة[2]، الشريق، الخليفة، المفتاح، النبيلة، الساهرية، المزينة، المصرعة، المنومة، العصيراء، الفيهج، الإثم، الحمق، الصرفية، الصرخدية، القدية، الزرجون، الكلماء، البابلية، النظربلية، المبسولة، المغذية، الرابية، فؤاد الدن، أم الدنان، المبهجة، الأيم اللطيف، البكر العجوز، المسلية، المنسية، السارية، المشرحة، الطاردة، النمامة، الدبابة، النور.

* * *

(١) في الأصل: «السلسبيل»، والمثبت من المحب والمحبوب.

(٢) في الأصل: «النائر»، والتصويب مما سيأتي.

خاتمة الباب

وتحفة لذوي الآداب

اعلم أن ما تقدم من أسمائها قد شرحه أئمة اللغة والعارفون بأسرارها :

فالشمول : يريد أنها تجمع شمل الشراب .

والعقار : من المعاقرة عليها ، وهي إدمانها أي : استدامة شربها .

والقرقف : النقية البياض الصافية .

والراح : مشتق من الاستراحة من الهموم والأحزان عند شربها ؛ فإن الهم إذ ذاك لا يقيم في الصدر إذا شربت ، بل ينجلي جميعه ويذهب حتى كأنه لم يكن .

والخندريس : مأخوذ من خدر العروس ، أي : محل خبائها ؛ فإن الخمر محجوبة في الدن ، كما أن العروس محجوبة في خدرها لا يَطَّلِع عليها إلا حليلها فكذلك الخمر لا يتناولها إلا أهلها العارفون بمزاياها .

والمدام : سميت بذلك ؛ لأن متعاطيها إذا شربها يشبع فيجري الدم في أعصابه ، فلذلك يستغني شاربها عن الأكل .

والمزة : هي التي فيها مزازة ، والسكر قد جاء في كتاب الله تعالى قد جل ثناؤه ﴿تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا﴾[1] . فلذا كان من أسمائها الرزق الحسن .

والسلاف : هو أول ما يسيل من العصار من غير دوس .

والعاتق : هي التي طال مقامها في الدن ، كالبكر التي طال مقامها ولم

---

(١) سورة النحل ، الآية : ٦٧.

تفض بكارتها .

والاسفنط : هو طيب الرائحة ، إذا كانت عطرة قيل لها : الاسفنط .

والمعرق : مأخوذ من العراقة إذا كان كرم العنب محمود الأغصان .

والزنجبيل : هي التي لها حدة على اللسان .

والصهباء والكميت بمعنًى ، وهي التي في لونها حمرة .

والتامور : شبهت كرمتها بلون التامور ، وهو دم يكون في وسط القلب .

والدرياق : سميت الخمر بذلك لفعلها في العلل الجسمية ؛ لأنه يكون معها علة غالبا .

والماذية : قال في **القاموس** : الماذي العسل وبهاء الخمرة السهلة انتهى[1] .

والشراب : اسم معروف لا يحتاج إلى بيان .

والسباء : هي التي سبتها التجار وجلبت من مدينة إلى مدينة .

والخمطة : منسوبة إلى موضعها الخمط .

والمصفق : هو الممزوج .

والمشعشعة : هي التي تشبه شعاع الشمس في شعشعها وضيائها .

والمسطار : هو الحديث من الخمر .

والتمحان : هو ما يعلو رأسها من البياض كالتمحة ، وربما صار قطعة واحدة .

والمعتقة : هي التي عتقت في الدن مدة طويلة .

والشَّموس : هي التي تنزر عند المزج أي تقل أي أن الممزوج بها يغلب عليها كالشمس إذا حصل عليها غيام ، فإنها لا تظهر .

---

(١) القاموس المحيط (م ذ ذ) .

والجريال : هو ما يسيل من راووق الصباغ من العصفر .

والخرطوم : اسم معروف ؛ لأنها توضع على الخرطوم

والسحامية : هي السوداء في لونها .

والمقطب : هو الممزوج أيضا .

والعروس : سميت به ؛ لأنه تجلى على الشمع كالعروس .

والعانية : منسوبة إلى المواضع التي اعتصرت فيها .

والخانية : منسوبة إلى الخانات ، وهي مواضع البيع .

والرحيق : هي الطيبة الرائحة .

والقندية[١] : هي التي تشبه القند[٢] في حلاوتها .

والحميا : هي التي تحمي جسد مَن شربها لسورتها وحدتها وحرارتها .

واللذة : هي اللذيذة الطعم .

والرسطون : منسوبة إلى موضع عصرت فيه .

والكأس : هو القدح الذي له مقبض في أسفله يقدس به القساقس[٣] على مديح النصارى .

والحبابية : هي التي يكون على وجهها حباب أبيض يشبه اللؤلؤ .

والماقع : التي يتغير اللون منها فيمتقع لونه أو يصفر .

والمطيبة : مأخوذة من طيب الرائحة .

والسلسل والسلسال والسلسبيل بمعنًى واحد وهو التسلسل في الكأس ،

---

(١) تقدم اسمها : « القنديد » .

(٢) القند : عسل قصب السكر . لسان العرب (ق ن د) .

(٣) القساقسة : جمع قسيس على غير قياس . لسان العرب (ق س س) .

obeikandl.com

وهو من صفة الماء.

والمطية: لأنها تداس بالأقدام.

وأم زئبق: شبهت بالزئبق لبريقها وصفائها.

والزيتية: هي التي تشبه لون الزيت.

والذهبية: هي التي تشبه لون الذهب.

وأم ليلى: هي المدامة الصفراء؛ لأن أم ليلى كانت امرأة اسمها علوية ابنة هناس من بني عدي، وكان لبسها الأصفر دون غيره، وكانت تدعى زعفرانية العرب لصفرة لباسها.

والمهيج: هي التي بنفس شربها تهيج بها حرارة فتنشأ في الحال.

والنملية: لكونها تدب في بدن الإنسان شيئا فشيئا كالنمل.

والخلة: هي التي تخالل البدن فلا يكاد يصبر عنها.

والمرتاح: هي التي ترتاح إليها النفوس.

والنبيلة: مأخوذة من النبالة، وهي السيادة على غيرها؛ لأنها سيدة الأشربة.

والضريع: اسم لها وهو نعت.

والمروحة: هي التفاحة التي تشم من بعيد فيتشوق الشم إليها.

والآسرة: التي تأسر العقول.

والثائرة: التي تثير الكامن أي ما كمن في الفؤاد أي في الضمير أي: تبين ما خفي واستتر، أي: تظهره.

والخيفة: هو غابة الأسد، وإنما شبهت بها لما يتولد على الإنسان منها من السكر.

والساهرية : عطر تتخذه النساء لزوجهن

والمفتاح : أي مفتاح السرور .

والمزينة : هي مزينة الحسن والقبح لشاربها .

والمصرعة : وكذا المنومة بمعنى واحد وهما من صفاتها .

والمغذية : منسوبة إلى محلها .

والرابية : هي التي سترت القلب وحجبت العقل .

والمسلية : هي التي تسلي القلب من الأحزان .

والمنسية : مثله .

والسارية : هي التي تسري في العروق والمفاصل .

والمشرحة : هي التي تشرح القلوب وتذهب الأحزان وتجم فؤاد الولهان .

والنمامة : هي التي كلما تنفس شاربها فاحت فنمت عليه .

والدبابة : هي التي تدب في أعضاء شاربها .

والطاردة : هي التي تطرد الهم من الصدر .

والخمر : مشتق من التخمير ، وهو التغطية . وقيل : إنها سميت بذلك لأنها تغطى العقل ، وفؤاد الدن لأن فيه مثل فؤاد الإنسان .

والنور : لأن الله أجراها في الجنة مع اللبن والعسل والماء ، فسطع نورها على أنوار الثلاثة ، فقالت الملائكة : يا ربنا ما هذا النور الذي نرى؟

قال : هذا الشراب . والله أعلم بحقائق الأحوال .

وقد أنشد بعضهم هذين البيتين مدحا فيها وتضمينا لذكر وصفها فقال[1] : [الكامل]

---

(١) البيتان لعكاشة بن عبد الصمد العمي في الأغاني ٣/ ٢٥٣، ٢٦١، وفوات الوفيات ٢/ ٤٥٧.

حمراء مثل دم الغزال وتارة بعد المزاج تخالها زريابا[١]
من كف غانية كأن بنانها من فضة قد قمعت عنابا

وقال بعضهم بيتا مفردا فيها : [البسيط]

تخالني حين يتلى ذكرها ثملا كأنما أنا مشمول بجريال

وقال بعضهم : [البسيط]

مفتاح كل سرور أنت طالبه مفتاح من سميت للعز مفتاحا

لطيفة :

قال في كتاب **عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات**[٢] : إن الخمر سبب حدوثها أن جمشيد الملك[٣] مر في بعض متصيداته ، فرأى في بعض الجبال كرمة عليها عناقيد ، فتعجب منها وأمر بقطعها وقال : إنا سمعنا أن الجبال ينبت فيها السموم ، فلعل هذه الشجرة منها ، وأمر بحفظها حتى يجربها فيمن يستحق القتل ، فجعلوها في رحلهم فتسكرت حباتها فعصروها وجعلوا ماءها في ظرف حتى عاد الملك إلى مستقره ، فأمر بإحضار رجل يستحق القتل ، وأحضر العصير وقد احتدت وصارت خمرا فسقى الرجل منها قهرا ، فشربها بمشقة شديدة ، فما شكوا في كونها سما ، فزادوا في سقيه فنام الرجل نومة ثقيلة ، فلم يشكوا في أنه يجود بنفسه ، فلما انتبه من نومه قال : اسقوني مرة أخرى . فسقوه مرارا فما كان إلا الخير ، وصار يرى أنه في فرح وسرور فشرب غيره ، وذكر ما فيه من اللذة والطرب ، وشرب الملك أيضا ، فكان كذلك فأمر بغرس تلك الشجرة في

---

(١) في الأصل : « زرنابا » . والمثبت من مصدري التخرج ، والزرياب : كلمة فارسية معناها : ماء الذهب .

(٢) عجائب المخلوقات للقزويني ص٢٣٣، ٢٣٤.

(٣) أحد ملوك الفرس . نهاية الأرب ٤/ ٢٥١.

البلاد ليكثر ثمرها ففعلوا ذلك . انتهى .

وإلى هنا تم ما أوردناه من أسماء الراح والكلام على تفسيرها ، وحيث انتهى ذلك فلنشرع في الكلام على ما يتعلق بالغناء والألحان ، وبيان حكم السماع ؛ لأنه مألوف لكل ذي ذوق ممن حازوا شريف الطباع فنقول :

* * *

obeikandl.com

obeikandl.com

الباب التاسع

في ذكر الغناء والألحان

وبيان حكم السماع من الحل والحرمة

اعلم أن الأنغام والألحان إنما سميت غناء؛ لأن النفس تستغني بذلك عن الملاذ البدنية في حال السماع، وكيف والغناء غذاء الروح كما أن الأطعمة غذاء البدن، فهو يلطف الذهن، ويصفي الفهم، ويلين العريكة، ويشجع الجبان، ويسخي كف البخيل؟

والسماع مرتع النفس، وربيع القلب، ومجال الهوى، وصلاة الكئيب، وأنس الوحيد، وزاد الراكب، وذلك إنما يكون من أجل عظم موقع الصوت الحسن من القلب وأخذه بمجامع النفس.

شعر: [الكامل]

قالوا فما يشفي القلوب من الضنى ... ويزيل عنها كل داء جسما
قلت الشفاء من المصاب ثلاثة ... صوت رخيم بالغنا مترنما
وكذاك وجه قد تكامل حسنه ... برشاقة ولطافة متبسما
وكذا الرياض إذا تكامل زهرها ... ورأيت فيها كل لون أسجما
بادر إليها بالشروط كما ترى ... بتمامها وكمالها كي تنعما
عود وكاس مغ نديم مؤنس ... قانون مُطَّرب لشجو صمما

قال أفلاطون[1]: اعلم أن علم الموسيقى لم يضعه الحكماء للهو ولا للعب:

---

(١) أفلاطون بن أرسطون أحد أساطين الحكمة الخمسة من يونان كبير القدر فيهم مقبول القول بليغ في مقاصده أخذ عن فيثاغورس اليوناني وشارك سقراط في الأخذ عنه وَلَمْ يشتهر ذكره بَيْنَ علماء يونان إِلاَّ بعد موت سقراط وَكَانَ أفلاطون شريف النسب في بيوت يونان من بيت علم=

* بل للمنافع الذاتية .
* وللذة الروح الروحانية .
* ولأجل بسط النفس .
* وترطيب اليبوسات .
* وتعديل السوداء .
* وترويق الدم .

قال : ومن أجل ذا تجد الدموع تنحدر عند سماع الغناء والآلات المطربة ، ولو كانت للهو واللعب لما كان ذلك .

قال بعضهم :

غنى مغن بشجو فزاد منه خشوعي
وحين أطرب سمعي نقطته بدموعي

وقال بعض الحكماء : لذّات الدنيا أربعة : الطعام والشراب والنكاح والسماع .

=واحتوى عَلَى جميع فنون الطبيعة وصنف كتباً كثيرة مشهورة في فنون الحكمة وذهب فِيهَا إِلَى الرمز والإغلاق واشتهر جماعة من تلاميذه المتخرجين عَلَيْهِ وسادوا بانتسابهم إِلَيْهِ وَكَانَ يعلم الطالبين الفلسفة وهو ماش وسمى الناس فرقته المشائين وفوض في آخر عمره المفاوضة والتعليم والتدريس إِلَى أرشد أصحابه وانقطع إِلَى العبادة والاعتزال وعاش ثمانين سنة وَكَانَ أفلاطون في قديم يميل إِلَى الشعر وأخذ منه بخط متوفر ثُمَّ حضر مجلس سقراط فرآه يذم الشعر وأهله ويقول هي خيالات تشعر بالخلائق لا عَلَى الحقيقة وطلب الحقائق أولي فتركه عند ذَلِكَ أفلاطون ثُمَّ انتقل إِلَى قول فيثاغورس في الأشياء المعقولة ويقال أنه عاش إحدى وثمانين سنة وعنه أخذ أرسطوطاليس وخلفه بعد موته وقال إسحاق أنه أخذ عن سقراط وتوفي أفلاطون في السنة الَّتِي ولد فِيهَا الإسكندر .

ترجمته في أخبار العلماء بأخيار الحكماء للقفطي ، ص ١١.

وقال أفلاطون : من حزن فليسمع الأصوات الحسنة ، فإن النفس إذا حزنت خمدت نارها وانطفأ أوارها ، وإذا سمعت ما يطربها وسرها اشتغل ما كان منها .

وقد قيل : من لم يحركه الربيع بأزهاره ، والعود بأوتاره ، فهو فاسد المزاج ليس له أصلا علاج .

وقال بعضهم في هذا المعنى : [الكامل]

من لم تحركه الرياض وزهرها والعود والنغمات والأوتار
ومحاسن الخد الجميل وضوءه ولطائف الأنغام والأشعار
هذا الذي حرف الزمان مزاجه فظ غليظ جاهل وحمار

سأل سائل الإمام أبا حنيفة[1] وسفيان الثوري[2] ـ رضي الله تعالى عنهما ـ وقال لهما : ما تقولان في الغناء؟

---

(١) النعمان بن ثابت ، التيمي بالولاء ، الكوفي ، أبو حنيفة (٨٠ ـ ١٥٠ هـ = ٦٩٩ ـ ٧٦٧م) : إمام الحنفية ، الفقيه المجتهد المحقق ، أحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة ، قيل : أصله من أبناء فارس ، ولد ونشأ بالكوفة ، وكان يبيع الخز ويطلب العلم في صباه ، ثم انقطع للتدريس والإفتاء . الأعلام ٨/ ٣٦، تاريخ بغداد ١٣/٣٢٣ ـ ٤٢٣، وابن خلكان ٢/ ١٦٣، والنجوم الزاهرة ٢/ ١٢، والبداية والنهاية ١٠/ ١٠٧، والجواهر المضية ١/ ٢٦.

(٢) سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري ، من بني ثور بن عبد مناة ، من مضر ، أبو عبد الله (٩٧ ـ ١٦١ هـ = ٧١٦ ـ ٧٧٨م) : أمير المؤمنين في الحديث ، كان سيد أهل زمانه في علوم الدين والتقوى ، ولد ونشأ في الكوفة ، وراوده المنصور العباسي على أن يلي الحكم ، فأبى ، وخرج من الكوفة (سنة ١٤٤هـ) فسكن مكة والمدينة ، ثم طلبه المهدي فتوارى ، وانتقل إلى البصرة فمات فيها مستخفيا ، من كتبه (الجامع الكبير) و(الجامع الصغير) . الأعلام ٣/ ١٠٤، دول الاسلام ١/ ٨٤، وابن النديم ١/ ٢٢٥، وابن خلكان ١/ ٢١٠، والجواهر المضية ١/ ٢٥٠، وطبقات ابن سعد ٦/ ٢٥٧، وتهذيب التهذيب ٤/ ١١١ ـ ١١٥، وتاريخ بغداد ٩/ ١٥١، وصيد الخاطر ١٧٥.

فقالا : ليس هو من الكبائر ولا من الصغائر[١] .

وقال الإمام الغزالي[٢] ونقله أيضا أبو طالب المكي[٣] : إن السماع مباح[٤] .

---

(١) محاضرات الأدباء ٢/ ١٤٢.

(٢) محمد بن محمد بن محمد الغزالي الطوسي ، أبو حامد ، حجة الاسلام (٤٥٠ ـ ٥٠٥هـ) : فيلسوف ، متصوف ، له نحو مئتي مصنف ، مولده ووفاته في الطابران (قصبة طوس بخراسان) رحل إلى نيسابور ثم إلى بغداد فالحجاز فبلاد الشام فمصر ، وعاد إلى بلدته ، نسبته إلى صناعة الغزل (عند من يقوله بتشديد الزاي) أو إلى غزالة (من قرى طوس) لمن قال بالتخفيف ، من كتبه : إحياء علوم الدين ، وتهافت الفلاسفة ، والاقتصاد في الاعتقاد ، والمنقذ من الضلال ، وفضائح الباطنية ، وغيرها . انظر : الأعلام ٧/ ٢٢ ، وفيات الأعيان ١: ٤٦٣ وطبقات الشافعية ٤: ١٠١ وشذرات الذهب ٤: ١٠.

(٣) محمد بن علي بن عطية الحارثي ، أبو طالب : واعظ زاهد ، فقيه ، من أهل الجبل (بين بغداد وواسط) نشأ واشتهر بمكة ، ورحل إلى البصرة فاتهم بالاعتزال ، وسكن بغداد فوعظ فيها ، فحفظ عنه الناس أقوالا هجروه من أجلها ، وتوفي ببغداد سنة ٣٨٦هـ ، له : قوت القلوب ، وغيره . انظر : الأعلام ٦/ ٢٧٤ ، وفيات الأعيان ١: ٤٩١ و ٤٧٣ وميزان الاعتدال ٣: ١٠٧ وتاريخ بغداد ٣: ٨٩ ولسان الميزان ٥: ٣٠٠.

(٤) جاء في نهاية الأرب : وأقسام السماع تختلف باختلاف الأحوال : فإن منه ما هو مستحب وما هو مباح وما هو مكروه وما هو حرام . أما المستحب فهو لمن غلب عليه حب الله تعالى ولم يحرك السماع منه إلا الصفات المحمودة . وأما المباح فهو لمن لاحظ له من السماع إلا التلذذ بالصوت الحسن ، وأما المكروه فهو لمن لا ينزله على صورة المخلوقين ولكن يتخذه عادة في أكثر الأوقات على سبيل اللهو . وأما الحرام فهو لأكثر الناس من الشباب ومن غلبت عليه شهوة الدنيا فلا حرك السماع منهم إلا ما هو الغالب على قلوبهم من الصفات المذمومة . وقد تكلم على هذه الأقسام الإمام أبو حامد الغزالي فقال رحمه الله ما مختصره ومعناه : الكلمات المسجعة الموزونة تعتاد في مواضع لأغراض مخصوصة ترتبط بها آثار في القلب وهي سبعة مواضع :

الأول : غناء الحجيج فإنهم يدورون أولاً في البلاد بالطبل والغناء وذلك مباح لما فيه من التشويق إلى الحج وأداء الفريضة وشهود المشاعر .

الثاني : ما يعتاده الغزاة لتحريض الناس على الغزو وهو مباح أيضاً لما فيه من استثارة النفس وتحريكها على الغزو وإثارة الغضب على الكفار وتحسين الشجاعة وتقبيح الفرار . =

.....

= الثالث : ما يرتجزه الشجعان عند اللقاء في الحرب وهو مباح ومندوب لما فيه من تشجيع النفس وتحريك النشاط للقتال والتمدح بالشجاعة والنجدة وقد فعله غير واحد من الصحابة رضوان الله عليهم ، منهم علي بن أبي طالب وخالد بن الوليد وغيرهما .

الرابع : أصوات النياحة ونغماتها وتأثيرها في تهييج البكاء وملازمة الحزن والكآبة وهذا قسمان : محمود ومذموم . فأما المذموم فالحزن على ما فات . قال الله تبارك وتعالى : "لكيلا تأسوا على ما فاتكم" . والحزن على الأموات من هذا القبيل فإنه يغضب الله جل جلاله وتأسف على ما لا تدارك فيه .

وأما المحمود فهو حزن الإنسان على تقصيره في أمر دينه وبكاؤه على خطاياه . والبكاء والتباكي والحزن والتحازن على ذلك محمود لأنه يبعث على التشمير للتدارك . ولذلك كانت نياحة داود عليه السلام محمودة ، فقد كان يحزن ويحزن ويبكي ويبكي حتى كانت الجنائز ترفع من مجالس نياحته وكان يفعل ذلك بألفاظه وألحانه ، وذلك محمود لأن المفضي إلى المحمود محمود . وعلى هذا لا يحرم على الواعظ الطيب الصوت أن ينشد على المنبر بألحانه الأشعار المحزنة المرققة للقلب ولا أن يبكي ويتباكى ليتوصل به إلى بكاء غيره وإثارة حزنه . الخامس : السماع في أقوات السرور تأكيداً للسرور وتهييجاً له إن كان ذلك السرور مباحاً كالغناء في أيام العيد وفي العرس وفي وقت قدوم الغائب ووقت الوليمة والعقيقة وعند الولادة والختان وعند حفظ القرآن ، وكان ذلك معتاد لأجل إظهار السرور . قال : ووجه جوازه أن من الألحان ما يثير الفرح والسرور والطرب وكل ما جاز السرور به جاز إثارة السرور فيه ، ويدل على هذا إنشادهم بالدف والألحان عند مقدم النبي ﷺ يقولون :

طلع البدر علينا من ثنيات الوداع وجب الشكر علينا ما دعا لله داعي

فإظهار السرور بالنغمات والشعر والرقص والحركات محمود . فقد نقل عن جماعة من الصحابة أنهم حجلوا في سرور أصابهم كما سيأتي في أحكام الرقص وهو جائز في قدوم كل غائب وكل ما يجوز الفرح به شرعاً . ويجوز الفرح بزيارة الإخوان ولقائهم واجتماعهم في موضع واحد على طعام أو كلام .

السادس : سماع العشاق تحريكاً للشوق وتهييجاً للعشق وتسلية للنفس ، فإن كان في حال مشاهدة المعشوق فالغرض تأكيد اللذة ، وإن كان مع المفارقة فالغرض تهييج الشوق . وإن كان مؤلماً ففيه نوع لذة إذا انضاف إليه رجاء الوصال ، فإن الرجاء لذيذ واليأس مؤلم ، وقوة لذة الرجاء بحسب قوة الشوق والحب للشيء المرجو ، ففي هذا السماع تهييج للعشق وتحريك=

وقال أيضا : لم يزل الحجازيون يسمعون الغناء والألحان في أفضل أيام السنة .

وقال أيضا : ولم يزل أهل المدينة مواظبين كأهل مكة على السماع إلى زماننا هذا .

وأقول : يجوز سماع الغناء إذا لم يكن فيه أمر محرم ولا مكروه ، والسماع عند العرس والوليمة .

ومما يدل على إباحة السماع أنه ﷺ لما هاجر من مكة إلى المدينة استقبله الجواري حين دخوله المدينة يضربن بالدفوف ويغنين بهذه الأبيات : [مجزوء الرمل]

طلع البدر علينا من ثنيات الوداع
وجب الشكر علينا ما دعا لله داعى
أيها المبعوث فينا جئت بالأمر المطاع[1]

وقيل : إن ذلك كان عند رجوعه من حجة الوداع .

=للشوق وتحصيل للذة الرجاء المقدر في الوصال مع الإطناب في وصف حسن المحبوب . قال : وهذا حلال إن الكان المشتاق إليه ممن يباح وصاله كمن يعشق زوجته أو سريته فيصغي إلى غنائها لتتضاعف لذته في لقائها ، فيحظى بالمشاهدة البصر وبالسماع الأذن ويفهم لطائف معاني الوصال والفراق القلب ، فتترادف أسباب اللذة . فهذا نوع تمتع من جملة مباحات الدنيا ومتاعها ، وما متاع الحياة الدنيا إلا لعب ولهو وهذا منه . وكذلك إن غصبت منه جارية أو حيل بينه وبينها بسبب من الأسباب فله أن يحرك بالسماع شوقه وأن يستثير به لذة رجاء الوصال . فإن باعها أو طلقها حرم عليه ذلك بعده إذ لا يجوز تحريك الشوق حيث لا يجوز تحقيقه بالوصال واللقاء . وأما من يتمثل في نفسه صورة صبي أو امرأة لا يجوز له النظر إليها وكان ينزل ما يسمع على ما يتمثل في نفسه فهو حرام لأنه محرك للفكر في الأفعال المحظورة ومهيج للداعية إلى مالا يباح الوصول إليه لا لأمر يرجع إلى نفس السماع . وقد سئل بعض الحكماء عن العشق فقال : دخان يصعد إلى دماغ الإنسان .

(١) قال الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة (١/٧٠٠) : لا أصل له . =

ويدل لذلك أيضا خروج الجواري من بني النجار بالمدينة عندما قدم وضربهن بالدفوف وقولهن هذا البيت مغنيات به وهو هذا:

نحن جوار من بني النجار يا حبذا محمد من جار[1]

تنبيه:

قال الإمام الغزالي: اعلم أن السماع في أوقات السرور يكون تأكيدا للسرور، وتهييجا للانشراح؛ كالغناء في أيام العيد، وفي العرس وعند الولائم، وفي وقت قدوم الغائب، وعند العقيقة، وعند ولادة المولود، وعند ختانه، وعند حفظه القرآن العزيز، وكل ذلك مباح لإظهار السرور والفرح به ووجه جوازه ما جاء في حديث البخاري[2] عن عائشة ـ رضي الله تعالى عنها ـ أنه كان يوم عيد يلعب الصبيان[3] بالدرق[4]، فكان ـ عليه الصلاة والسلام ـ يحملها على عاتقه لتتفرج، ولو كان حراما لنهاها النبي ﷺ عن التفرج ولما أقرهم.

وحديث البخاري أيضا عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: إنه ﷺ دخل علي وعندي جاريتان تغنيان بغناء بعاث فلم ينههما[5].

= قال شيخ الإسلام ابن تيمية فيالفتاوى ٢/ ١٩٦: و ما يروونه عن النبي ﷺ: لما قدم إلى المدينة خرجن بنات النجار بالدفوف وهن يقلن:

طلع البدر علينا من ثنيات الوداع

إلى آخر الشعر، فقال لهن رسول الله ﷺ هذا الحديث، فمما لا يعرف عنه ﷺ، و ضرب الدف في الأفراح صحيح، فقد كان على عهده ﷺ.

(١) الإشراف في منازل الأشراف ٢٣٤.

(٢) البخاري، كتاب العيدين، باب الحراب والدرق يوم العيد (٩٠٧).

(٣) في البخاري «السودان».

(٤) الدرق: جمع درقة وهي الترس.

(٥) البخارى (٢/٢٠)

وأيضا هو من الألحان التي تثير الفرح والسرور والطرب ، فكل ما جاز به السرور جاز به إثارة السرور .

* * *

obeikandl.com

خاتمة الباب

وتحفة لذوي الآداب

اعلم أن **السماع له آداب وشروط** ، وكذا المُغني والسامع؛ فمن ذلك أقول :

إن السماع إنما كان لراحة النفس من أكدار الأفكار، والبعد عن اشتغال الذهن بما يذيبه من نكبات الأكدار، فهو من أشرف الراحات وأنفع اللذات وأجملها موقعا عند أهل الفكاهات، لكن لا ينفع جيدا إلا إذا استعمل على الوجه المرضي الذي ينبغي من جميع ملاذ الدنيا التي هي عائدة على المطعم والمشرب والمنكح والمشم، والنظر والملبس والمسمع، فهذه السبعة هي قانون راحة البدن؛ ولذا قال بعضهم : [الكامل]

سامع ولا تخش ملاما هائلا إن المليم من الأنام مخالف
وسماعك الصوت الظريف غنيمة ولراحة الجسم السرور يحالف

وقال بعضهم : سماعي الصوت أحلى عندي من كل شيء أحبه، ورؤيتي ذاتا حسنة تحيي روحي من العدم.

ولذا كانت حكماء الهند واليونان والفرس يجعلون استماع الموسيقى من باب الجد؛ لما فيه من تهذيب النفوس، وتقويم الخاطر، وتصحيح الفكر، وتعديل الأمزجة، والجذب إلى الأخلاق الحميدة، والانقياد إلى السنن الصحيحة.

وأقول : إن السماع ـ حقيقة ـ به راحة النفس، ودفع الفكر، واستحسان الأمر الحسن، واستقباح القبيح؛ وذلك لأنه يؤثر في الجسم قوةً ذوقيةً وفطنةً أدبيةً وذكاءً ساميًا وقوةَ يقينٍ، فهو محبوب شرعا وعقلا وطبا، ولذا نوه أغلب

الحكماء باستحسانه ، وأن من لم يكن ذا حب فيه ، فليس عنده من الفطنة إلا قدر يسير إن كان أصلها موجودا ، فالرقة لا تحصل إلا بالسماع ، فينمو به العقل ، ويعلو به الفضل لا سيما إذا كان صاغيا لما يغنى به عارفا معناه ، فإن لم يكن عارفا فلا يبلغ درجة العارف .

وأما آداب السماع فكثيرة جدًّا ، واقتصرنا منها هنا على نزر قليل .

فمن الآداب :

* أن السامع لا يشتغل بأكل ولا شرب في وقت السماع ؛ لأنه ينافي حال المجلس .

* ولا يشتغل بحديث إلا كلمة أو كلمتين مما يتعلق بما هم فيه ـ أي من السماع ـ فإن الحديث بسوى ذلك ينافي الالتفات إلى المراد ؛ قال بعضهم : إن الغناء غذاء نفساني ، وأقل شيء من أكل ، أو شرب ، أو كلام أجنبي ينافيه ؛ لأنه يذهب ثمرته ، ويبعد نتيجته ، فيتشوش الفكر عند الاشتغال بغيره ، فلا يبقى للفكر فيه أثر نافع .

ومن الآداب :

* أن ينظر السامع إلى المغني عندما يسمع منه ؛ لأن فيه إقبالا عليه فيترعرع خطره وينبسط عندما يرى التفات الناس إليه ، فيجتمع إذ ذاك صوته ويبذل مجهوده فيزيد انبساط السامعين .

ومن الآداب :

* أن يكون من يخدم السامعين ـ أي الذي يقابل الإخوان عند دخولهم بمجلس السماع ـ لطيف الأخلاق ، بشوش الوجه ، عطر الثياب ، ذا فطنة وذكاء وحرص متين .

* وينبغي للسامع أن يود أن يكون سامعا بجميع جوارحه ، ولذا قال

الشاعر[١] : [الطويل]

يود غراما[٢] أن أعضاء جسمه إذا أنشدت شوقها إليها مسامع

وقال الآخر وأجاد[٣] : [المنسرح]

جاءت بوجه كأنه قمر على قوام كأنه غصن
غنت فلم تبق فيَّ جارحة إلا تمنت لو أنها أذن

وعلى هذا فينبغي أن يكون السامع خالي القلب من الشواغل سوى ما هو فيه مع إخوانه وخلانه ، فإن هذا من أعظم الآداب ، وهو لجلب السرور من أعظم الأسباب ، فعلى العاقل من أهل الهوى أن يراعي الحقوق لئلا يكون موصوفا بالعقوق .

ومن شروط المغني والسامع هو :

* أن يكون المغني صبيح الوجه حسن الصوت ذا معرفة بجميع الإيقاعات والتلاحين لين العريكة للأحباب مأنوس المسامرة للإخوان والأتراب كريم السجايا حلو المزايا .

وقد سأل الملك الرشيد يوما أبا العيناء[٤] عن السماع فقال : شرحه طويل ،

---

(١) هو أبو تمام ، والبيت في ديوانه ٣/ ١٠٢، وانظره في : التذكرة الحمدونية ٢/ ٤٣، والمنتحل للثعالبي ، ص ٢٥، ومحاضرات الأدباء ١/ ٢٣٠.

(٢) في الديوان ومصادر التخريج الأخرى : « ودادا » .

(٣) ينسب البيتان للأخطل في البديع لابن منقذ ص ٤٢، ومعاهد التنصيص ص ٣٨٦، ولابن حذار في معجم الأدباء ١/ ٣٠٦، وكشاجم في فوات الوفيات ٤/ ١٠٠، وسليمان بن عبد الله بن طاهر في المذاكرة في ألقاب الشعراء ص ٣٩.

(٤) هو : محمد بن القاسم بن خلاد بن ياسر الهاشمي ، بالولاء ، أبو العيناء : أديب فصيح . من ظرفاء العالم ، ومن أسرع الناس جوابا . اشتهر بنوادره ولطائفه . وكان ذكيا جدا ، حسن الشعر ، مليح الكتابة والترسل ، خبيث اللسان في سب الناس والتعريض بهم . كف بصره بعد بلوغه أربعين سنة من عمره . أصله من اليمامة ، ومولده بالأهواز ، ومنشأه ووفاته في البصرة .=

ومتنه جليل، وشروطه كثيرة، إلا أن له شروطا لازمة وشروطا غير لازمة:

أما الشروط اللازمة فأربع:

* أن يكون للمغني صباحة الخد، ورشاقة القد، وحلاوة المقال، وحسن الفعال.

* وأن يكون المغني والمستمع قريبين متحاذيين.

* وأن يكون الشعر الذي يتغنى به عجيبا ومعناه واضحا لطيفا، ومن أجل ذا قال الشاعر[1]: [مجزوء الرجز]

رب سماع حسن سمعته من حسن
مقرب من فرح مبعد من حزن
لا فارقاني أبدا في صحة من بدن

وقال بعضهم في مجلس أنس خطابا لمغنٍّ: [المجتث]

يا مطرب الحان غني واسمح بغالي نشيدك
وحين ينفد صبري فاسمح بلثم خدودك

حكي أنه كان لبعض الظرفاء جاريتان مغنيتان، فكان يخرق قميصه إذا غنت الحاذقة منهما، ويخيطه إذا غنت الأخرى، فسئل عن ذلك فقال: إن الجارية الحاذقة إذا غنت أخذت بمجامع اللب، وسلبت نياط القلب، فلا أشعر

=قال المتوكل: لولا أنه ضرير لنادمته، فنقل إليه ذلك فقال: إن أعفاني من رؤية الاهلة فاني أصلح للمنادمة! وأخباره كثيرة، جمع بعضها المعاصر محمود محمود خليل في (مقالات) نشرتها مجلة الرسالة.

ترجمته في طبقات الشعراء لابن المعتز ٤١٥ - ٤١٦، تاريخ بغداد ١٧٠/٣ - ١٧٩، معجم الأدباء٢٨٦/١٨ - ٣٠٦، وفيات الأعيان ٣٤٣/٤ - ٣٤٨، ميزان الاعتدال ١٣/٤، الوافي بالوفيات ٣٤١/٤ - ٣٤٤.

(١) انظر الرجز في العقد الفريد ٢/ ٣٩٠، والمستطرف ١/ ٣٨٦.

بشيء عند غنائها، فأخرق ثوبي وأنا في غيبة، وأما غير الحاذقة فغناؤها لا يفعل شيئا من ذلك، فأكون في غاية الصحو فأخيط الخرق الذي حصل أولا[1].

وقيل: إن بعضهم كان عاكفا على سماع الآلات لا ينتبه عنها لشيء في جميع الحالات، ثم إنه جلس مع جماعة من الندمان وأحضروا الشراب المعتق في الدنان، وجلس معهم جماعة عوادة وأشغلوا العود، وما زالوا من الأمر في استزادة ولما راق مجلسهم واجتمع أنسهم سمعوا من العود ما يجر إلى السعود وهو قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾[2].

فتاهت أفكارهم، وانطلقت ألسنتهم بالذكر، وانمحت آثارهم، وعكفوا على هذا الأمر الجليل وأكرموا العود، ووضعوه في محل التبجيل، وكانوا كلما اعترض عليهم أحد من أجل هذه الفعال قالوا له: أفنهين شيئا كان به هدينا يا بطال. انتهى من **النزاهة المبهجة**.

اللهم أدخل علينا السرور، وامنحنا من فضلك الحبور، وسر خاطرنا في الدنيا بزيارة حبيبك المصطفى، وفي الآخرة بالحلول في مقامات أهل الاصطفا، آمين.

ولما كان الغناء والسماع مما لا بد منه في حصول السرور وترويح البال وراحة النفس ودفع الفكر، ألحقنا هذا الباب بذكر العود ونحوه من آلات الطرب فقلنا:

* * *

(١) التذكرة الحمدونية ٣/ ٩١، والبصائر والذخائر، ص ١٣، وربيع الأبرار ١/ ٢٣٢.

(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٧٠.

obeikandl.com

الباب العاشر

في ذكر العود ونحوه من آلات الطرب واللهو

وما جاء في ذلك من المدح والهجو

اعلم أنه قد وقع الاختلاف حتى انجر الكلام بين أرباب فن الموسيقى إلى عدم الإنصاف في أول من صنع العود فقيل : إنه الفارابي[1] وإنه صنعه لما مات والده وجعله على طبائع الإنسان مستوفيا ذلك من دون زيادة ولا نقصان وقال :

---

(١) الفارابي (٢٦٠ ـ ٣٣٩هـ/٨٧٤ ـ ٩٥٠م) هو : محمد بن محمد بن طرخان بن أوزلغ ، أبو نصر الفارابي ، ويعرف بالمعلم الثاني : أكبر فلاسفة المسلمين . تركي الأصل ، مستعرب . ولد في فاراب (على نهر جيحون) وانتقل إلى بغداد فنشأ فيها ، وألف بها أكثر كتبه ، ورحل إلى مصر والشام . واتصل بسيف الدولة ابن حمدان . وتوفي بدمشق . كان يحسن اليونانية وأكثر اللغات الشرقية المعروفة في عصره . ويقال : إن الآلة المعروفة بالقانون ، من وضعه ، ولعله أخذها عن الفرس فوسعها وزادها إتقانا فنسبها الناس إليه . وعرف بالمعلم الثاني ، لشرحه مؤلفات أرسطو (المعلم الاول) وكان زاهدا في الزخارف ، لا يحفل بأمر مسكن أو مكسب ، يميل إلى الانفراد بنفسه ، ولم يكن يوجد غالبا في مدة إقامته بدمشق إلا عند مجتمع ماء أو مشتبك رياض . له نحو مائة كتاب ، منها (الفصوص) ترجم إلى الألمانية ، و(إحصاء العلوم والتعريف بأغراضها) و(آراء أهل المدينة الفاضلة) و(إحصاء الإيقاعات) في النغم ، و(المدخل إلى صناعة الموسيقى) و(الموسيقى الكبير) و(الآداب الملوكية) و(مبادئ الموجودات) رسالة ترجمت إلى العبرية وطبعت بها ، و(إبطال أحكام النجوم) نسخته بطهران ، و(أغراض ما بعد الطبيعة) و(السياسة المدنية) و(جوامع السياسة ـ ط) رسالة ، و (النواميس) و (الخطابة) و (وما ينبغي أن يتقدم الفلسفة) وكتاب في أن (حركة الفلك سرمدية) ولمصطفى عبد الرازق ، كتاب (فيلسوف العرب) في سيرته ومثله (الفارابي) لإلياس فرح ، و(الفارابي) لعباس محمود .

ترجمته في : وفيات الأعيان ٢/ ٧٦، وطبقات الأطباء ٢/١٣٤ ـ ١٤٠ و ٣٧٥: ١، وتاريخ حكماء الإسلام ٣٠، وابن الوردي ١/ ٢٨٤، وآداب اللغة ٢/ ٢١٣، والبداية والنهاية ١١: ٢٢٤، والأعلام ٧/ ٢٠.

هذا أبي . ليتسلى به وعمل له لوالب تربط فيه الأوتار وتترك فإن شاء جعله حاذقا وإن شاء جعله رخيما ، ولكنه لم يجوف له بطنا ، ولم يثقب وجهه ، بل جعله مسدودا ، ولما ضرب عليه ولم يظهر له طنين بل خرس تركه وصار يقول : إن أبي أخرس .

وبعد أن مضى عليه مدة وهو تارك له تفقده في بعض الأيام وضرب عليه ، فظهر له صوت عال فتأمل فيه فإذا الفار قد نقره ، فعلم أن صوته من نقر الفار ، فقال : هذا ليس بأبي بل الفار أبي .

قال بعضهم : ومن أجل هذا سمي به الفارابي ، أي : لقب بهذا اللقب .

هذا ما نقله بعضهم ، واعترضه الشيخ شهاب الدين بأن الفارابي مجرد نسبة إلى فاراب ، وهي ناحية وراء نهر سيحون ، وقيل : اسم لمدينة [أُترار][1] كما في **القاموس** وعليه فلا يكون اللقب لأجل ما تقدم .

ثم ما تقدم يقتضى أن الفارابي هو الذي اصطنع العود وأتى فيه بما هو المعهود والمقصود .

وقال بعضهم ونقله أيضًا الشيخ شهاب الدين : إن أول من صنعه بعض حكماء الفرس وأنه سماه البربط ـ وهذه كلمة فارسية ومعناها بالعربية باب النجاة ـ والمعنى أنه مأخوذ من صرير باب الجنة ، وقد جعلت أوتاره أربعة بإزاء الطبائع الأربع :

فالزِّير : بإزاء الصفراء .

والمثنى : بإزاء الدم .

والمثلث : بإزاء البلغم .

---

(١) في الأصل : «إفرار» ، والمثبت من القاموس المحيط ١/ ١٠٦.

والبَم : بإزاء السوداء .

فإذا عدلت أوتاره ورتبت على حسب ما يجب من مجانسة الطبائع الأربعة أنتجت الطرب ، وهو رجوع النفس إلى الحالة الطبيعية دفعة واحدة .

ثم ما زالت عدة أوتاره من ذلك العهد أربعة إلى أن وجد زرياب[1] - بزاي مكسورة وراء ساكنة وتحتية مثناة بعدها ألف ثم باء موحدة - وتعلم ضرب العود من إسحاق الموصلي ، فهو تلميذه ولكن زرياب قد تمهر فيه حتى برع وفاق على أستاذه ، وصبغ الأوتار الأربعة بألوان ما هي بإزائها من الطبائع ، فجعل ما هو بإزاء الصفراء أصفر ، ولكنه زاد فيه وترا خامسا وسماه النفس ، ولما أن علم إسحاق الذي هو أستاذه بهذا الأمر قال له : يا زرياب ، إن العراق يضيق عن أن أمكث فيه أنا وأنت فلا بد من الفراق فاخرج منه .

فخرج منه مهاجرا إلى جهة الأندلس بالمغرب فظهر صيته بها وخرق الآفاق وشاع عند أهل الخلاف والوفاق وعلم تلك الصناعة من علم من أهلها ، وما تقدم هو ما جرى عليه صاحب **بهجة النفوس** .

وقال صاحب **الإتحافات** في كتابه الذي صنفه في مباعد النزاهات : إن أول

---

(١) علي بن نافع ، أبو الحسن ، الملقب بزرياب ، مولى المهدي العباسي : نابغة الموسيقى في زمنه ، كان شاعرا مطبوعا ، عالما ببعض الفنون من الطبيعي وغيره ، عارفا بأحوال الملوك وسير الخلفاء ونوادر العلماء ، اجتمعت فيه صفات الندماء ، وكان حسن الصوت ، أخذ الغناء ببغداد عن إسحاق الموصلي وغيره وغنى في صباه بين يدي هارون الرشيد ، وسافر إلى الشام ، ومنها إلى الأندلس وقد سبقته إليها شهرته ، فركب عبد الرحمن بن الحكم الأموي بنفسه لتلقيه ، وجعل له في كل شهر مائتي دينار ، واستغنى به عمن عداه من الندماء والمغنين ، فأقام بقرطبة ، وبها اخترع مضراب العود من قوادم النسر ، وكانوا يصنعونه من الخشب ، وتوفي بها نحو ٢٣٠ هـ . انظر : الأعلام ٥/ ٢٨ ، نفح الطيب ٢: ٧٤٩ والأغاني ، طبعة الدار ٤: ٣٥٤ وكتاب بغداد ، لطيفور ١٥٣ وتاج العروس ١: ٢٨٦.

من صنع العود إبليس.

وهذا القول محكي بالجزم وقد حكاه الشيخ شهاب الدين في **السفينة** بـ: قيل.

ومقتضاه أنه ضعيف فالخلاف بينهما في القوة والضعف فقط، وإلا فنص العبارتين واحد.

ونص عبارة صاحب **الإتحافات**: وأول من صنعه جزما إبليس لما قتل قابيل بن آدم أخاه هابيل، وكان أول من قتل من بني آدم على وجه الأرض فحمله أخوه وطاف به في جميع الآفاق وهو لا يدري كيف يصنع به، ولما تحير في أمره بعث الله الغراب يبحث في الأرض ليريه كيف يواري سوءة أخيه، فواراه وجاءه إبليس وصنع له العود على صورة رِجْل أخيه؛ ليتسلى به، فجعل قصعة العود على صورة الفخذ، ورقبته على صورة الساق وبنجقه الذي محل ملاوى الأوتار على صورة القدم. انتهى.

ووراء هذا أقوال أضربنا عنها صفحا؛ لما أنها في غاية الضعف، ومن ثم قيل: إن هذا العلم بدأ به بطليموس[1] الحكيم المحقق المدقق الفليسوف القديم.

---

(١) بطليموس القلوذي هو صاحب كتاب المجسطي وغيره إمام في الرياضة كامل فاضل من علماء يونان كَانَ في أيام أندرياسيوس وَفي أيام أنطميوس من ملوك الروم وبعد أبرخس بمائتين وثمانين سنة وكثير من الناس ممن يدعي المعرفة بأخبار الأمم بخيله أحد البطالسة وربما قيل البطالمة اليونانيين الذين ملكوا الإسكندرية وغيرها بعد الإسكندر وذلك غلط بَيِّنٌ وخطأ واضح لأن بطليموس ذكر في كتاب المجسطي في النوع الثامن من المقالة الثالثة منه الجامعة لجميع حركات الشمس وأرصادها وسائر أحوالها أنه رصد في سنة تسع عشرة من سني اذريانوس فذكر أنه تجمع في أول سني بخت نصر إلَى وقت هَذَا الاعتدال الخريفي ثمانمائة سنة وتسع وسبعون سنة وستة وستون يوماً وست ساعات وجزأ هَذِهِ السنين فقال أنه يجتمع من أول سني بخت نصر إلَى موت الإسكندر يعني أول ملوك الروم مائتي سنة وأربع وتسعون سنة ومن أول سنة من =

.....

= سني ملك أوغسطس إِلَى وقت الرصد الحربقي المذكور مائة سنة وإحدى وستون سنة وسن وستون يوماً وساعتان فبين هَذَا التفصيل والتجميل حقيقة وقته وأن عصره كَانَ بعد عصر أوغوسطس بمائة سنة وإحدى وستين سنة وأجمع أهل العلم بأخبار الأمم السالفة والمعرفة بتواريخ الأجيال الخالية أن أوغوسطس هَذَا ملك رومي وأنه تغلب عَلَى قلوبطرة آخر ملوك البطالسة اليونانيين وَكَانَ امرأة أعني قلوبطرة وإن بتغلبه عَلَيْهَا انقرض ملك اليونانيين من الدنيا وَفِي هَذَا بيان خطأ من ظن أنه من الملوك البطالسة وَفِي هَذَا كفاية إن شاء الله تعالى وإلى بطليموس هَذَا انتهى علم حركات النجوم ومعرفة أسرار الفلك وعنده اجتمع مَا كَانَ متفرقاً من هَذِهِ الصناعة بأيدي اليونانيين والروم وغيرهم من ساكني أهل الشق المغربي من الأرض وبه انتظم شتيتها وتجلى غامضها وَمَا أعلم أحداً بعده تعرض لتأليف مثل كتابه المعروف بالمجسطي ولا تعاطي معارضته بل تناوله بعضهم بالشرح والتبيين كالفضل بن أبي حاتم النيريزي وبعضهم بالاختصار والتقريب كمحمد بن جابر البتاني وأبي الريحان البيروني الخوارزمي مصنف كتاب القانون المسعودي ألفه المسعود بن محمود بن سبكتسكين وحذا إِلَيْهِ حذو بطليموس وكذلك كوشيار ابن لبان الجيليّ في ويجه وإنما غاية العلماء بعد بطليموس الَّتِي يجرون إليها وثمرة عنايتهم الَّتِي يتنافسون فِيهَا فهم كتابه عَلَى مرتبته وإحكام جميع أجزائه عَلَى تدريجه ولا يعرف كتاب ألف في علم من العلوم قديمها وحديثها فاشتمل عَلَى جميع ذَلِكَ العلم وأحاط بأجزاء ذَلِكَ الفن غير ثلاثة كتب أحدها كتاب المجسطي هَذَا في علم هيئة الفلك وحركات النجوم والثاني كتاب أرسطوطاليس في علم صناعة المنطق والثالث كتاب سيبويه البصري في علم النحو العربي .

قال محمد بن إسحاق النديم في كتابه بطليموس صاحب كتاب المجسطي في أيام أذريانوس وأنطونيس الملكين المستوليين عَلَى مملكة يونان في زمانهما رصد الكواكب ولأحدهما عمل كتاب المجسطي وهو أول من عمل الاصطرلاب الكري والآلات النجومية وسطح الكرة والمقاييس وآلات الأرصاد ويقال رصد النجوم قبله جماعة منهم ابرخس وقيل أنه أستاذه وهو قول واهم فإن بَيْنَ الرصدين تسعمائة سنة وَكَانَ بطليموس أجل راصد وأتقن صانع لآلات الرصد والرصد لا يتم إلاَّ بآلة والمبتدي بالرصد هو الصانع للآلة .

فأما كتاب المجسطي فهو ثلاثة عشر مقالة وأول من عُني بتفسيره وإخراجه إِلَى العربية يحيى بن خالد بن برمك وفسره لَهُ جماعة فلم يتقنوه وَلَمْ يرضَ بذلك فندب لتفسيره أبا حسان وسلمان صاحبا بيت الحكمة فأتقناه واجتهدا في تصحيحه بعد أن أحضرا النقلة المجودين فاختبر نقلهم وأخذ بأفصحه وأوضحه وَقَدْ قيل أن الحجاج بن مطر نقله أيضاً وَمَا نقله النيريزي وأصلح =

ولا يخفى على عاقل أن العود سلطان الآلات، وفي سماعه نفع تام للجسد وتعديل المزاج، وهذا علاج وأي علاج، فإنه يطرب الأدمغة، وينعش القلوب، وينور العقول، ويجلو الكروب، وهو غذاء الأرواح، وجالب الأفراح ومُذهب الأتراح.

وأول من غنى عليه من العرب بألحان الفرس النضر بن الحارث[1]؛ حكي أنه وفد على كسرى فتعلم ضرب العود والغناء وقدم مكة فعلم أهلها.

ويقال: إن أول من غنى في الإسلام بألحان الفرس طويس ـ بالطاء المهملة

= ثابت الكتاب كله بالنقل القديم غير مرضي ونقل إسحاق هَذَا الأول لأن إصلاحه الأول أجود. ومما اشتهر من كتب بطليموس وخرج إِلَى العربية كتاب كتبه إِلَى سوري تلميذه نقله إبراهيم بن الصلت وأصلحه حنين بن إسحاق وفسر المقالة الأولى الطرقيوس وجمع المقالة الأولى ثابت وأخرج معانيها وفسره أيضاً عمر بن الفرحان وإبراهيم بن الصلت والتبريزي والبناني. كتاب المواليد. كتاب الحرب والقتال. كتاب استخراج السهام. كتاب تحويل سنى العالم. كتاب المرض وشرب الدواء. كتاب سير السبعة. كتاب الأسرى والمحبسين. كتاب في اشتراء السعود واصطناعها. كتاب الخصمين أيُّهما يفلح. كتاب القرعة مجدوَل. كتاب اقتصاص أحوال الكواكب. كتاب الجغرافيا في المعمورة من الأرض وهذا الكتاب نقله الكندي إِلَى العربية نقلاً جيداً ويوجد سريانياً.

ترجمته في: أخبار العلماء بأخيار الحكماء للقفطي ٤٦.

(١) النضر بن الحارث بن علقمة بن كلدة بن عبد مناف، من بني عبد الدار، من قريش: صاحب لواء المشركين ببدر، كان من شجعان قريش ووجوهها، ومن شياطينها، كما يقول ابن إسحاق، له اطلاع على كتب الفرس وغيرهم، قرأ تاريخهم في الحيرة، وهو ابن خالة النبي ﷺ ولما ظهر الإسلام استمر على عقيدة الجاهلية وآذى رسول الله ﷺ كثيرا، وقد أسره المسلمون المسلمون في بدر، وقتلوه صبرا بالأثيل قرب المدينة بعد انصرافهم من الوقعة، ورثته قتيلة ابنته، وقيل: هي أخته. انظر: الأعلام ٨/ ٣٣، الكامل لابن الأثير ٢: ٢٦ وزهر الآداب، الطبعة الثالثة ١: ٣٣، ٣٤ ومعجم البلدان ١: ١١٢ ومطالع البدور ١: ٢٣٢ وجمهرة الأنساب ١١٧ ونسب قريش ٢٥٥ والبيان والتبيين، تحقيق هارون ٤: ٤٣ ـ ٤٤.

المضمومة والواو المفتوحة ثم مثناة تحتية ساكنة ثم سين ـ وذلك أن عبد الله بن الزبير[1] لما بنى الكعبة ورفعها كان في بنائها صناع الفرس ـ أي جماعة من صناعهم ـ يغنون بألحانهم فوقّع طويس على تلك ألحانَ الغناء العربي، ثم رحل إلى الشام فأخذ من ألحان الروم، ثم رحل إلى فارس فأخذ الغناء وضرب بالعود واتبعه مَن بعده.

ومن أعجب ما نقل من أسرار علوم القدماء: أن العين إذا كان ماؤها قليلا وأريد غزارته جيء بسبعة غلمان بارعين في الجمال، فائقين في الحسن من جهة القد والاعتدال، مجيدين لضرب العود، مطلعهم ليس إلا السعود، عارفين بصناعة الموسيقى، ذوي أصوات مطربة ونغمات عن الأخذ بالعقول معربة بحيث يقفون مصطفين صفا واحدا متحاذين مستقبلين بوجوههم منبع الماء، ولا بد أن يكون مع كل واحد منهم عود، ويحركون أوتار عيدانهم تحريكا واحدا بإيقاع واحد مدة ثلاث ساعات بطالع مخصوص، فإنهم إذا فعلوا ذلك فإن عين الماء تسيح حتى تبل أقدامهم، وكلما تأخروا عنه تبعهم حتى إذا حصل الغرض من ذلك بأن كثر الماء مضوا.

ولله أسرار في خلقه غريبة يبدي لخلقه منها ما يشاء.

---

(١) عبد الله بن الزبير بن العوام القرشي الأسدي، أبو بكر (١ ـ ٧٣هـ): فارس قريش في زمنه، وأول مولود في المدينة بعد الهجرة، شهد فتح إفريقية زمن عثمان، وبويع له بالخلافة سنة ٦٤هـ، عقيب موت يزيد بن معاوية، فحكم مصر والحجاز واليمن وخراسان والعراق وأكثر الشام، وجعل قاعدة ملكه المدينة، وكانت له مع الأمويين وقائع هائلة، حتى سيروا إليه الحجاج الثقفي، في أيام عبد الملك بن مروان، فانتقل إلى مكة، وعسكر الحجاج في الطائف، ونشبت بينهما حروب انتهت بمقتل ابن الزبير. انظر: الأعلام ٤/ ٨٧، ابن الأثير ٤: ١٣٥، وفوات الوفيات ١: ٢١٠ وحلية ١: ٣٢٩ واليعقوبي ٣: ٢ وصفة الصفوة ١: ٣٢٢ والطبري ٧: ٢٠٢ وجمهرة الأنساب ١١٣ و ١١٤.

وذكر صاحب **النزهة المبهجة في تعديل الأمزجة** أن العود يسد الرمق، ويقوي القلب، ويستنير به اللب، وله صنع عجيب في الشفاء من الآلام سيما لأهل العته والماليخوليا والبرسم، وهو دواء عظيم لأهل العاهات وله دخل في لين القلوب التي أشبهت الجمادات.

ومن أطرب ما قيل في العود قول الصفي الحلي حيث قال[١]: [البسيط]

غني على العود شادٍ سهم ناظره ... أمسى به قلبيَ المضنى على خطر
دنا إليَّ وجست كفه وترا ... فراحت الروح بين السهم والوتر

وقال أيضا[٢]: [الكامل]

فتن الأنام بعوده وبشجوه ... شاد تجمعت المحاسن فيه
حتى كأن لسان بيمينه ... طربا وأن يمينه في فيه

وقال أيضا[٣]: [الطويل]

وعود به عاد السرور لأنه ... حوى اللهو قِدمًا وهو ريان ناعم
ليطرب في تغريده فكأنه ... يعيد لنا ما لقنته الحمائم

وقال برهان الدين القيراطي[٤]: [البسيط]

أقول إذ جس عودا مطرب حسن ... يريك يوسف في أنغام داود
من ضوء وجهك تبقى الأرض مشرقة ... ومن بنانك يجري الماء في العود

---

(١) انظر: حلية البشر ٢/ ٩.
(٢) السابق.
(٣) السابق.
(٤) السابق.

وقال [ابن شرف][1] القيرواني[2] : [الطويل]

سقى الله أرضا أنبتت عودك الذي ذكت منه أغصان وطابت مغارس
تغنت عليه الورق والعود أخضر وغنت عليه الغيد والعود يابس

وقال البرهان القيراطي : [مجزوء الرمل]

مسمع غنى فأغنى بصفات الحسن ذاتي
قلت إذا حرك عودا عارفا بالنغمات
أنت مفتاح سروري يا سعيد الحركات

وقال البدر بن الدماميني[3] : [الرمل]

---

(١) في الأصل : «شرف الدين» ، وهو : جعفر بن محمد بن أبي سعيد بن شرف ، أبو الفضل الجذامي القيرواني : شاعر ، أديب . أصله من القيروان . فارقها إلى الأندلس ، واستوطن برجة (من ناحية المرية) وكان شاعر وقته غير مدافع . له (ديوان شعر) وتآليف في الأدب والأخبار . ترجمته في الصلة ١٣١، والأعلام ٢/ ١٢٨.

(٢) البيتان في الوافي بالوفيات ١/ ٣٣٩، وفوات الوفيات ٣/ ٣٦١، وحلية البشر ٢/ ٩، وديوان الصبابة ٨٣، وخريدة القصر ٣/ ٣٦.

(٣) البدر الدماميني (٧٦٣ - ٨٢٧هـ/١٣٦٢ - ١٤٢٤م) هو : محمد بن أبي بكر بن عمر بن أبي بكر بن محمد ، المخزومي القرشي ، بدر الدين المعروف بابن الدماميني : عالم بالشريعة وفنون الأدب . ولد في الإسكندرية ، واستوطن القاهرة ولازم ابن خلدون . وتصدر لإقراء العربية بالأزهر . ثم تحول إلى دمشق . ومنها حج ، وعاد إلى مصر فولي فيها قضاء المالكية . ثم ترك القضاء ورحل إلى اليمن فدرس بجامع زبيد نحو سنة ، وانتقل إلى الهند فمات بها في مدينة (كلبرجا) . من كتبه (تحفة الغريب) شرح لمغني اللبيب ، و(نزول الغيث) انتقد فيه شرح لامية العجم للصفدي ، و(الفتح الرباني) في الحديث ، و(عين الحياة) اختصر به حياة الحيوان للدميري ، و(العيون الغامزة) شرح للخزرجية في العروض ، و(شمس المغرب في المرقص والمطرب) أدب ، و(مصابيح الجامع) شرحه لصحيح البخاري ، منه نسخ متعددة ، إحداها في مجلد ضخم ، في مكتبة (أدوز) بالسوس ، ذكرها صاحب خلال جزولة . و(جواهر البحور) في العروض ، و(إظهار التعليل المغلق) في مسألة نحوية ، و(شرح تسهيل الفوائد) . وله نظم . =

يا عذولي في مغن مطرب حـرك الأوتـار لما سـفـرا
كم يهز العطف منه طربا عـنـدمـا تـسـمـع مـنـه وترا[1]

وقال أبو نواس[2] : [الطويل]

إذا كان يومي ليس يوم مدامة ولا يوم قينات فما هو من عمري
وإن كان معمورا بعود وقهوة فذلك مسروق لعمري من عمري

وجهز الحاجب توكل[3] عودا ليسمعه للقاضي فتح الدين بن الشهيد[4] ، فلما ضرب عليه وسمعه القاضي أعجبه وأنشأ يقول : [الطويل]

نهاريَ أنـس كـلـه بـمـنـادم على عوده نقر الحشى بالتغزل

= ترجمته في : الضوء اللامع ٧/ ١٨٤، وبغية الوعاة ٢٧، وشذرات الذهب ٧/ ١٨١، وآداب اللغة ٣/١٤٣ و ٢١/ ٢، وحسن المحاضرة ١/ ٢٥٨، ومعجم المطبوعات ٨٩٧، والكتبخانة ٤/ ٣٣٨، الأعلام ٦/ ٥٧.

(١) انظر : نزهة الخواطر ١٢٨.

(٢) البيتان منسوبان لسليمان بن وهب في وفيات الأعيان ٢/ ٤١٦، وقطب السرور ١٣٢.

(٣) توكل الناصري الحاجب بدمشق وليها سنة ٦٧ إلى أن مات في ذي الحجة سنة ٧٧٣ عن خمسين سنة .

ترجمته في الدرر الكامنة ١/ ١٨٠.

(٤) ابن الشهيد (٧٢٨ ـ ٧٩٣هـ/١٣٢٨ ـ ١٣٩١م) هو : محمد بن إبراهيم بن محمد ، أبو الفتح ، فتح الدين ، ابن الشهيد : كاتب السر بالشام . له علم بالتفسير والأدب ، ونظم ونثر . أصله من نابلس (بفلسطين) ومولده بالرملة . اشتهر في دمشق . وكتب بها في ديوان الإنشاء . ثم صار صاحب الديوان ، مع ولاية مشيخة الشيوخ . وجرت له محنة اختفى بسببها مدة نظم فيها "السيرة النبوية" لابن سيد الناس ، في بضعة عشر ألف بيت ، مع زيادات وسماها "الفتح القريب في سيرة الحبيب" قال ابن حجر : دلت على سعة باعه في العلم ، وحدث بها في القاهرة : ومات بظاهر القاهرة ، مقتولا بسيف السلطان .

ترجمته في : الدرر الكامنة ٣/ ٢٩٦، وتاريخ ابن الفرات ٩/٢٨٦ ـ وكنيته فيه "أبو بكر" ـ ومطالع البدور ١/ ١٠، ، وشذرات الذهب ٦/ ٣٢٩، والأعلام ٥/ ٢٩٩.

وكنت أراه طائرا عز مطلبا ولكنني حصلته بتوكل

ومدح بعض المتأخرين مصطفى أفندي الصيرفي العواد مُوَرِّيًا بلقبه فقال : [مجزوء الكامل]

العود أشرف آلة فاسمع رنين الأشرف
فسماعه زيف إذا لم ينتقد بالصيرفي

ورأيت قصيدة لبعض الفضلاء يمدح فيها العود ، وهي إن كان طويلة لكن لنفاستها ورقتها أحببنا أن نذكرها وهي هذه بالحرف : [الكامل] .

باكر صبوحك بارتشاف الأكؤس من كف معسول المراشف ألعس
وانهب لذيذ العيش قبل فواته فالدهر من بعد المحاسن قد يُسِي
واشرب على طرب وبث شكاية وكأنه من قلب مهجور نسي
فأنا ابن ماء المزن والغصن الذي قد كنت أرفل في غلائل سندسي
ثمل لشربي من رحيق جداول والماء خمر للظريف المفلس
وأميل في تلك الرياض مع الهوى حتى كأني راهب في برنس
وإذا الندى ملأ الشقيق بخمره فأميل أرشف خمرة من أكؤسي
وإذا انثنيت لكي أقبل وجنة من وردة فوق البساط الأطلس
ناديت من خجل لعين مراقبي غضي جفونك يا عيون النرجس
وتستري بالآس منى إنني منك استحيت بأن أقبل مؤنسي
ولقد تناعست الأزاهر هيبة وعيونكن شواخص لم تنعس
يأتيننى سرب الغواني في الضحى فأظلهن من النهار المشمس
وإذا الغزالة[1] في السماء توسطت تأتي الغزالة تستظل بملبسي
وإذا النسيم سرى سحيرا جائزا بسلام مشتاق برغم الحرس

(١) الغزالة : الشمس .

يأتي فيغمزني فأثني نحوه ... عطفي فيخبرني كفعل الأكيس
ولآلئ الحصباء ساقي جيدها ... وخلاخل الماء اللجين الملبس
والنهر مرآتي أرى شكلي به ... صقلته لي أيدي الندى بالحندس
وحمائم الأيك المطوق جيدها ... تشدو علي بطيب لحن مؤنس
فأظل أضحك من عجائب نوحها ... جهلا بحال مفارق وموسوس
ما زلت في تلك الرياض منعما ... حتى بليت بشادن كالكُنَّس
قاسي الفؤاد وعطفه مثل الصبا ... إن ماس يخجل للغصون الميس
دخل الرياض بآلة محدودة ... ودنا إلي بلحظه المتفرس
ثم استعد وصار يقصف قامتي ... من بعد نزعي من غلائل ملبس
فغدوت أصرخ من مكابدة الأسى ... وأئن مثل أنين صب أخرس
هذا الغزال أساءني في صنعه ... ألقاه ربي في حبالة مفلس
ما كان ذنبي عنده هذا الرشا ... إلا لأني من غصون ميس
وأردت أحكي [قده][1] وقوامه ... لجهالتي فأزالني من مغرسي
ما زال يقطع ثم [يحني][2] أضلعا ... من بعدها لصق الجميع وما نسي
والجيد فيها بعد ذلك صاغه ... حسن القوام كجيد ظبي مكنس
وكذا الملاوى رصعت بمكانها ... واستحكمت أوتارها يا مؤنسي
لما أتم صناعتي ذاك الرشا ... وأجاد صقلي بالدهان الأنفس
سمانيَ العود الظريف تباشرا ... بالعود من صب لولهان مسي
وكذا لأن الأنس مني بشره ... كالعود إذ يلقى بنار المقبس
ما زلت ألقى كل يوم بعدها ... بمصارع العشاق جنح الحندس
وأبيت أبكي مطربا بشكايتي ... وكآبتي بتأوه وتنفس

(١) في الأصل: «قدره»، والمثبت هو الأنسب للسياق.
(٢) في الأصل: «قيجني»، والمثبت هو الأنسب للسياق.

وبما سمعت من البلابل أولا ... من حسن لحن مطرب ومنفس
أرويه للندماء في جنح الدجى ... عن قلب صب للصبابة محتسي
فيصيح كل متيم ومولع ... من حرّ وجد مخالف لم يأنس
حتى حضرت على جناح صبابتي ... بمقام أنس يا له من مجلس
شمس الزجاجة أشرقت بسمائه ... ولآلئ الأقداح مثل الخنس
وبه ندامى كالبدور زواهرا ... متقدسين بقدس راح أقدس
شكرا لربي ليس جيدي عاطلا ... في كل عصر عن مقام أنفس
بالروض كان منادمي ومجالسي ... زهرا وورقا للربيع السندسي
والآن ندماني ظراف شمائل ... مثل الكواكب والجواري الكنس
يا معشر الندمان قدري ظاهر ... فأنا النديم لكل صب كيس
يا أيها الولهان فاحضر نحونا ... واهرب إلينا من هموم قد تسي
واسمع هوى العشاق تلق أنينهم ... عجما يروحهم بهز الأرؤس
يبكون من حر النوى مثلي إذا ... ذكر الحجاز صبا حياة الأنفس
فأنا الموشح من تباريح جرت ... مني على عربات عشق الهندسي
وإذا الغزال أتى ليرصد مجلسي ... بادرته بجواب دور مخمس
فأنا المليك على مقامات الهوى ... لحني صواب في مقام مؤسسي
ولِيَ الصدور مراتب ومجالس ... من كل نهد ناضر لم ييبس
فكأنني السبع أوتار معي ... بدر وظهر سيرها لم يحبس
وصلاة ربي للمشرف قدره ... طه رسول الله خير الأنفس
ما غنت الأوتار في أعوادها ... باكر صبوحك بارتشاف الأكؤس

وقلت في شأن العود باعتبار من هو يده وما يكون به من السعود[1] : [الخفيف]

(١) حلية البشر ٢/ ٩.

وعود في يدي رشأ كسته وضاءة وجهه نورا بهيا
إذا ما خلته يحنو عليه تقول البدر يختطف الثريا

* * *

obeikandl.com

(تنبيه جليل)

في بسط القول في أول من وضع آلة القانون، وذكر طرف مما ورد في مدحه من الأشعار والكلام على بعض آلات الطرب كالشبابة ونحوها أقول:

اعلم أن أول من وضع الآلة المسماة بالقانون نافع، وهو الذي ركبها، فما ورد من الأشعار في ذلك قول القاضي ابن الشهيد في القانون: [السريع]

غنى على القانون حتى غدا ... من طرب يهز عطف الجليس
فصاحت الجلاس عجبا به ... يا صاحب القانون أنت الرئيس

وما أحسن قول أبي سعيد المؤيد محمد [الآلسي][1] الشاعر في وصف طنبور[2]: [الوافر]

وطنبور مليح الشكل يحكي ... بنغمته الفصيحة عندليبا
روى لما [ذوى][3] نغما فصاحا ... حواه في تقلبه قضيبا
كذا من عاشر العلماء طفلا ... يكون إذا نشا شيخا أديبا

وقول غيره من الدوبيت في القانون أيضا:

أهوى رشأ اسمعني القانونا ... من حاجبه القانون ألقى نونا
أقسمت بمن في اليم ألقى نونا ... لا أهجره فالهجر ما القانونا

---

(١) في الأصل: «الأندلسي» والمثبت من مصادر ترجمته، وهو: عطاف بن محمد بن علي الألوسي (أو الآلسي) أبو سعيد، الملقب بالمؤيد (٤٩٤ ـ ٥٥٧هـ): شاعر غزل، نسبته إلى قرية عند حديثة عانة على الفرات، ولد بها، ونشأ في دجيل، ودخل بغداد وصار جاويشا في أيام المسترشد بالله، واغتنى، وهجا المقتفي العباسي، فسجن عشر سنين، وعمي في السجن، وأفرج عنه في أيام المستنجد، فسافر إلى الموصل فتوفي بها، وهو من شعراء الخريدة، وله ديوان شعر. انظر: الأعلام ٤/ ٢٣٧، وفيات الأعيان ٢: ١٤٤، وفي فوات الوفيات ٢: ٣٦.

(٢) مرآة الجنان ٢/ ٤٢. ونسب للوزير المغربي في ديوانه، ٥٥، ونفحة الريحانة ٢/ ١٤٧.

(٣) في اصل: «روى»، والمثبت من مصدر التخريج.

وقال الصلاح الصفدي في القانون : [الكامل]

بي مطربا كملت جميع صفاته متأدب الحركات والتسكين
فإذا دعاه لمجلس إخوانه يأتي ويجلس فيه بالقانون

وقول العلامة الأمير الكبير[١] متغزلا في حسن بن العواد موريا بالقانون والكمنجاة : [الطويل]

أيا نجل عواد المحب من الضنا ويا حسن الوصف المكمل بالذات
فما الناي بالقانون فارحم ورق لي أمهلكتي تبغي وأنت كمنجاتي

وقول غيره في الكمنجاة : [مجزوء الرجز]

قم يا نديمي وبادر إلى سماع كمنجا
فليس من راح منا أو غاب عنا كمن جا

وقال مجير[٢] الدين بن قرناص في الشبابة أيضا[٣] : [البسيط]

مشبب بجفاه راح يقتلنا وإن تداركنا بالنفخ أحيانا
هويت تشبيبه من قبل رؤيته والأذن تعشق قبل العين أحيانا

---

(١) الشيخ محمد بن محمد بن عبد القادر بن عبد العزيز المالكي الأزهري الشهير بالأمير الكبير (١١٥٤ - ١٢٣٢هـ) : أصوله من المغرب ونزلوا بمصر ، وكانت لجده الأدنى أحمد وأبيه عبد القادر إمرة في الصعيد ، ومنها جاءت شهرته بالأمير ، وإليه انتهت الرياسة في العلوم في مصر ، من مصنفاته : المجموع ، شرح مختصر خليل ، حاشية على المغني لابن هشام ، وغيرها . انظر : حلية البشر ٢/ ٤٣، ٤٤.

(٢) كذا في الأصل ، ولعله : ابن قرناص (٦٧١هـ/١٢٧٣م) إبراهيم بن محمد بن هبة الله بن أحمد ابن قرناص الخزاعي الحموي ، مخلص الدين ، أبو إسحاق : شاعر أديب ، من أهل حماة . له (ديوان شعر) .
ترجمته في : الأعلام ١/ ٦٣.

(٣) ديوان الصبابة ٥١٧.

وقول ابن عبد الظاهر[١] : [الطويل]

وناطقة بالروح عن أمر ربها تعبر عما عندنا وتترجم
سكتنا وقالت للقلوب فأطربت فنحن سكوت والهوى يتكلم

وقال البدر الصاحب : [مجزوء الرجز]

أطربنا مشبب من غير جُعل سأله
يا حسن موصول له لم يفتقر إلى صِله

وقال الكمال المعمار[٢] : [مجزوء الرجز]

مشبب هويته غرامه برح بي
تيم قلبي بالحجا ز من عيون القصب[٣]

وقوله أيضا : [مجزوء الكامل]

ومشبب أبدى لنا قولا بنغمته الشهيه
متغانم فكأنه متكلم بالفارسيه

وقول بعضهم في مغن بالرباب[٤] : [الكامل]

لا تبعثوا بسوى المهذب جعفر فالشيخ في كل الأمور مهذب
طورا يغني بالرباب وتارة تأتي على يده الرباب وزينب

وأشباه هذا كثيرة وحسبك ما ذكرناه والله ولي التوفيق.

---

(١) البيتان بغير نسبة في المستطرف ٢/ ٢٥، منسوبان لمجير الدين بن تميم في معاهد التنصيص ص ٤٢٢.

(٢) ابراهيم المعمار (٧٤٩هـ/١٣٤٨م) هو: إبراهيم بن علي ابراهيم المعمار غلام النوري المصري أديب، شاعر، ظريف، عامي. توفي بمصر. له ديوان شعر.
ترجمته في: الأعلام ١/ ٦٠.

(٣) انظر: معاهد التنصيص ص ٣٩٤.

(٤) البيتان منسوبان لابن ذروي في خريدة القصر ٢/ ٢٦٦.

خاتمة الباب

وتحفة لذوي الآداب

اعلم ـ وفقني الله وإياك للسَّنَن الأعدل والمنهج الأتم الأكمل ـ أن جميع ما سطره اليراع فيما صدرنا به نظم عقود هذا الكتاب، وما سبقت الإشارة إليه مما وشَّحْنا به ما تقدم من الأبواب مما قيل في مدائح الندماء، وآداب سقاة كئوس الراح، وذكر ما لها من الأسماء، وبيان كيفية إدارتها في الحانات، وانتظام هيئة مجالسها في الدوحات، وما قيل في آلات الطرب؛ من العود ونحو الشبابة من الإطراء والأشعار الرائقة المستطابة.

إنما هو مجرد نقل لما سمحت به خواطر الأدباء، ومحض نسخ لما وقع عليه اختيار الأذكياء والنبلاء؛ ترويحا للنفوس ومطية لإزالة البؤس وطيا لمنشور ونظما لمنثور، وليس هو نهجا في هذا السنن السقيم، ولا ترغيبا فيما أجمعت الأمة فيه على التحريم، ولا إرشادا لما نص التنزيل على أنه رجس من عمل الشيطان ورتب الحد على تعاطيه زجرا للنفوس عن جماح الطغيان، ولا عدولا مني عن المنهج القويم، ولا ميلا عن الطريق المستقيم.

كلا، والله ما أملاه أحد الأصغرين لثانيهما إلا للذكرى، ولا نبست نبسة منه وعندي أن ذلك هو الطريق الأحرى، ولكن حيث جرى بذلك في الأزل القلم فقد ندَّ مي فيما لا يزال طاغي القلم.

وإني أستغفر الله من تسريح الفكر للبحث عنه في خباياه، وتوجيه الهمة نحو جمعه بعد تشتيته من خفايا زواياه، وأرغب إليه سبحانه أن يحط عني كل ظلامة ظلمت بها نفسي، وأن يتحمل عني كل تبعة شغلت به ذمتي لأحد من أبناء جنسي، وأضرع إليه تعالى أن يأخذ مني بعنان النفس الأمارة بالسوء، وأن

يعسف بها عن غي الشهوات حتى لا يكون لها عن سبل الخير عتو ولا نتوء، متوسلا إليه في ذلك بجاه رسوله[1] أكرم الخلق عليه الذي لا جاه يعدل جاهه من سائر مخلوقاته لديه ﷺ، وملأ قلوبنا من محبته وعظم وشرف وكرم، واستعلمنا في جميع الأعمال على منهاجه وسنته، وأماتنا عند دنو الأجل على ملته.

وها أنا قد تلافيت ما فرط من مطايا السيئات بالتشرف بذكر جملة أحاديث نبوية مما ورد في الزجر عن تعاطي المسكرات؛ فإن الحسنات يذهبن السيئات وما أحس التلافي من العبد في سلامة الآلات؛ تحاشيا عن أن أكون

---

(١) جاء في فتاوى الأزهر: سؤال: هل صحيح أن النبى ﷺ قال "اسألوا الله بجاهى، فإن جاهى عند الله عظيم"؟

الجواب: حديث "اسألوا الله بجاهى فإن جاهي عند الله عظيم" قال عنه ابن تيمية فى كتابه الوسيلة "ص ١٢٩" إنه كذب.

ومن يدعو ويقول: اللهم إنى أسألك بجاه نبيك أو بجاه أحد من الصالحين قال العلماء: إن عبارته تحتمل القسم، أى الحلف بجاه النبى، والقسم بغير الله ممنوع، وتحتمل أن تكون الباء للسببية، أى بسبب نبيك، فإن كان المراد بسبب حبى لنبيك والإيمان به فلا غبار عليه، لأن حب النبى والإيمان به عمل صالح تقرب به الداعى إلى الله، فهو وسيلة لثوابه ورضاه، قال تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ﴾ [المائدة: ٣٥] كما دعا المحبوسون فى الغار ربهم بصالح أعمالهم فاستجاب دعاءهم ونجاهم، وإن كان المراد بسبب ذاته أو منزلته من الله ووجاهته عنده فقد احتدم الخلاف بين العلماء فى جوازه ومنعه.

ففريق ينكره لأن مجرد الجاه لا يعطى الشفاعة، وعلى رأس هؤلاء ابن تيمية، وفريق يجيزه بالنسبة للنبى دون غيره، ومنهم العز بن عبد السلام، واستدلوا بحديث الأعمى الضرير الذى أمره النبى ﷺ أن يدعو الله بقوله "اللهم إنى أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد نبى الرحمة" فرد الله عليه بصره، رواه الترمذى والنسائى والبيهقى والطبرانى بأسانيد صحيحة.

ومناقشة الأدلة تطول، . ويمكن الرجوع إليها فى الجزء الثانى من كتاب "بيان من الأزهر الشريف".

ممن أشير له بقوله تعالى: ﴿وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٰٔنَ﴾[١]. وحذارا من الانتماء إليهم، ورجاء الاندراج فيمن قيل فيه: ﴿إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَـٰلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾[٢].

وها هو نص ما نوهنا بشأنه من شريف الأخبار المروية بسلاسل الأثبات عن سيد الأبرار صلى الله وسلم عليه وعلى آله وصحبه وعترته وتابعيه وجميع حزبه:

ورد عن النبي ﷺ أنه قال: «**إن كل مسكر حرام**»[٣]. يعني: ما كان مطبوخا أو غير مطبوخ.

هذا، كما روى عن جابر بن عبد الله ـ رضي الله تعالى ـ عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**ما أسكر كثيره فقليله حرام**»[٤].

وفي رواية: «**ما أسكر منه الفرق فالجرعة منه حرام**»[٥].

والفَرَق: ستة عشر رطلا في اللغة.

وروى سعيد عن قتادة قال: ذكر لنا أن النبي ﷺ قال: «**أربعة لا يجدون**

---

(١) سورة النساء، الآية: ١٨.

(٢) سورة النساء، الآية: ١٧.

(٣) أخرجه أبو داود (٣/ ٣٣١، رقم ٣٦٩٦)، والبيهقي (١٠/ ٢٢١، رقم ٢٠٧٧٩). وأخرجه أيضًا: أحمد (١/ ٢٧٤، رقم ٢٤٧٦)، وأبو يعلى (٥/ ١١٤، رقم ٢٧٢٩)، وابن حبان (١٢/ ١٨٧، رقم ٥٣٦٥).

(٤) أخرجه أبو داود (٣/ ٣٢٧، رقم ٣٦٨١)، والترمذى (٤/ ٢٩٢، رقم ١٨٦٥) وقال: حسن غريب.

(٥) أخرجه أحمد (٦/ ٧٢، رقم ٢٤٤٧٦)، وأبو داود (٣/ ٣٢٩، رقم ٣٦٨٧)، والترمذى (٤/ ٢٩٣، رقم ١٨٦٦)، وقال: حسن. بلفظ: «فملء الكف منه حرام».

ريح الجنة وإن ريحا ليوجد من مسيرة خمسمائة عام : البخيل والمنان ومدمن الخمر والعاق لوالديه »[١] .

وقال ابن مسعود رضي الله تعالى عنه : لعن في الخمرة عشرة : العاصر لها والمعصورة له وشاربها وساقيها وحاملها والمحمولة إليه وتاجرها ومتجرها وبائعها ومشتريها وشاتلها ـ يعني غارسها[٢] .

وروي في بعض الأخبار عن رسول الله ﷺ أنه قال : « **يخرج يوم القيامة شارب الخمر من قبره أنتن من الجيفة والكوز معلق في عنقه والقدح بيده ويملأ ما بين جلده ولحمه حيات وعقارب ويلبس نعلا من نار فيغلي دماغ رأسه ويجد قبره حفرة من حفر النار ويكون في النار قرين فرعون وهامان** »[٣] .

قال الفقيه أبو الليث السمرقندي[٤] ـ رضي الله تعالى عنه ـ : إياك وشرب الخمر فإن فيه عشر خصال مذمومة :

أولها : أنه إذا شرب الخمر يصير بمنزلة المجنون ، ويصير ضحكة للصبيان ، ومذمة عند العقلاء ، كما ذكر عن ابن أبي الدنيا[٥] أنه قال : رأيت سكران في

---

(١) الحديث بلفظ : « ثلاثة لا يجدون ريح الجنة وإن ريحها ليوجد من مسيرة خمسمائة عام العاق لوالديه ومدمن الخمر والبخيل المنان » أخرجه ابن جرير عن مجاهد مرسلاً . انظر الجامع الكبير (١١٢٥١) .

(٢) أخرجه الطبراني (١٠/ ٩٢، رقم ١٠٠٥٦) .

(٣) لم أعثر عليه

(٤) نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي ، أبو الليث ، الملقب بإمام الهدى (ت ٣٧٣هـ) : علامة ، من أئمة الحنفية ، من الزهاد المتصوفين ، له تصانيف نفيسة ، منها : تفسير القرآن (أجزاء متفرقة منه) ، عمدة العقائد ، وبستان العارفين . انظر : الأعلام ٨/ ٢٧، الفوائد البهية ٢٢٠ والجواهر المضية ٢: ١٩٦.

(٥) عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان ، ابن أبي الدنيا القرشي الأموي ، مولاهم ، البغدادي ، أبو بكر (٢٠٨ ـ ٢٨١هـ) : حافظ للحديث ، مكثر من التصنيف ، أدب الخليفة المعتضد =

بعض سكك بغداد يبول وهو يتمسح ببوله وهو يقول : اللهم اجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين .

وذكر أن سكران قاء في بعض الطرق ، وجاء كلب يمسح فمه ولحيته وهو يقول للكلب : يا سيدي يا سيدي لا تفسد المنديل .

الثاني : أنها متلفة للمال مذهبة للعقل ، كما قال عمر بن الخطاب ـ رضي الله تعالى عنه ـ : يا رسول الله أرنا رأيك في الخمر فإنها متلفة للمال مذهبة للعقل .

والثالث : أن شربها سبب للعداوة بين الإخوان والأصدقاء ؛ كما قال تعالى : ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ﴾[(١)] . وهو القمار .

والرابع : أن شربها يمنعه عن ذكر الله وعن الصلاة كما قال الله تعالى ﴿وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾[(٢)] . يعني : انتهوا عنها ، فلما نزلت هذه الآية قال عمر بن الخطاب ﷺ : قد انتهينا يا رب[(٣)] .

= العباسي ، في حداثته ، ثم أدب ابنه المكتفي ، وكان من الوعاظ العارفين بأساليب الكلام وما يلائم طبائع الناس ، إن شاء أضحك جليسه ، وإن شاء أبكاه ، مولده ووفاته ببغداد ، وله مصنفات كثيرة ، منها : الفرج بعد الشدة ، ومكارم الأخلاق ، وذم الملاهي . انظر : الأعلام ٤/ ١١٨، تذكرة ٢: ٢٢٤ وتهذيب ٦: ١٢ وفوات ١: ٢٣٦ وفهرست ابن النديم ١: ١٨٥.

(١) سورة المائدة ، الآية : ٩١.

(٢) سورة المائدة ، الآية : ٩١.

(٣) أخرجه أحمد (١/ ٥٣، رقم ٣٧٨) ، وأبو داود (٣/ ٣٢٥، رقم ٣٦٧٠) ، والنسائي (٨/ ٢٨٦، رقم ٥٥٤٠) ، والترمذي (٥/ ٢٥٣، رقم ٣٠٤٩) ، وأبو نعيم فى الحلية (٤/ ١٤٤) ، والحاكم (٢/ ٣٠٥، رقم ٣١٠١) وقال : صحيح على شرط الشيخين . والبيهقي (٨/ ٢٨٥، رقم ١٧١٠١) ، والضياء (١/ ٣٦٧، رقم ٢٥٦) .

والخامس: أن شربها يحمله على الزنا؛ لأنه إذا شرب الخمر يطلق امرأته وهو لا يشعر.

والسادس: أنه مفتاح كل شر؛ لأنه إذا شرب الخمر سهل عليه جميع المعاصي.

والسابع: أنه يؤذي حفظته بإدخالهم في مجلس الفسق، وبوجود الرائحة المنتنة منه، فلا ينبغي أن يؤذي من لا يؤذيه.

والثامن: أنه أوجب على نفسه ثمانين جلدة، فإن لم يضرب في الدنيا فإنه يضرب في الآخرة بسياط من نار على رءوس الناس ينظر إليه الآباء والأصدقاء.

والتاسع: أنه رد باب السماء على نفسه؛ لأنه لا ترفع له حسناته ولا دعاؤه أربعين يوما.

والعاشر: أنه مخاطر بنفسه؛ لأنه يخاف عليه أن ينزع منه الإيمان عند موته.

فهذه العقوبات في الدنيا قبل أن ينتهي إلى عقوبات الآخرة.

فأما عقوبات الآخرة، فإنها لا تحصى؛ من شرب الحميم، والزقوم، وفوت الثواب فلا ينبغي للعاقل أن يختار لذة قليلة ويترك لذة طويلة.

وروى أنس بن مالك[1] - رضي الله تعالى عنه - عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**بعثني الله تعالى هدى ورحمة للعالمين لأمحو المعازف والمزامير وأمر الجاهلية**

---

(١) أنس بن مالك بن النضر بن ضمضم النجاري الخزرجي الأنصاري، أبو ثمامة، أو أبو حمزة (١٠ ق هـ - ٩٣هـ): صاحب رسول الله ﷺ وخادمه، روى عنه رجال الحديث ٢٢٨٦ حديثا، مولده بالمدينة وأسلم صغيرا وخدم النبي ﷺ إلى أن قبض، ثم رحل إلى دمشق، ومنها إلى البصرة، فمات فيها، وهو آخر من مات بالبصرة من الصحابة. انظر: الأعلام ٢/ ٢٥، طبقات ابن سعد ٧: ١٠ وتهذيب ابن عساكر ٣: ١٣٩ والجمع ٣٥ وصفة الصفوة ١: ٢٩٨.

والأوثان وحلف ربي بعزته لا يشرب عبد الخمر في الدنيا إلا حرمها عليه يوم القيامة ولا يتركها عبد من عبيدي إلا سقيته من حظيرة القدس»[١].

قال أنس بن سمعان: والذي بعثك بالحق، إني لأجدها في التوراة محرمة خمسا وعشرين مرة، ويل لشارب الخمر، وحق على الله ألا يشربها عبد من عبيده في الدنيا إلا سقاه من طينة الخبال.

وروى مالك[٢] عن محمد بن المنكدر[٣] أنه قال يقول الله تعالى ـ يعني يوم القيامة ـ: أين الذين ينزهون أنفسهم وأسماعهم في الدنيا عن اللهو ومزامير الشيطان؟ اجعلوهم في رياض المسك.

ثم يقول للملائكة: أسمعوهم صوت حمدي وثنائي، وأخبروهم أن لا خوف عليهم ولا هم يحزنون.

---

(١) أخرجه الحسن بن سفيان وابن منده وأبو نعيم وابن النجار كما في كنز العمال (٣٢٠٩٦).

(٢) مالك بن أنس بن مالك الأصبحي الحميري، أبو عبد الله (٩٣ ـ ١٧٩هـ): إمام دار الهجرة، وأحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة، وإليه تنسب المالكية، مولده ووفاته في المدينة، كان صلبا في دينه، بعيدا عن الأمراء والملوك، وشي به فضرب سياطا انخلعت لها كتفه، ووجه إليه الرشيد العباسي ليأتيه فيحدثه، فقال: العلم يؤتى. فقصد الرشيد منزله واستند إلى الجدار، فقال مالك: يا أمير المؤمنين من إجلال رسول الله إجلال العلم. فجلس بين يديه، فحدثه. وسأله المنصور أن يضع كتابا للناس يحملهم على العمل به، فصنف الموطأ، وله غيره من المصنفات. انظر: الأعلام ٥/ ٢٥٧، والوفيات ١: ٤٣٩ وتهذيب التهذيب ١٠: ٥٠ وصفة الصفوة ٢: ٩٩ وحلية ٦: ٣١٦.

(٣) محمد بن المنكدر بن عبد الله بن الهدير ـ بالتصغير ـ بن عبد العزى القرشي التيمي (من بنى تيم ابن مرة) المدنى (٥٤ ـ ١٣٠هـ): زاهد، من رجال الحديث من أهل المدينة، أدرك بعض الصحابة وروى عنهم، له نحو مئتى حديث، قال ابن عيينة: ابن المنكدر من معادن الصدق. انظر: الأعلام ٧/ ١١٢، تاريخ الاسلام للذهبي ٥: ١٥٥ ـ ١٥٨ وتهذيب التهذيب ٩: ٤٧٣.

وروي عن أبي وائل، عن شقيق بن سلمة أنه دعي إلى وليمة فرأى فيها المغنين، فرجع، ثم قال: سمعت ابن مسعود يقول: إن الغناء ينبت النفاق في القلب كما ينبت الماء البقل[١].

وروى عكرمة[٢] عن ابن عباس[٣] ـ رضي الله تعالى عنهما ـ أنه قال: لما نزلت آية تحريم الخمر قالوا: فكيف إخواننا الذين ماتوا وهم يشربونها؟ فنزل قوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓا۟﴾[٤]

---

(١) أخرجه البيهقي (١٠/٢٢٣، رقم ٢٠٧٩٦). وأخرجه أيضًا: أبو داود (٤/٢٨٢، رقم ٤٩٢٧)، والمروزي في تعظيم قدر الصلاة (٢/٦٢٩، رقم ٦٨٠)، والبيهقي في شعب الإيمان (٤/٢٧٨، رقم ٥٠٩٨). قال ابن الملقن في خلاصة البدر المنير (٢/٤٤٠): رواه البيهقي بإسناد ضعيف. وقال المناوي (٤/٤١٣): قال النووي: لا يصح. وأقره الزركشي، وقال العراقي: رفعه غير صحيح لأن في إسناده من لم يسم. وأورده القاري في الموضوعات الكبرى (١٦٤/٦٣١).

(٢) عكرمة بن عبد الله البربري المدني، أبو عبد الله، مولى عبد الله بن عباس (٢٥ ـ ١٠٥هـ): تابعي، كان من أعلم الناس بالتفسير والمغازي، طاف البلدان، وروى عنه زهاء ثلاثمائة رجل، منهم أكثر من سبعين تابعيا، وذهب إلى نجد الحروري، فأقام عند ستة أشهر، ثم كان يحدث برأي نجدة، وخرج إلى بلاد المغرب، فأخذ عنه أهلها رأي الصفرية وعاد إلى المدينة، فطلبه أميرها، فتغيب عنه حتى مات، وكانت وفاته بالمدينة هو وكثير عزة في يوم واحد فقيل: مات أعلم الناس وأشعر الناس. انظر: الأعلام ٤/٢٤٤، تهذيب التهذيب ٧: ٢٦٣ ـ ٢٧٣ وحلية الأولياء ٣: ٣٢٦ وميزان الاعتدال ٢: ٢٠٨ وابن خلكان ١: ٣١٩.

(٣) عبد الله بن عباس بن عبد المطلب القرشي الهاشمي، أبو العباس (٣ ق هـ ـ ٦٨هـ): حبر الأمة، الصحابي الجليل، ولد بمكة، ونشأ في بدء عصر النبوة، فلازم رسول الله ﷺ وروى عنه الأحاديث الصحيحة، وشهد مع علي الجمل وصفين، وكف بصره في آخر عمره، فسكن الطائف، وتوفي بها. انظر: الأعلام ٤/٩٥، الإصابة، ت ٤٧٧٢ وصفة ١: ٣١٤ وحلية ١: ٣١٤ ونسب قريش ٢٦.

(٤) سورة المائدة، الآية: ٩٣.

الآية[١]. يعني: لا إثم على الذين شربوا قبل التحريم.

وروى طلحة بن مطرف عن عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه أنه قال: إن من شربها نهارا أشرك بالله تعالى حتى يمسي، وإن شربها ليلا أشرك بالله حتى يصبح.

وروي في خبر آخر أنه قال: الذنوب والخطايا جعلت كلها في بيت واحد، وجعل مفتاحه شرب الخمر. يعني: إذا شرب الخمر فتح على نفسه أبواب الخطايا كلها.

وروي عن الحسن البصري[٢] - رحمه الله تعالى - أنه قال: بلغنا أن العبد إذا شرب شربة من الخمر اسودَّ قلبه، فإذا شرب الثانية تبرأت منه الحفظة، فإذا شرب الثالثة تبرأ منه ملك الموت، فإذا شرب الرابعة تبرأ منه النبي ﷺ، فإذا شرب الخامسة تبرأ منه أصحاب النبي ﷺ، وفي السادسة تبرأ منه جبريل عليه السلام، وفي السابعة تبرأ منه إسرافيل عليه السلام، والثامنة تبرأ منه ميكائيل عليه السلام، والتاسعة تبرأت منه السماوات، والعاشرة تبرأت منه الأرض، والحادية عشرة تبرأ منه حيتان البحر، والثانية عشرة تبرأ منه الشمس والقمر، والثالثة عشرة تبرأ منه كواكب السماء، والرابعة عشرة تبرأ منه الخلائق، والخامسة عشرة أغلق عليه أبواب الجنان، والسادسة عشرة فتحت عليه أبواب

(١) أخرجه البيهقي في الكبرى ٨/ ٢٨٦.

(٢) الحسن بن يسار البصري، أبو سعيد (٢١ - ١١٠هـ): تابعي، كان إمام أهل البصرة، وحبر الأمة في زمنه، وهو أحد العلماء الفقهاء الفصحاء الشجعان النساك، ولد بالمدينة، وشب في كنف علي بن أبي طالب، واستكتبه الربيع بن زياد والي خراسان في عهد معاوية، وسكن البصرة، وعظمت هيبته في القلوب فكان يدخل على الولاة فيأمرهم وينهاهم، لا يخاف في الحق لومة، وكان أبوه من أهل ميسان، مولى لبعض الأنصار. انظر: الأعلام ٢/ ٢٢٦، ميزان الاعتدال ١: ٢٤٥ وحلية الأولياء ٢: ١٣١.

النيران ، والسابعة عشرة تبرأ منه حملة العرش ، والثامنة عشرة تبرأ منه الكرسي ، والتاسعة عشرة تبرأ منه العرش ، فإذا شرب العشرين تبرأ منه الجبار تبارك وتعالى ، والله أعلم .

اللهم تب علينا وعلى العصاة والمذنبين من أمة محمد صلى الله وسلم عليه ، وعلى آله وصحبه يا رب العالمين ، آمين ، إنك أنت الغفور الرحيم .

اللهم ارحمنا برحمتك الواسعة ، واغفر لنا ما يكون وما قد كان ، إنك أنت الغفور الستار الكريم الحنان ، قلوب الخلائق بيدك ونواصيهم إليك ، نسألك اللهم أن تحشو في قلوبنا من الخير ما لا يعلم علمه إلا أنت ، وأن تزرع في قلوبنا من محبتك والرغبة فيما عندك إنك أنت الرءوف الرحيم .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

وحيث انتهى ما يطرب النفوس من ذكر العود وآلات الطرب ، وكل جالب للأفراح ومُذهب للأتراح ، وما ألحق به مما حسن به الختام ، وتمحى ـ إن شاء الله ـ به الآثام أردنا أن نذكر دعوات الولائم للأفراح التي يتم بها بين المحبين كمال الانشراح فقلنا :

* * *

obeikandl.com

obeikandl.com

الباب الحادي عشر

في ذكر دعوات الولائم للأفراح

التي يتم بها للصب كمال الانشراح

اعلم ـ وفقني الله وإياك لما يرضاه وأنال كلًّا منا من البر أقصاه ـ أنه قد جرت العادة بين المتحابين من عظماء الناس أنه إذا حصل عند أحد منهم مُهِمٌّ من وليمة أو غيرها أن يكتبوا بالدعوات أعني : أنهم إذا أرادوا اجتماع الأحباب يكتبون لهم جوابا خاصا بالمدعو ويرسل إليه ليحضر ، وينوه بالحضور للتشريف ، أو لحصول السرور ، أو للإيناس ، أو لإزالة الأتراح ، أو غير ذلك مما يؤذن بالاعتناء بالمدعو ، والاهتمام بشأنه ، فلأجل ذلك ينبغي أن يراعي في الكتابة ما عذب من الألفاظ ، ويتجنب الكلام الوحشي ؛ فإن الغالب أن المدعوين ليسوا جميعا علماء عارفين بمواقع الألفاظ ، وكذلك ينبغي أيضا أن يكتب على ظهر الجواب أعني الملحق المعروف عند الناس (جمعية سرور) بحضور حضرة فلان أو (جمعية تهاني لنيل الأماني) بحضور فلان أو (جمعية فرح لإزالة الترح) بحضور فلان ، ويتخير من الألفاظ أعذبها وأحلاها كما تقدم ، وذلك كقول بعضهم داعيا لوليمة عرس : [مجزوء الكامل]

عندي رياض مسرة تزهو بأنواع الهنا
فبغير أمر شرفوا فحضوركم عين المنى

وكقول الآخر داعيا لوليمة : [الكامل]

أوقات أفراحي تبسم ثغرها وافتر عن در نظيم في صفا
ووجودكم هو عين أنس محبكم فإذا مننتم بالحضور تشرفا

دعوة لوليمة من إنشاء بعض الأدباء : [البسيط]

غصن المسرات قد أبدت شقائقه نغمات أنس به ماء الصفا يهمي
فشرفوا زهرة الأفراح فهي بكم تزهو كما يزدهي داعي الهنا فهمي

دعوة أخرى له أيضا : [الوافر]

أيا جمع الأحبة شرفوني وصافوني المودة والمحبة
فأفراحي صفت بالأنس لكن تمام الأنس تشريف الأحبة

دعوة أخرى لوليمة : [الهزج]

ليالي الأنس قد سطعت لنا في حسن إبداع
فمن إفضال حضرتكم أجيبوا دعوة الداعي

دعوة أخرى لوليمة عرس : [المجتث]

عندي حدائق أنس تزهو بحسن حلاكم
ولا يتم سروري إلا بنور سناكم
فشرفونا ودمتم ودام فضل علاكم

دعوة أخرى لوليمة : [الطويل]

ليالي الهنا وافت فبالله شرفوا محبًا دعاكم كي أهني بكم نفسي
بإنهاء هذا الشهر يوم خميسه فمنوا بتشريفي يتم بكم أنسي

دعوة أخرى : [السريع]

وليلة الأنس التي أشرقت من أمها من ملتقاها عجب
فشرفوا الداعي لها واتبعوا قول النبي : "من دعي فليجب"

دعوة أخرى لوليمة عرس : [الطويل]

ليالي الأماني بالمسرات قد بدت وورق التهاني بالبشائر غردت
فمنوا بتشريفي لأحظى بأنسكم وتحيا بكم روحي على ما تعودت

دعوة أخرى لوليمة : [مجزوء الرجز]

محافل الأنس جادت بنظم سلك الأحبه
فشرفوني ودمتم ودام عهد المحبه

دعوة أخرى : [مجزوء الكامل]

شمس التهاني أشرقت والأنس نادى بالحضور
شرف بفضلك داعيا ليدوم لي حسن السرور

دعوة أخرى : [البسيط]

دعوت للأنس أحبابي ولي أمل بأن أجاب فداعي الأنس محمود
خليلكم قد صفا بالبشر مورده ومنهل البشر للخلان مورود
وقت التهاني الذي يحظى بطلعتكم مبارك فيه يا أهل الوفا عودوا .

دعوة أخرى : [الطويل]

سروري وأفراحي بجمع أحبتي ومن حسن مسعاكم إجابة دعوتي
فمنوا علي بالحضور تكرما لأحظى بمأمولي وأوفي مسرتي

دعوة أخرى لعرس : [الكامل]

جاد الإله بفرحنا وسرورنا في ليلة أنوارها أحبابنا
وعواقب الأفراح تبقى عندكم نسعى لكم فيها كما تسعوا لنا

دعوة أخرى : [الكامل]

عندي من الأفراح أوقات صفت كملت محاسنها بما لا يوصف
لكن أنسى لا يتم نظامه إلا بتشريف الجناب فشرفوا

دعوة أخرى : [الهزج]

ليالي الأنس وافتنا بما كنا نؤمله
وأوقات الصفا راقت وقد طابت شمائله
وتشريفي بحضرتكم فلا شيء يعادله

فمنوا بالحضور إذا فخير البر عاجله

دعوة أخرى لوليمة: [الهزج]

زمان الأنس وافانا وسعدي شرفوا عندي
فإني الآن داعيكم لتشريفي وذا قصدي
بثامن شهرنا هذا وعاشر ساعة السعد

دعوة أخرى لتأهل: [البسيط]

الله منَّ بتأهيل لعبدكم وتلك بعض كليمات هي الساعي
وذي ليال ائتناس قد ظفرت بها من فضله فأجيبوا دعوة الداعي

دعوة أخرى: [الطويل]

تبسم ثغر الدهر عن درر المنى ونجم التهاني بالمسرات مقبل
وحيث سما الأفراح أنتم بدورها وأنتم دواعي أنسنا فتفضلوا

دعوة أخرى: [الوافر]

بشير السعد بالأفراح جاني يبشر لابسا حلل التهاني
فبالتشريف منك يزيد حظي وعقباه لديك بلا تواني

دعوة أخرى لفرح: [الكامل]

روض المسرة أينعت أشجاره ودنت غصون ثماره للجاني
والزهر من فرح تبسم ضاحكا وبه ترنم بلبل الألحان
فدعوت إخوان الصفا لوليمة كيما يتم لي السرور أماني
منوا وجودوا بالحضور وشرفوا والعود في الأرواح للإخوان

دعوة أخرى لوليمة: [الوافر]

وجوه العصر باسمة الثغور وروض الأنس مبتسم الزهور
وأطيار التهاني قد تغنت على أغصان دوحات السرور

وأفراد الأحبة بانتظام كعقد الدر في جيد البدور
فزيدونا علاء وافتخارا بتشريف السيادة بالحضور

دعوة أخرى : [الطويل]

أحباي للأفراح منوا بإسعادي وبالبشر والتشريف زوروا لذا النادي
وكونوا بإرشادي مجيبين دعوتي فللأنس والتفريح يدعو على شادى

دعوة أخرى لوليمة : [الوافر]

صفا زمني وأعلن بالمسره وأودعني من التفريح سِرَّه
ومتعني بنظم عقود أنس ليشرح بالهنا والصفو صدره
وأنتم در تيجان المعاني وأنتم في جبين الدهر غره
فمنوا بالحضور يعز قدري بحضرة من أعز الله قدره

دعوة أخرى لعرس : [الكامل]

أفراحنا قد أقبلت أوقاتها وتمام أفراحي وجود أحبتي
منوا وجودوا بالحضور وشرفوا أفراحنا بقدومكم يا سادتي
والعاقبه إن شاء ربي عندكم وبفضل مولانا أتم خدمتي
في فرحكم وسروركم وصفائكم أحظى وأفرح وقت تلك الفرحة

دعوة أخرى لوليمة عرس : [الطويل]

سروري بإنعام العزيز يئوب وحظي بتوفيق الإله يطيب
ولي في الصفا إخوان أنس أعزهم يفوح بهم مسك الوفا ويطيب
دعوتهمو للأنس نشرب صرفه فكلٌ له وقت السرور نصيب
وأنت أعز الناس أهل مودتي فمُنَّ بسعي يرتجيه حبيب
لك الشكر يجلي مصطفى من محامد لأني في شكر الكرام نجيب

دعوة أخرى : [الطويل]

أبشر أحبابي وآل مودتي وكل حبيب قد أراد مسرتي
أفراحنا قد أقبلت أوقاتها ولذيذ أفراحي وجود أحبتي
منوا وجودوا بالحضور وشرفوا أنتم لأوقات السرور مسرتي
يوم المنى عندي ويوم صفائنا يوم الحضور وجودكم في الحضرة
ولكم عليَّ الفضل قدما سادتي أنتم مناي وللزمان ذخيرتي
والعاقبه إن شاء ربي عندكم وبفضل مولانا أتمم خدمتي

دعوة أخرى : [مجزوء الرجز]

يا بهجة العصر يا من في فضله لا يشارك
شرف بفضلك قدري يوم الخميس المبارك

دعوة أخرى : [المتقارب]

هلال السعود بدا بالمنى ولاحت تهاني الصفا والسرور
فأرجو وأنتم أحبا الفؤاد زواهر تشريفنا بالحضور

دعوة أخرى لوليمة : [البسيط]

حدائق الأنس عندي قد زهت وزها فيها السرور ووافتني البشارات
ولا يلوح بلا إشراق طلعتكم لِيَ الهناء ولا تبدو السعادات
فشرفوا منزل الداعي لحضرتكم فهي التي تجتنى منها المسرات

دعوة أخرى : [مجزوء الكامل]

بدر التأهل قد زها بالسعد في أبهى المنازل
ودعوت والعقبى لكم ليكون داعي الأنس كامل

دعوة أخرى لتأهيل : [مجزوء الرجز]

تأهيل أنس وفرح والكل منكم حبيب
وفي علاه صفاكم داعي السرور نجيب

دعوة أخرى : [البسيط]

إن السرور أتى يمشي على مهل ... وسار نحوي مسير الشمس في الحمل
وحل في منزل الداعي لحضرتكم ... وقال بشراك إني غير منتقل
حتى أرى كل مشتاق إليَّ سرى ... يميس تيهًا ومنه البدر في خجل
فامنن وجد باللقا يا سيدي كرما ... واسمح وكن لي كما أملت يا أملي
وثالث العشر من شعبان يجمعنا ... يوم الخميس فشرف منزل النقلي

دعوة أخرى : [الهزج]

تسامى جيد تأهيلي ... وعقد الدر منسوق
لذاك دعوت أحبابي ... وداعي الأنس توفيق

دعوة أخرى : [الخفيف]

إنَّ وفد السرور وافى وغنى ... بلبل الأنس في رياض النعيم
ودعاكم داعي الثنا أن تجيبوا ... لدعاء الداعي بقلب سليم

دعوة أخرى : [السريع]

أوقات دهري بالمنى أحسنت ... والأنس وافى يزدهي في ابتسام
ولا يتم الأنس إلا بكم ... فشرفوني يا بدور التمام

دعوة أخرى : [الخفيف]

للمسرات يا أخلاي وافوا ... وانظروا مولدا به كل زينه
زانه نور آل بيت نبي ... من بهم مصرنا بخير مصونه
وأنا الخادم المحب وأرجو ... أن تجيبوا لهم بحسن سكينه
فأجيبوا وشرفوا بيت داع ... ثم زوروا بنت الحسين سكينه

دعوة أخرى : [الوافر]

لمولد بنت خير الخلق نور ... وفي إحيائه خير كثير

وقد مَنَّ الإله علي فيه بخدمته فدام لي الحبور
فمنوا بالحضور وشرفوني فلي ولكم به دام السرور

* * *

obeikandl.com

خاتمة الباب

وتحفة لذوي الآداب

أقول : لما كانت دعوات الولائم وغيرها ليست قاصرة على الأنظام الشعرية ، بل قد تكون من سجعات نثرية لاختلاف رغبات الداعين وتفاوت مرات المدعوين ، وكان ما تقدم جميعه من مجرد النظم الفائق والشعر العذب الرائق ، أحببنا إيراد جملة صالحة من دعوات السجعات النثرية التي وقع عليها اختيار الأدباء في دعوات الولائم التفريحية فقلنا :

من ذلك قول بعضهم داعيا لوليمة :

لما تبسم الزمان وفاض الهنا ، وأثمر الوقت بتأهيل نجلنا ، شرفونا نقتطف ثمر الحضور ليحصل لنا بذلك الحظ الموفور ، ويكون اجتماع الأحبة في يوم الأحد ٢٥ الحجة الساعة ١٠ من النهار والعاقبة لمن زار .

دعوة أخرى نثرية :

ثغور التهاني قد أضحت باسمة ، وبدور الأنس قد لاحت متوسمة ، وشعائر السرور قد أقيمت معالمها ، وبشائر الحبور قد أقبلت مواسمها ، فالمرجو من مكارم الأفضال تشريف الداعي ليبلغ قصاري الآمال ، التشريف يوم كذا .

دعوة أخرى نثرية :

لما سطعت بدور المسرة من سماء التهاني ، وسجعت بلابل الأفراح على غصون الأنس في رياض الأماني ، وافاكم بشير المودة أملا في التشريف راجيا إجابة الدعوة من غرة هذا المقام المنيف ، وليكن التشريف في يوم الخميس الساعة كذا .

دعوة أخرى نثرية :

حيث إنه بدا لدينا طالع السرور ، وأشرقت علينا لوامع الحبور ، وأنارت

كواكب الأفراح بضوئها، وهطلت ديم المسرات بنوئها، وأسفرت شموس التهاني عن محياها لما منَّ به الجواد من تأهيل نجلنا ثمرة الفؤاد، فالمرجو من كرم مساعيكم هو تشريف داعيكم لا زلتم في المسرات على مدى الأوقات، التشريف في يوم كذا.

دعوة أخرى نثرية:

قد منَّ علينا الكريم الفتاح بالسرور والأفراح، وكمال الأنس والسرور تشريف سيادتكم بالحضور، والعاقبة عندكم بالمسرات في أجمل الأوقات والتشريف يوم كذا.

دعوة أخرى نثرية:

إنه لكمال البهجة والسرور نرجوكم تشرفونا بالحضور يوم الخميس المبارك الذي ليس في فضله يشارك، الساعة كذا من النهار ليزول بكم العبوس وتنجلي الأنوار.

دعوة أخرى نثرية:

لما ابتهجت غرة وجه الأيام ببلوغ الأماني، ونشرت أعلام البشائر في رياض التهاني دعوت سيادتكم السنية لأتشرف بطلعة وجوهكم البهية، ويكون ذلك في يوم كذا من النهار.

دعوة أخرى نثرية:

لما راق وقت المسرة، وصفا وجه المبرة، ولاح كوكب البدور في سماء الهنا والسرور، وسطعت شموس الأفراح ودارت محاسن الأقداح في محافل الكمال والانشراح لإزالة البؤس والأتراح وسماع الألحان قد بدا وحان، بادرت بنظم سلكه المنثور وعقد طيه المنشور بالإعلان للأحبة والخلان وجمع الصحب بالحضور في يوم السرور ليتم الحبور بالأجر الموفور، ويكون في يوم كذا.

والكلام في هذا المعرض أكثر من أن يذكر وأشهر من أن يشهر، وفيما ذكرناه منه كفاية لا سيما لأهل الدراية، ومن المعلوم أن دعوات الولائم للأفراح هي مما يتم بها للصب كمال الانشراح، ولخوفنا من الإطالة إذ هي تدعو إلى الملالة اقتصرنا على هذا النزر القليل والأنموذج الجميل، ثم ألحقنا هذا الباب بذكر الرياض والأزهار والرياحين والحياض، فقلنا:

* * *

obeikandl.com

obeikandl.com

الباب الثاني عشر
في ذكر الرياض والأزهار والرياحين والجداول والأنهار وما ورد في ذلك من نظم الأشعار

قال الصفي الحلي : [البسيط]

الزهر أضحى على الأغصان منتظما ... كأنه لؤلؤ يبدو ويأفوت
وللرياض على أرجائها أرج ... كأن فيه ذكي المسك مفتوت

وقال ابن النبيه[١] : [الكامل]

النهر خدٌّ بالشعاع مورد ... قد دب فيه عذار ظل البان
والماء في سوق الغصون خلاخل ... من فضة والزهر كالتيجان

وقال أيضا[٢] : [البسيط]

وروضة وَجَنَات الورد قد خجلت ... فيها ضحى وعيون النرجس انفتحت
تشاجر الطير في أشجارها سحرا ... ومالت القُضب للتعنيق واصطلحت
والطلُّ قد رشَّ ثوب الدوح حين رأى ... مجامر الزهر في أذياله نفحت

وقال مجير الدين بن تميم[٣] : [الكامل]

لِمْ لا أهيم على الرياض وطيبها ... وأظل منها تحت ظل وافي
والزهر يضحك لي بثغر باسم ... والماء يلقاني بقلب صافي

وقال غيره[٤] : [الكامل]

---

(١) انظر : معاهد التنصيص ص ١٨٣.
(٢) انظر : ديوانه .
(٣) النجوم الزاهرة ٢/ ٣٦٦.
(٤) البيتان للأمير الكبير في حلية البشر ٢/ ٤٤.

يا حسن لون الشمس عند غروبها ... في روض أنس نزهة للأنفس
فكأنها وكأنه في ناظري ... ذهب يجول على بساط السندس

وقال غيره: [الطويل]

ولله بستان حللنا بدوحه ... وقد مالت الأشجار من كثرة الشرب
تراقصت الأغصان فيه ونقطت ... معاني رباه السحب باللؤلؤ الرطب

وقال ابن النبيه[١]: [الكامل]

انظر إلى الأغصان كيف تعانقت ... وتفرقت بعد التعانق رجعا
كالصب حاول قبلة من إلفه ... فرأى المراقب فانتهى متوجعا

وقال بعض الأندلسيين[٢]: [الكامل]

وتحدث الماء الزلال مع الحصى ... فجرى النسيم عليه يسمع ما جرى
فكأن فوق الماء وشيا مظهرا ... وكأن تحت الماء سرا مضمرا

وقال سعيد بن هاشم[٣]: [البسيط]

أما ترى الغيم يا من قلبه قاسي ... فإنما أنا مقياس بمقياس
قطر كدمعي وبرق مثل نار هوى ... في القلب مني وريح مثل أنفاسي[٤]

وقال غيره[٥]: [الكامل]

---

(١) المستطرف ٢/٢٢١

(٢) نسبهما في ريحانة الألبا إلى أبي الحكم انظر: ص ٢٢، وخلاصة الأثر ٣/ ٢٤١.

(٣) سعيد بن هاشم بن وعلة بن عرام، من بني عبد القيس، أبو عثمان الخالدي (ت ٣٧١هـ): شاعر، أديب، اشتهر هو وأخوه محمد بالخالديين، وكانا آية في الحفظ والبديهة، يتهمهما شعراء عصرهما بسرقة شعرهم. انظر: الأعلام ٣/ ١٠٣، فهرست ابن النديم ٢٤٠ وتاج العروس: مادة (خ ل د)، واليتيمة ١: ٤٧١ وفوات الوفيات ١: ١٧٠ واللباب ١: ٣٣٩.

(٤) ديوان أبي عثمان الخالدس، ص ١٠٩، و الإعجاز والإيجاز، ص ١٥٤، وخاص الخاص ٢٩.

(٥) الأبيات لابن سعيد المغربي، انظر: الوافي بالوفيات ٧/ ٨٠، فوات الوفيات ٣/ ١٠٤، ديوان الصبابة ص ٤٠، نهاية الأرب ١/ ٢٣.

الريح أقود ما يكون لأنها تبدي خفايا الردف والأعكان
وتميل بالأغصان بعد علوها حتى تقبل أوجه الغدران
ولذلك العشاق يتخذونها رسلا إلى الأحباب والأوطان

وقال غيره : [الكامل]

وافى بشمس مدامتي بدر الدجى وسعى بها في روضة غناء
والريح تعبث بالغصون وقد جرى ذهب الأصيل على لجين الماء

وقال آخر[1] : [المديد]

يا أخي قم ترَ النسيم عليلا باكر الكأس والمدام شمولا
في رياض تعانق الأيك فيها مثل ما عانق الخليل الخليلا
لا تنم واغتنم مسرة أنس إن تحت التراب نوما طويلا

وقال غيره[2] : [الكامل]

أهلا بسارية الصبا من نحوكم وبما عهدنا من تطاول طولها
أملت على النهر المقطب ذكركم حتى تبسم ضاحكا من قولها

وقال ابن قرناص[3] : [الطويل]

أظن نسيم الروض للزهر قد روى حديثا فطابت من شذاه المسالك
وقال دنا فصل الربيع فكله ثغور لِما قال النسيم ضواحك

* * *

(١) الأبيات فيالمغرب في حلي المغرب ٨٩، و المطرب من أشعار أهل المغرب ٥٣، وخريدة القصر ٣/ ٩٤.

(٢) البيتان لابن نباتة في ديوانه ٢٠٩، وتزيين الأسواق ص ١٨٣.

(٣) انظر : نفح الطيب ٣/ ٣٥٦.

تنبيه

اعلم أن الأرض في زمن الربيع كعروس تختال في حلل الأزهار، متوجة بأكاليل الأشجار، موشحة بمناطق الأنهار، والسحاب خاطب لها قد جعل يشير إليها بمخصرة البرق، ويتكلم بلسان الرعد، وينثر من القطر أبدع نثار.

وقال السراج الوراق: قد حللنا بروض افترشنا من زهره أحسن بساط، واستظللنا من شجره بأوفى أوراق، وطفقنا نتعاطى شموسا من أكف بدور وجسوم نار من غلائل نور، إلى أن جرى ذهب الأصيل على لجين الماء، وشبت نار الشفق فحمة الظلماء.

وقال ظافر الحداد[1]: نحن في روض قد انعطفت قدود أشجاره، وابتسمت ثغور أزهاره، وأزبد كافور مائه على عنبر طينه، وامتدت بكاسات الجلنار أنامل غصونه، والنسيم قد خفق فيه واعتل وأسقط رداءه الخفاق في الماء فابتل، وذهب قواه حتى ضعف عن السير، واشتد اعتلاله حتى ناح عليه الطير.

وقال ابن عبد الظاهر: الأشجار قد اخضر نبات عارضها، ودنانير الأزهار قد تهيأت لتسليم قابضها، والمنثور قد نظمت قلائده وتبدت ولائده، والجو قد باشر الوهاد بالتباشير، وقد كشفت عن ساقها الأغصان وقالت الغدران بهديرها: "إنه صرح ممرد من قوارير"[2]. والسوسن قد لاحظ جفنه الوسنان، والورد قد ورد والبان قد بان.

---

(١) ظافر بن القاسم بن منصور الجذامي، أبو نصر الحداد (ت ٥٢٩هـ): شاعر من أهل الإسكندرية، كان حدادا. الأعلام ٣/ ٢٣٦، وفيات الاعيان ١: ٢٤١ والنجوم الزاهرة ٥: ٣٧٦ وإرشاد الأريب ٤: ٢٧٨ وخريدة القصر ٢: ١ - ١٧.

(٢) اقتباس من سورة النمل، الآية: ٤٤.

قال ابن الجوزي[١] : أطيب الزمان فصل الربيع وأحسن أزهاره الورد .

وقد حكي عن بعض الظرفاء أنه قال : كنا يوما بمجلس أنس ، فقال بعض الحاضرين قد ورد الورد وبان البان .

فأجابه آخر سريعا بقوله : ودنا الدن وحان الحان .

وقال أبو نواس[٢] : [الخفيف]

إن فصل الربيع شيء بديع ... تضحك الأرض من بكاء السماء
ذهب أينما ذهبنا ودر ... حيث درنا وفضة في الفضاء

وقال الصدر ابن الوكيل : [الطويل]

ولما جلا فصل الربيع محاسنا ... وصفق ماء النهر إذ غرد القمري
أتاه النسيم الرطب رقص دوحه ... فنقط وجه الأرض بالذهب المصري

وقال آخر وأجاد[٣] : [الوافر]

سألت الغصن لِم تعرى شتاء ... وتبدو في المصيف وأنت كاسي
فقال لي الربيع على قدوم ... خلعت على البشير به لباسي

وقال الصنوبري[٤] : [البسيط]

---

(١) ابن الجوزي (٥٠٨ ـ ٥٩٧هـ/١١١٤ ـ ١٢٠١م) هو : عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي القرشي البغدادي ، أبو الفرج : علامة عصره في التاريخ والحديث ، كثير التصانيف . مولده ووفاته ببغداد ، ونسبته إلى (مشرعة الجوز) من محالها . له نحو ثلاث مائة مصنف . ترجمته مطولة في : ٣/ ٣١٧.

(٢) البيتان للسري الرفاء في بديع ابن منقذ ص٦، وانظر في نسيم الصبا ، ص ٢٦.

(٣) البيتان لوجيه الدين المناوي ، انظر : الوافي بالوفيات ٥/ ٢٦٢، فوات الوفيات ٢/ ١٢٦.

(٤) أحمد بن محمد بن الحسن بن مرار الضبي الحلبي الأنطاكي ، أبو بكر ، المعروف بالصنوبري (ت ٣٣٤هـ) : شاعر اقتصر في أكثر شعره على وصف الرياض والأزهار ، وكان ممن يحضر مجالس سيف الدولة ، تنقل بين حلب ودمشق ، وجمع الصولي (ديوانه) في نحو ٢٠٠ ورقة . انظر :=

ما الدهر إلا الربيع المستنير إذا ... جاء الربيع أتاك النَّور والنُّور
فالأرض ياقوتة والجو لؤلؤة ... والنبت فيروزج والماء بَلُّور
مَنْ شَمَّ طيب رياحين الرياض يَقُلْ ... لا المسك مسك ولا الكافور كافور[1]

وقال ابن النحاس[2] : [الكامل]

زمن الربيع مطية الأفراح ... ومعدل الأرواح في الأشباح
زمن به لولا اشتباك فواقع ... طارت حُمَيَّانا من الأقداح[3]

وقال غيره : [الطويل]

تأمل تجد أرض الربيع عليلة ... من الحرث حتى عادها وابل القطر
وعالجها فصل الخريف فعوفيت ... فغطت بأزهار من البيض والصفر

وقال ابن الجوزي : أطيب الزمان فصل الربيع ، وأحن أزهاره الورد فهو زيارة طيف في ليالي صيف .

=الأعلام ١/ ٢٠٧، فوات ١: ٦١ وإعلام النبلاء ٤: ٢٣ والبداية والنهاية ١١: ١١٩ والديارات ١٤٠ ـ ١٤٤ واللباب ٢: ٦١ وأعيان الشيعة ٩: ٣٥٦ ـ ٣٨١.

(١) ديوان الصنوبري ، ص ١٠٩، ومن غاب عنه المطرب ، ص ٢٠.

(٢) ابن النحاس (١٠٥٢هـ/١٦٤٢م) هو : فتح الله بن عبد الله ، الشهير بابن النحاس : شاعر رقيق مشهور ، من أهل حلب . قام برحلة طويلة ، فزار دمشق والقاهرة والحجاز . واستقر في المدينة ، ولبس زي الفقراء من الدراويش ، وتوفي بها . وكان أبي النفس ، فيه شئ من العجب . أشهر شعره حائيته المرقصة التي مطلعها :

بات ساجي الطرف والشوق يلح

والعينية التي مطلعها :

رأى اللوم من كل الجهات فراعه

له ديوان شعر.

ترجمته في : خلاصة الأثر ٣/٢٥٧ ـ ٢٦٦، ونزهة الجليس ٢/ ٣٢١، والأعلام ٥/ ١٣٥.

(٣) البيتان منسوبان للأمير منجك في نفحة الريحانة ١/ ٣٨.

وكان المأمون[١] يقول: أغلظ الناس طبعا من لم يكن في زمن الربيع ذا صبوة.

وقيل: إنه رفع إليه أن رجلا حائكا يعمل سنته كلها ولا يترك العمل في عيد ولا جمعة، فإذا ظهر الورد طوى عمله ونادى بأعلى صوته يقول بيتا مفردا وشعرا واحدا معتبرا مقام الورد واقفا عند هذا الحد[٢]: [البسيط]

طاب الزمان وجاء الورد فاصطحبوا ما دام للورد أزهار وأنوار

ثم لا يزال في صبوح وغبوق لا يبقى على الأرض وردة رطبة، فإذا انقضى زمن الورد عاد إلى عمله.

فتعجب المأمون من ذلك وقال: إن هذا الرجل قد نظر إلى الورد بعين جليلة، فينبغي أن يعان ويساعد على وقته. ثم أجرى عليه في كل سنة عشرة آلاف درهم.

وقيل: إن المتوكل[٣] كان قد قصر الورد على نفسه وحرمه على غيره، وأنه

---

(١) عبد الله المأمون بن هارون الرشيد، أبو العباس، أو أبو جعفر، كان على مذهب الاعتزال، وفي عهده كانت مشكلة خلق القرآن، توفي سنة ٢١٨هـ. ترجمته في تاريخ بغداد ١٠/ ٢٨٣، والإنباء في تاريخ الخلفاء صـ ٩٦. وسير أعلام النبلاء ١٠/ ٧٢.

(٢) ثمرات الأوراق ٥٦، ومحاضرات الأدباء ٢/ ٢٤٨.

(٣) هو جعفر (المتوكل على الله) بن محمد (المعتصم بالله) بن هارون الرشيد، أبو الفضل: خليفة عباسي. ولد ببغداد وبويع بعد وفاة أخيه الواثق (سنة ٢٣٢هـ) وكان جوادا ممدحا محبا للعمران، من آثاره (المتوكلية) ببغداد، أنفق عليها أموالا كثيرة، وسكنها. ولما استخلف كتب إلى أهل بغداد كتابا قرئ على المنبر بترك الجدل في القرآن، وأن الذمة بريئة ممن يقول بخلقه أو غير خلقه. ونقل مقر الخلافة من بغداد إلى دمشق، فأقام بهذه شهرين، فلم يطب له مناخها، فعاد وأقام في سامراء، إلى أن اغتيل فيها ليلا، بإغراء ابنه (المنتصر) وكثرت الزلازل في أيامه فعمر بعض ما خربت. وكان يلبس في زمن الورد الثياب الحمر، ويأمر بالفرش الاحمر، ولا يرى الورد إلا في مجلسه، وكان يقول: أنا ملك السلاطين والورد ملك الرياحين وكل منا =

كان يقول : أنا ملك السلاطين والورد ملك الرياحين وكل منا أولى بصاحبه[١] . فكان الورد في زمانه لا يرى إلا في مجلسه فقط .

وكان يقول : إنه لا يصلح للعامة .

وكان يلبس في أيام الورد الثياب الموردة ويفرش الفرش الموردة .

وحكي أن كسرى أنوشروان مر يوما فرأى وردة ساقطة على الأرض فتناولها بيده وقال أضاع الله من أضاعك[٢] .

وبالجملة فمحاسن الورد كثيرة وأنواره مستنيرة ، وقد ورد أنه لما ألقي سيدنا إبراهيم الخليل ـ على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام ـ في النار لم تأكل سوى وثاقه ، ولما استقر فيها أخذت الملائكة بضبعيه ـ أي مرفقيه ـ وأجلسوه على الأرض ، فإذا هو بعين ماء عذب وروضة تهتز بورد أحمر ونرجس غضن ـ أي طري ـ تفتحت أنواره ، انتهى .

وقال الشاعر : [الوافر]

مليك الورد وافى في جيوش ... من الأزهار في الحلل البهيه
فوافته الأزاهر طائعات ... لأن الورد شوكته قويه

وقال الشهاب الخيمي[٣] : [الوافر]

= أولى بصاحبه !

ترجمته في : تاريخ بغداد ٧/ ١٦٥، ١٧٢، ووفيات الأعيان ١/ ٣٥٠، ٣٥٦، وفوات الوفيات ١/ ٢٩٠، ٢٩٢، وشذرات الذهب ٢/ ١١٤، ١١٦.

(١) خاص الخاص ١٠٤.

(٢) التذكرة الحمدونية ٢/ ٢٠٩، ومحاضرات الأدباء ٢/ ٢٤٤.

(٣) الخيمي (٦٠٢ ـ ٦٨٥هـ/١٢٠٥ ـ ١٢٨٦م) هو : محمد بن عبد المنعم بن محمد بن يوسف ابن أحمد الأنصاري ، أبو عبد الله ، شهاب الدين ابن الخيمي : شاعر أديب يماني الاصل . مولده ووفاته بمصر . قال ابن شاكر . كان المقدم على شعراء عصره . له (ديوان شعر) .
ترجمته في : ابن الفرات ٨/ ٤٢، وفوات الوفيات ٢/ ٢٣٠، والأعلام ٦/ ٢٥٠.

زمان الورد أعلام الزمان وروح الراح راحة كل عاني
وما اجتمعت هموم قائلات مع الصهباء يوما في مكان

وقال أيضًا : [مجزوء الرمل]

كتب الورد إلينا في قراطيس الخدود
يا بني اللهو سلوني قد دنا وقت ورودي

وقال ابن الجهم[١] : [البسيط]

لم يضحك الورد إلا حين يعجبه حسن الرياض وصوت الطائر الغرد
لا عذب الله إلا من يعذبه بمسمع بارد أو صاحب نكِد[٢]

وقال الصلاح الصفدي[٣] : [الخفيف]

دوح ورد تميس فيه غصون تتثنى مهفهفات القدود
زهرها فوق ما تفتَّح منه كشِفاهٍ ضُمَّت للثم الخدود

ومما جاء في الورد ما روي عن علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ أنه قال : حياني رسول الله ﷺ بالورد وقال : « **أما إنه سيد رياحين الجنة بعد الآس** »[٤] .

---

(١) علي بن الجهم بن بدر ، أبو الحسن ، من بني سامة ، من لؤي بن غالب : شاعر ، رقيق الشعر ، أديب ، من أهل بغداد كان معاصرا لأبي تمام ، وخص بالمتوكل العباسي ، ثم غضب عليه المتوكل ، فنفاه إلى خراسان ، فأقام مدة ، وانتقل إلى حلب ، ثم خرج منها بجماعة يريد الغزو فاعترضه فرسان من بني كلب ، فقاتلهم ، وجرح ومات من جراحه سنة ٢٤٩ هـ . انظر : الأعلام ٤/ ٢٦٩، ٢٧٠، الأغاني طبعة الدار ١٠: ٢٠٣ ـ ٢٣٤ وابن خلكان ١: ٣٤٩ والطبري ١١: ٨٦ وسمط اللآلي ٥٢٦.

(٢) انظر : ديوان ابن الجهم ١١٥، محاضرات الأدباء ٢/ ٨١، زهر الآداب ص ٢١٤، التذكرة الفخرية ص ٨٢.

(٣) سلك الدرر ١/ ٢٩٥.

(٤) لم أعثر عليه .

وقال جعفر بن محمد[١]: ريح الملائكة ريح الورد، وريح الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ريح السفرجل.

وقال شمس الدين محمد بن العفيف التلمساني في الورد[٢]: [مجزوء الكامل]

قامت حروب الزهر ما بين الرياض السندسيه
وأتت جيوش الآس تغـ ـزو روضة الورد الجنيه

وقال شهاب الدين بن مسعود[٣]، وقد بعث إلى بعض أصحابه وردا ليستخرج ماءه: [المنسرح]

---

(١) جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين السبط، الهاشمي القرشي، أبو عبد الله، الملقب بالصادق (٨٠ ـ ١٤٨هـ): سادس الأئمة الاثني عشر عند الإمامية، كان من أجلاء التابعين، وله منزلة رفيعة في العلم، أخذ عنه جماعة، منهم الإمامان أبو حنيفة ومالك، ولقب بالصادق لأنه لم يعرف عنه الكذب قط، له أخبار مع الخلفاء من بني العباس وكان جريئا عليهم صداعا بالحق، له رسائل مجموعة في كتاب، ورد ذكرها في كشف الظنون، يقال إن جابر بن حيان قام بجمعها، مولده ووفاته بالمدينة. انظر: الأعلام ٢/ ١٢٦، نزهة الجليس للموسوي ٢: ٣٥ ووفيات الأعيان ١: ١٠٥ والجمع ٧٠ واليعقوبي ٣: ١١٥ وصفة الصفوة ٢: ٩٤ وحلية الأولياء ٣: ١٩٢.

(٢) هو الشاب الظريف، وقد تقدمت ترجمته، والبيتان في ديوانه ٣٥١.

(٣) التلعفري (٥٩٣ ـ ٦٧٥هـ/١١٩٧ ـ ١٢٧٧م) هو: محمد بن يوسف بن مسعود الشيباني، شهاب الدين، أبو عبد الله، التلعفري: شاعر. نسبته إلى (تل أعفر) بين سنجار والموصل. ولد وقرأ بالموصل. وسافر إلى دمشق، فكان من شعراء صاحبها الملك الأشرف (موسى) الأيوبي. وابتلي بالقمار، فطرده الأشرف إلى حلب، فأكرمه صاحبها الملك الناصر (يوسف بن محمد) الأيوبي، وقرر له رسوما، فجعل يضيعها في القمار، فنودي في حلب: من قامر مع الشهاب التلعفري قطعت يده. وضاقت عليه الأرض، فعاد إلى دمشق، فكان يستجدي بشعره ويقامر. وساءت حاله، فقصد حماة، ونادم صاحبها، وتوفي فيها.
ترجمته في: الأعلام ٧/ ١٥١.

يا سيدا أصبحت خلائقه كالروض ريح الصبا تدمنها
بعثت وردا جنى إليك عسى تقبض لي روحه وتبعثها

وقال ابن تميم[١] : [الطويل]

ولم أنس قول الورد والنار قد سطت عليه فأمسى دمعه يتحدر
ترفق فما هذي دموعي التي ترى ولكنها روحي تذوب فتقطر

حكى المسعودي[٢] في **شرح المقامات** قال : أخبرنا الفقيه أبو العز أحمد بن عبد الله العكبري في كتابه بسنده عن أيوب الوزان قال : قال الفضل[٣] : دخلت على الرشيد وبين يديه طبق فيه ورد ، وعنده جارية مليحة أديبة شاعرة قد أهديت إليه ، فقال : يا فضل ، قل في هذا الورد شيئا يشبهه فقلت[٤] : [البسيط]

---

(١) انظر : الوافي بالوفيات ٢/ ١٧٤، فوات الوفيات ٤/ ٧٥.

(٢) محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن مسعود ، تاج الدين الخراساني المروروذي البندهي (٥٢٢ - ٥٨٤هـ) : فقيه شافعي ، أديب ، نسبته إلى جده مسعود ، كانت إقامته - على الأكثر - في دمشق ، وبها توفي ، وكان معلم الملك الأفضل ابن السلطان صلاح الدين ، وهو صاحب شرح المقامات الحريرية ، وهو غير المسعودي المؤرخ . انظر : الأعلام ٦/ ١٩١، وفيات الأعيان ١: ٥٢٠.

(٣) هو : الفضل بن يحيى بن خالد البرمكي : وزير الرشيد العباسي ، وأخوه في الرضاعة ، كان من أجود الناس . استوزره الرشيد مدة قصيرة ، ثم ولاه خراسان سنة ١٧٨هـ فحسنت فيها سيرته ، وأقام إلى أن فتك الرشيد بالبرامكة (سنة ١٨٧هـ) وكان الفضل عنده ببغداد ، فقبض عليه وعلى أبيه يحيى ، وأخذهما معه إلى الرقة فسجنهما وأجرى عليهما الرزق ، واستصفى أموالهما وأموال البرامكة كافة . وتوفي الفضل في سجنه بالرقة . قال ابن الاثير : كان الفضل من محاسن الدنيا لم ير في العالم مثله .
ترجمته في لابن الأثير ٦/ ٦٩، ووفيات الأعيان ١/ ٤٠٨، وتاريخ بغداد ١٢/ ٣٣٤، وسير أعلام النبلاء . . . ٩/ ٩١، والأعلام ٥/ ١٥١.

(٤) انظر : ثمرات الأوراق ص ١٦٦.

كأنه خد مومق[١] يقبله فم الحبيب وقد أبدى به خجلا

فقالت الجارية : [البسيط]

كأنه لون خدي حين تدفعني كف الرشيد لأمر يوجب الغسلا

فقال الرشيد : قم يا فضل فاخرج فإن هذه الماجنة قد هيجتنا .

فقمت وأرخيت الستور دوني عاجلا[٢] .

أقول : طالما خلع النديم في أيامه العذار ، وأشرق عليه من أحمره وأبيضه في لياليه المنيرة شموس وأقمار ، فهو عذر النديم وحياة عظمه الرميم قل من لا افتتن أيام وروده ويتزوج فيه ابن غمام بابنة عنقوده ، ولهذا كان إبراهيم الخواص[٣] يسأل الله تعالى في أيامه الخلاص ويقول : إذا جاء الورد أمرضني علمي بكثرة من يعصى الله تعالى .

ومما يستحسن في ماء الورد قول بعض الظرفاء[٤] : [البسيط]

ما زلت بالورد مفتونا مدى زمني وفيه نزهة عيني وانتشا رمقي

ومن تضرم أشواقي إليه إذا ما غاب عن ناظري استغنيت بالعرق

ولله در القائل[٥] : [الطويل]

لقمقم ماء الورد لطف إشارة لدفع ثقيل مثل صخر وجلمود

بتقواله قم قم وإن كنت لم تقم فما غيرنا يأتيك بعدي بالعود

---

(١) يقال : ومقت فلانا : أحببته ، فأنا وامق وهو موموق . انظر : العين (ق م و) .

(٢) العقد الفريد ٤/ ٢١٩.

(٣) إبراهيم بن أحمد بن إسماعيل ، أبو اسحاق الخواص (ت ٢٩١هـ) : صوفي ، كان أوحد المشايخ في وقته ، من أقران الجنيد ، ولد في سر من رأى ومات في جامع الري . انظر : الأعلام ١/ ٢٨، وتاريخ بغداد ٦: ٧.

(٤) البيتان لبطرس كرامة في ديوانه ١٤٧.

(٥) البيتان لأحمد المنيني ، انظر : سلك الدرر ١/ ١٤٨.

قيل: إن أعطر الزهور ورد جور، وبنفسج الكوفة، ونرجس جرجان، ومنثور بغداد.

ومن أحسن ما سمع في المنثور قول مجير الدين بن تميم[١]: [الكامل]

مذ عاين المنثور طرف النرجس الـ ... ـمزور قال وقوله لا يدفع
افتح عيونك في سواي فإنه ... عندي قبالة كل عين أصبع

وقال غيره: [الطويل]

ومذ قلت للمنثور إني مفضل ... على حسنك الورد الجليل عن الشبه
تلون من قولي وزاد اصفراره ... وفتح كفيه وأوما إلى وجهي

وقال عرقلة الدمشقي[٢] في المنثور[٣]: [السريع]

قد أقبل المنثور يا سيدي ... كالدر والياقوت في نظمه
نسيم أنفاسك من عطره ... ورأس من عاداك مثل اسمه

وقال غيره أيضا في المنثور وأجاد على سبيل التورية المؤدية للمراد: [الكامل]

ولقد نثرت الدمع من عيني دما ... يوم الوداع وخاطري مكسور
لا تعجبوا لتلون في أدمعي ... لا بد أن يتلون المنثور

وقال أيضا[٤]: [الكامل]

---

(١) فوات الوفيات ٤/ ٦٢.

(٢) حسان بن نمير بن عجل الكلبي، أبو الندى (٤٨٦ - ٥٦٧هـ): شاعر، من الندماء، كان من سكان دمشق، واتصل بالسلطان صلاح الدين الأيوبي، فمدحه ونادمه، ووعده السلطان بأن يعطيه ألف دينار إذا استولى على الديار المصرية، فلما احتلها أعطاه ألفين، فمات فجأة قبل أن ينتفع بفجأة الغنى. انظر: الأعلام ٢/ ١٧٧، والفوات ١: ١١٢ ومرآة الزمان ٨: ٢٨٦ وانظر الخريدة ١: ١٧٨ - ٢٢٩.

(٣) خريدة القصر ١/ ٣٥٤، غرائب التنبيهات ص ٢٠.

(٤) البيتان لمجير الدين بن تميم في معاهد التنصيص ص ١٨٥.

كيف السبيل لأن أقبل خد من أهوى وقد نامت عيون الحرس
وأصابع المنثور تومي نحونا حسدا وترمقنا عيون النرجس

وقال ابن قرناص في النرجس: [الكامل]

لو كنت قد نادمت من أحببته في روضة أطيارها تترنم
لرأيت نرجسها يغض جفونه عنا وثغر أقاحها يتبسم

وقد كان كسرى أنوشروان مغرما بالنرجس، ويقول: هو ياقوت أصفر ودر أبيض على زبرجد أخضر، وإني لأستحي أن أباضع في مجلس فيه نرجس؛ لأنه أشبه بالعيون الشواخص[1]. اهـ.

ولقوله ذلك وجه ظاهر؛ فإنه حقيقة شبيه بالعيون، ومما قيل في السوسن - وهو ذو ألوان - قول بعضهم في الأصفر منه[2]: [البسيط]

يا رب سوسنة قبلتها وَلِهًا وما لها غير نشر المسك من ريق
مصفرة الوسط مبيض جوانبها كأنها عاشق في حجر معشوق

وقال غيره في الأزرق منه[3]: [المضارع]

انظر إلى السوسن في جماله المنعوت
مثل كئوس خرطت من أزرق الياقوت

وقال آخر في الأصفر: [السريع]

سوسنة صفراء في لونها كأنها دمعة مهجور
باهت حلى الأزهار في حسنها إذا اكتست ثوب الدنانير

(١) خاص الخاص، ص ٣٨، والظرائف واللطائف واليواقيت في بعض المواقيت، ص ٣٠٩.
(٢) البيتان لأبي بكر بن هذيل القرطبي، انظر: البديع في وصف الربيع ص ٣٨.
(٣) نهاية الأرب ١٢/ ٢٦٥.

وقال الهاشمي[١] في الياسمين[٢] : [الخفيف]

غصن بان بدا وفي اليد منه غُصُن فيه لؤلؤ منظوم
فتحيرت بين غصنين في ذا قمر طالع وفي ذا النجوم

وقال القاضي محيي الدين بن عبد الظاهر في الياسمين : [مجزوء الرجز]

وياسمين قد بدت أشجاره لمن يصف
كمثل ثوب أخضر عليه قطن قد ندف

وقال آخر فيه قبل انفتاحه[٣] : [الطويل]

خليليَّ هُبَّا ينقضي الهم عنكما وقوما إلى روض وكأس رحيق
فقد لاح زهر الياسمين منورا كأفراط در قمعت بعقيق

وقال فتح الله بن النحاس في الزنبق[٤] : [الكامل]

جادت عليك يد الربيع بزنبق يدعو الندامى لارتشاف عقار
أوما تراه كأكؤس في[٥] فضة قد موهت أطرافها بنضار

وقال أيضا في القرنفل[٦] : [الطويل]

قرنفلنا العطري لونا كأنه خدود العذارى ضمخت بعبير

---

(١) محمد بن عبد الله بن محمد الهاشمي، أبو الحسن، المعروف بابن سكرة، من ولد علي بن المهدي العباسي (ت ٣٨٥هـ) : شاعر كبير، من أهل بغداد، له ديوان شعر في أربعة مجلدات يربى على خمسين ألف بيت. الأعلام ٦/ ٢٢٥، وفيات الأعيان ١: ٥٢٦.

(٢) ديوان ابن سكرة، ص ٢٠٧، ووفيات الأعيان ٤/ ٤١٠، وخريدة القصر ٣/ ١٤.

(٣) غرائب التنبيهات على عجائب التشبيهات ١٣٧، ونهاية الأرب ١١/ ١٢٤.

(٤) البيتان للأمير منجك في ديوانه. ٢٥٧

(٥) في الديوان : « من ».

(٦) البيتان للأمير منجك، انظر : سلك الدرر ١/ ١٢١، خلاصة الأثر ٢/ ٦٧، نفحة الريحانة ١/ ١٦٧.

مداهن ياقوت بأعلى زبرجد لقد أحكمت صنعا بحكم قدير

وقال الحكيم الحاذق اللبيب الموافق في البنفسج : [الطويل]

ولما بدا زهر البنفسج خلته نجوم الثريا في أنامل خرد
يشير بألحاظ مِراض كأنها عيون بنات الروم غشت بإثمد

وقال الصلاح الصفدي في النسرين : [السريع]

كأنما النسرين لما بدا لكل من أبصره بالعيان
مداهن الفضة جاءتك في قيعانها شيء من الزعفران

وقال الخليفة المهدي العباسي[١] في الآس[٢] : [الكامل]

أهديت شبه قوامك المياس غصنا رطيبا ناعما من آس
فكأنما تحكيه في حركاته وكأنما يحكيك في الأنفاس

وقال السراج الوراق في الريحان وأجاد في بما ينعش الآذان[٣] : [الوافر]

وريحان تميس به غصون يطيب بشمه شرب الكئوس

---

(١) هو : محمد بن عبد الله المنصور بن محمد بن علي العباسي ، أبو عبد الله المهدي بالله : من خلفاء الدولة العباسية في العراق . ولد بإيذج (من كور الاهواز) وولي بعد وفاة أبيه وبعهد منه (سنة ١٥٨هـ) وأقام في الخلافة عشر سنين وشهرا ، ومات في ماسبذان ، صريعا عن دابته في الصيد ، وقيل مسموما . كان محمود العهد والسيرة ، محببا إلى الرعية ، حسن الخلق والخلق ، جوادا ، يقال : إنه أجاز شاعرا بخمسين ألف دينار ؟ وكان يجلس للمظالم ويقول : أدخلوا علي القضاة فلو لم يكن ردي للمظالم إلا حياء منهم لكفى . وهو أول من مشي بين يديه بالسيوف المصلتة والقسي والنشاب والعمد ، وأول من لعب بالصوالجة في الإسلام . وهو الذي بنى جامع الرصافة ، وتربته بها ، وانمحى أثر الجامع والتربة بعد ذلك .

ترجمته في : الوزراء والكتاب ١٤١ - ١٦٦، مروج الذهب ٢/٢٤٦ - ٢٥٥، تاريخ بغداد ٥/ ٣٩١ - ٤٠١، وسير أعلام النبلاء ٧/ ٤٠٠.

(٢) انظر : نفح الطيب ١/ ٥٧٧، ٥٩٠.

(٣) غرائب التنبيهات على عجائب التشبيهات ١٤٢، ونهاية الأرب ١١/ ١٣٤.

كسودان لبسن ثياب خضر وقد تركوا مكاشيف الرءوس

وقال الصلاح الصفدي في النمام[١] : [الطويل]

أقول وطرف النرجس الغض شاخص إلى وللنمام حولي إلمام
أيا رب حتى في الحدائق أعين علينا وحتى في الرياحين نمام

وقال إسماعيل المصري في البهار : [الطويل]

وجامات تبر في غصون زبرجد تلوح كما لاحت لدى الليل أنجم
تريك لها لونا كلون متيم غدا وهو من فرط الصبابة مغرم

وقد قال الميكالي[٢] في شقائق النعمان[٣] : [الطويل]

يصوغ لنا كف الربيع حدائقا كياقوت عقد بين سمط لآلي
وفيهن أنواع الشقائق أشبهت خدود عذارى نقطت بغوالي

وقال غيره في الأقحوان : [الكامل]

تجلو بقادمتي حمامة أيكة برد أشف لثامه بالأثمد
كالأقحوان غداة غب سمائه جفت أعاليه وأسفله ندي

ومما جاء في التفاح قول الصفي الحلي :

---

(١) البيتان للصفي الحلي في ديوانه ٢٦٧، وانظر : الوافي بالوفيات ١٨٢/٦فقد أشار الصفدي إلأى أن الحلي أنشده هذه الأبيات ولعله سبق قلم من المؤلف ، وانظر : فوات الوفيات ٢/ ٣٤٩.

(٢) عبيد الله بن أحمد بن علي الميكالي ، أبو الفضل (ت ٤٣٦هـ) : أمير ، من الكتاب الشعراء ، من أهل خراسان ، صنف الثعالبي ثمار القلوب لخزانته ، وأورد في يتيمة الدهر محاسن من نثره ونظمه ، ومختارات من كتابه المخزون المستخرج من رسائله ، وسماه صاحب فوات الوفيات عبد الرحمن بن أحمد ، وأورد من شعره ما يوافق بعضه ما في اليتيمة ، مما يؤكد أنهما شخص واحد ، وذكر له من المؤلفات مخزون البلاغة ، والمنتحل ، وملح الخواطر ومنح الجواهر . انظر : الأعلام ٤/ ١٩١، ثمار القلوب ٣ و ٣٦ ويتيمة الدهر ٤: ٢٤٧ - ٢٦٨ وكشف الظنون ١٦٣٩ و ١٨١٧ وفوات الوفيات ٢: ٢٥ - ٢٧.

(٣) انظر : يتيمة الدهر ٢/ ١٠٥.

تفاحة جاءت إلى عاشق يحكى شذاها طيب مهديها
ما مسها مسك ولكنها اكـ ـتسبته من يد مسديها

وقال الصلاح الصفدي في التفاح وأجاد فيه[١]: [الخفيف]

فديت من حيا بتفاحة كأنها في الحسن من وجنته
نسيمها يخبرني أنها تسترق الأنفاس من نكهته
لما حكت لي حسنه في الهوى قبلتها شوقا إلى رؤيته

وقال ابن رشيق[٢] في النارنج[٣]: [الطويل]

ودوحة نارنج [بهتنا][٤] بحسنها وقد نشرت أغصانها للتأود
ونارنجها فوق الغصون كأنه نجوم عقيق في سماء زبرجد

وقال الصلاح الصفدي في السفرجل[٥]: [البسيط]

حاز السفرجل أوصاف الورى فغدا على الفواكه بالتفضيل مشهورا
كالراح طعما وأذكى المسك رائحة والتبر لونا وبدر التام تدويرا

وقال ابن المعتز في الخوخ: [السريع]

وخوخة يحكي لنا نصفها وجنة معشوق رآه الرقيب
ونصفها الآخر شبهته بلون صب غاب عنه الحبيب

---

(١) المحب والمحبوب ٢/ ١٦٤.

(٢) الحسن بن رشيق القيرواني، أبو علي (٣٩٠ - ٤٦٣هـ): أديب، نقاد، باحث، كان أبوه من موالي الأزد، ولد في المسيلة بالمغرب وتعلم الصياغة، ثم مال إلى الأدب وقال الشعر، فرحل إلى القيرواون سنة ٤٠٦ ومدح ملكها، واشتهر فيها، وحدثت فتنة فانتقل إلى جزيرة صقلية، وأقام بمازر إحدى مدنها، إلى أن توفي، من كتبه: العمدة في صناعة الشعر ونقده. انظر: الأعلام ٢/ ١٩١، وفيات الأعيان ١: ١٣٣.

(٣) انظر: ديوانه ١٦٧.

(٤) في الأصل: «نهتنا»، والمثبت من الديوان.

(٥) المستطرف ٢/ ٢٠٤.

وقال أيضا في الرمان[1] : [البسيط]

رمانة صبغ الرحمن خلقتها مثالها ببديع الحسن منعوت
فالقشر حق لها قد صان باطنها والشحم قطن له والحب ياقوت

وقال ابن وكيع في العنب[2] : [الطويل]

شربنا عصير الكرم تحت ظلاله على وجه محبوب الشمائل أغيد
كأن عناقيد الكروم وظلها كواكب در في سماء زبرجد

* * *

(١) المستطرف ٢٦٨/١ للواسطي، وروايتهما :

رأيت رمانة من فوق دوحتها ولونها ببديع الحسن منعوت
فالقشر حق لماض ضم رائحة والشحم قطن له والحب ياقوت

(٢) البيتان لابن المعتز في ديوانه ٣٦٧/١.

obeikandl.com

خاتمة الباب

وتحفة لذوي الآداب

أقول : حيث كان هذا الكلام في الرياحين والأزهار ، وهي لا تستغني عن الماء الذي يلزم له الدواليب[١] قلنا في ذلك :

من ألطف ما يحكى : عن ابن الجزار أنه خرج يوما إلى بعض الرياض لأجل النزهة وكان معه تلميذ له يعرف علم العروض ، فقعد أبو الحسين بن الجزار قريبا من ساقية وأنشد التلميذ ملغزا عليه قوله في ساقية[٢] : [مجزوء الكامل]

يـا أيهـا الحـبـر الـذي علـم الـعـروض به امـتـزج
بـين لـنـا دائـرة فـيـهـا بـسـيـط وهـزج

فلما سمع التلميذ ذلك سكت برهة يتفكر ؛ لأن البسيط والهزج هما من بحور الشعر ولا يجتمعان في دائرة من دوائر العروض الخمس ، ثم خطر بباله أن الشيخ ألغز عليه الساقية ؛ لأنها دائرة فيها بسيط وهو الماء ، وهزج وهو الصوت فقال له : يا سيدي أنا أظن أنها ساقية .

فأجابه الشيخ : نعم إنها هي الساقية وإنك قد أصبت إلا إنك درت فيها ساعة .

وقصد الشيخ الفكاهة بتلك النكتة اللطيفة .

وقال آخر في الناعورة[٣] : [الطويل]

وناعورة غنت وحنت وقد غدت تعبر عن حال المشوق وتعرب

---

(١) الدولاب : شكل كالناعورة يستقى به الماء . انظر : القاموس المحيط (د ل ب) .

(٢) البيتان في الوافي بالوفيات ٦/ ٣٨٦، وفوات الوفيات ٣/ ٢٤.

(٣) البيتان للصفدي في أعيان العصر وأعوان النصر ٣٢٨.

ترقص عطف الغصن تيهًا لأنها تغني له طول الزمان ويشرب

وقال غير هذا في الناعورة وأجاد فيها بقول شريف[١] : [مجزوء الرجز]

ناعورة مذعورة ولهانة وحائره
الماء فوق كتفها وهي عليه دائره

ومما قيل في الدواليب[٢] : [الوافر]

ودولاب شكوت له غرامي فأنَّ أنين ذي شجن حزين
وأرسل دمعة وبكى معينا وأين بكا المعان من المعين
فما تلك الدموع سوى دموعي ولا ذاك الحنين سوى حنيني

وقال غيره : [البسيط]

اشرب على رنة الدولاب كأس طلا من كف أغيد في أجفانه حور
واشرح فديتك ما في الكأس من مُلَح وما عليك إذا لم تفهم البقر

وقال غيره[٣] : [الطويل]

ودولاب روض كان من قبل أغصنا تميس ولما مزقته يد الدهر
تذكر عهدا بالرياض فكله عيون على أيام عهد الصبا تجري

وحيث انتهى الكلام على فصل الربيع، وما يكون فيه من الرياحين، واستدعى الحال للمكاتبات إذ بها راحة النفس والغداء بلبان المقابلة وشم نسيم زهرات الائتناس والتعطر بعبير الصفا، احتجنا نتذكر نزرا من المكاتبة لما فيها من تطييب الخاطر واستلذاذ المعاتبة، والحث على عدم القطيعة والتحريض على دوام الترعف والصحبة المنيعة فقلنا :

---

(١) البيتان لابن الوردي في ديوانه ١٩٨.

(٢) الأبيات لمنجك باشا في ديوانه ١٤٩.

(٣) البيتان لمجير الدين بن تميم، انظر : خلاصة الأثر ٢/ ٤.

obeikandl.com

الباب الثالث عشر

في المراسلة بين الإخوان والأحباب

اعلم أخي ـ وفقنا الله وإياك لما يرضاه وأنالني وإياك كل ما نتمناه وأعاننا جميعا على عدم القطيعة، وجعلني وإياك محافظين على المكاتبة فإنها لصفاء القلوب نعمت الذريعة، وتوجب دوام الوداد، ولو كان كل واحد في ناد وتذكر العهود وتوقع الألفة بين الجنود وتحيي ما اندرس من دارس الصحبة، وتميت ما كان من الترك والقطيعة، وتثير دواعي المحبة، فهذا الباب من أهم الأمور المسطورة في هذا الكتاب وأحقها بالاعتنا وأحراها بالالتفات وهو أجل شيء يقتنى؛ ولذا أفرد بعضهم ذلك بالتأليف حيث كان من أجل مقصد شريف، وأعظم محتد منيف، وقد ذكرنا منه نزرا قليلا لنبرد به غلة أو نشفي به عليلا، فعلى مطالع كتابنا الالتفات لهذا النوع الشريف والمبحث اللطيف، وقد بدأنا فيه بذكر ما كتب إلى العلماء والمجتهدين من القضاة والمفسرين والنحويين والمنطقيين والفقهاء والبيانيين، ثم ثنينا بما يكتب المحبون.

فمن ذلك ما كتبه بعضهم تهنئة بمشيخة الجامع الأزهر والمحل الفخيم الأنور الأطهر:

حمد مبدع الكمال، أصل منبع النعم، وشكر ذي الأفضال، يؤيد لواء الإقبال ويزيل الغمم، وصلاة وسلاما على السيد الهادي تغدق برها على البادي.

أما بعد:

فإن أهل الأزهر قد كانوا متشوقين لأمثال من ولي المشيخة عليهم، فشرفوا بمن ألبسها فعكفت النعمة لديهم، وكان أحق بها وأهلها وأكرمه الله بما حباه

من برها بأن سقاه [عللها][1] ونهلها، فلا غرو أنه العلامة فلان ابن العلامة فلان الآخذ بزمام المعارف واستوى عنده التليد والطارف، حتى صارت المشكلات بالنسبة إليه من الضروريات وأما سواه فلا يشبه إلا الترهات.

وأما الأماني فإنها ألقت إليه المقاليد قائلة: هذا مالكي من دون ريب ولا تعقيد.

وقالت العلياء له: أنت إمامي والقائد لي بزمامي، أنت الأمير وغيرك بالنسبة إليك الحقير، استوى عندك المعقول والمنقول، وجددت ما اندرس من آثار المجتهدين، فتكلُّم غيرك في ذلك إنما هو باب الفضول، فالله يبقيك لإحياء ما اندرس من العلوم، ويعلي بك قواعد الدين وإن كانت قد عفت الرسوم، ويكمل بك السعود ويتم للقاصدين بعلاك المقصود.

صورة جواب لعالم مفسر القرآن الكريم:

إن أحلى ما تحلت به معالم التنزيل، وأجلى ما تحلى بحلى معالمه التأويل تفسير كلام رب العالمين وتأويله على وجه بيِّن واضح التبيين، فمن ذلك ما سطره العلامة الأوحد وحرره الجهبذ الأمجد حضرة العلامة والبحر الفهامة فلان إذ أجاد في تفسيره وبالغ في تحبيره، وأتى بغرائب التأويل وبين ما أشكل من معالم التنزيل بما يعجز عنه الجهابذة الفصحاء والهوابذة[2] النبلاء أهل الحل والعقد في الكلام المعول عليه الذي لا يرجع إلا إليه، فقد أجاد وأفاد وأتى بالسداد، وبين المعمى وأوضح الاسم والمسمى، وحرر وقرر وأنصف وأسعف وأتحف وأترف، وحل المشكلات وفك المعضلات، وأوضح كل مسألة ببانية وأظهر الحقيقة من المجاز بألطف كيفية، فعليه سلام مني بعدد حروف التفسير،

(١) في الأصل: «علها».

(٢) كذا.

وتحيات بالغة يحل بها عني كل عسير، ومني على أحبابه السلام ما ابتدأ مفسر بآية وختم بما عليها من الكلام.

صورة جواب لعالم محدث:

إلى حضرة العلامة الأوحد والفهامة الأمجد الواقف على صحيح الحديث في القديم والحديث جناب السيد فلان دامت معاليه متصلة الإسناد ولا زالت معاشره عزيزة بين العباد.

أما بعد:

فإني لحضرتك غرامي مسلسل، وجسمي لبعادك اعتراه الضعف وائتلافه تبدل، وإسنادي لغيرك غير حاصل، أما إليك فسهدي على الأبد متواصل، وشهرت بانتسابي إليك ووجدي قال: لا معول لي لأحد إلا عليك، فمن بكتابة تبرئ العليل وتشفي فؤادي الغليل، واسمح بجواب وتفضل ولو بمرسل خطاب، واستفت قلبك عن صحيح الكلام؛ فإني لم أزل في حادث هيام، ومني على حضرتك السلام كلما صح حديث جاء في مبدأ أو ختام.

صورة جواب لعالم فقيه:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي فقه في الدين من شاء من عباده، ومنحهم جميل المَبَرَّات على ما سبق في علمه وعلى وفق مراده، وحباهم بما أنالهم من معرفة الحلال من الحرام، وهداهم بما أتاحهم من الأمر بالمعروف والنهي عن ارتكاب الآثام، فلا غرو أنهم أهل الحظ الوافر والقسم الفخيم الذي بره متكاثر.

وصلاة وسلاما على المنزل عليه مشروعية الحلال والانتهاء عن الحرام إذ كان مبغوضا للواحد المتعال، وعلى آله السادة وصحبه القادة.

أما بعد :

فإني لحضرة سيدي مشتاق ، وقلبي لم يزل من تعلقه في منهج الاتفاق ، فهو صاحب البهجة المأنوسة ، العزيز عند كل أحد وعزته سجية مغروسة ، بلغ الأماني وعكف على إقناع كل طالب ببيان المثاني ، فهو الإمام المبجل والهمام المفضل ، شارح المنهاج بقول فصل حاوي الفضائل وبحر الفضل ، ومحرر نهج البيان ، ومحقق روضة التبيان الجهبذي الأكمل واللوذعي الأفضل ، فلا زال كعبة يطوف به كل قاصد ، ومحجة للجاحد ، ودامت الآمال ببابه مأمولة ، وطابت ثمار الفقه عنده ومنه مأخوذة مقبولة .

صورة جواب لعالم نحوي :

سلام مبتدأ أحواله يخبر عن مكنون أقواله ، ويظهر الشوق من ضمير معانيه وتتم الصلات بعوائد مبانيه ، سلام مرفوع ناشئ عن قلب نصب نفسه لمحبة سيده ، فهو لذلك مخفوض موضوع ، فالأحوال شاهدة بأن محبتي لسيدي متميزة وعليه موقوفة جمعها كالواحدة وخبرها متمم للفائدة كـ (الله حق والجباه له ساجدة) ، ومفعول الغرام شاغله أتى بنيابة التمام ومني عليك السلام ما نحا نحوك مستهام ، فالله يبعد عنك لام العلة ويجعلك موفقا بين المفرد والجملة ، ولا زلت في عنايه ظافرا بعواطف الغاية ، ولا برحت في عطف متين وتوكيد لحق أمين .

صورة جواب لعالم بياني :

سلام بالحقيقة أحق ، وعلى البديهة اتسق ، مبعد عن المجاز يكون وصوله في إنجاز عقلية حقيقته مرسل طريقته ، لا يحد بتشبيه ولا تخفى علائقه على نبيه ، طرفاه ليس أحدهما محذوفا بل سمته يكون مألوفا إلى حضرة سيدي العالم البياني المبين الحقيقة من المجاز واضح المعاني الشيخ فلان الفلاني ، لا زال مبينا

لكل كلية وجزئية وأصلية وفرعية .

أما بعد :

فإني مشتاق لحضرتك ، ومتشوق إلى رؤيتك ، لا أبرح عن تعلقي بعلو مقامك ، ولا أزال استطلع طالع كلامك ، فمُنَّ بجواب لتزول عني به الأوصاب ، ومني عليك السلام ما أبانت الحقيقة من المجاز العلماء في أي مقام .

صورة جواب لعالم منطقي :

سلام مني إليك على قياس الاقتران لا استثناء فيه إذ كانت مقدمتاه في غاية وضوح البيان ، وقولي شارح حالي وتصور كلامي بصدق مقالي لا أنا قاض في القضية ولا أهمل في كيفية ظاهرة أو خفية ، وميزان الإنسان يعرض بكلامه عند الإمعان فترفق بمن شفه الجوى وضعفت منه القوى ، ولم يبق فيه إلا صحة القياس ولا عكس عنده في المحبة ولا الباس ، والمقدمات عنده لا تأخر فيها لما أن آخرها كأولها في التوافق قياسا وتشبيها ، وأما لغيرك فضروبه عقيمة ومقدماته معكوسة وغير مستقيمة ، وصغرى المقدمات بالنسبة لحضرتك في غاية الثبات ، فمني عليك السلام ما أتى إنسان بحسن منطق في مبدأ أو ختام .

وكتب بعضهم إلى قاضي محكمة شرعية يهنئه بوظيفة ورتبة علية :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد الله الذي شرع العدل بين البرية ، وحكم بالحق وجعل لكل قسمة لا يتعداها كما ثبت في الأزل حكمة إلهية ، وأودع العدل أناسا اصطفاهم لذلك واختصهم من بين خليقته بما عكفوا عليه من ذلك ، وأولاهم جميل البر بما ولاهم وأتحفهم بما به حلاهم نالوا الوظائف على ما قدر لهم من الأزل ، وحازوا المعارف وبلغوا من الأماني ما أعلاهم كما قضاه ربنا وعدل .

أما بعد :

فإن السيد فلان ابن السيد فلان ابن العلامة السيد فلان المنتمي نسبه لخير البرية قد ولاه مولانا أمير المؤمنين قضاء مصر المحمية ، ولا غرو في أنه أهل لذلك بل هو فوق ما هنالك ، وأنه لما بلغ أهل القطر ملئت صدورهم من السرور ، وبلغوا بولايته الحظ الموفور ، وكانت توليته نعمة عليهم ومنة شريفة واصلة إليهم ؛ إذ كان العدل غريزة غرسها الحق فيه وكان أحق بها وأهلها ، وكان ربك قديرا ، فحكمه نافذ المفعول منه شريفة[1] وتعظيما له وتوقيرا ، وأنا قد قبلناه وعنه رضينا وائتمرنا بأوامره وبنواهيه انتهينا ، فاهنأ يا سيدي بتلك الوظيفة وعمّر فؤادك بالتقوى على ما أنت عاكف عليه ؛ إذ كنت من بضعة منيفة ، بل نهني نفوسنا بولايتك علينا وبلوغ الأمنية لدينا ، فالله يبقيك على رغم شانيك ، ولا برحت متمسكا بأساس العدل مثبتا بما نلت من الفضل ، ودامت لك المسرات وتوفرت عندك المبرات ، ولا برحت ظافرا بالسلامة فائزا بكل بر لا ملامة ، وأتم الله عليك النعم وألبسك لباس المجد والكرم ، وأتحفك بتمام التقوى ومتعك بالحياة الدائمة والأنجال في السر والنجوى .

وكتبنا إلى بعض الأحباب وكان ذلك ردا لجواب ورد إلينا منه : [المجتث]

كتبت أشكوك بيتا مستعصبا من ملالك
وليتني كنت رقما حتى أمر ببالك

أما بعد :

قد ورد كتابك الكريم المشحون باللطائف ، ويا حبذا ذاك الرقيم ، فقمت له إجلالاً على قدم الفرح ، وزال إذ ذاك ما كان عندي من الترح ، وها أنا أرسلت جوابه في غاية الإجادة لأشكر مآثر السيادة ، وألتمس رسالة هي نصف المشاهدة

(١) كذا ولعلها : « تشريفا » .

وزيادة ، أراني الله ضياء محياك الباهر وأنشقني عرفك العاطر بمنه وكرمه آمين .

وكتب بعضهم إلى بعض الإخوان فقال :

هذا كتاب ممن ليله في نحيب ونهاره في تعذيب ، فوالله إنه قد غلبتني أيدي الفراق ، ولو شرحت ما عندي أضاق عنه النطاق ولم تسعه الأوراق ، ولكن أسأل الله الكريم الخلاق رافع السبع الطباق أن يمن علينا بالتلاق ، فألف ألف لا أوحش الله منكم ، والسلام مني عليكم عدد شوقي إليكم ما حن الغريب إلى الأوطان وغرد حمام الأيك على الأغصان ، فرحم الله من قرأ كتابي هذا وتلطف بحالي .

وكتب إلينا بعض المحبين جواب محبة فكتبنا إليه رد الجواب : [الخفيف]

ساعة الظرف حين تقرب مني ... ولقاك السعيد مفتاح أنسي

أسأل الله جمعنا عن قريب ... دام منك اللقا سمائي وشمسي

صورة جواب يكتب لبعض الأحباب :

سلام أخف من النسيم إذا سرى ، وتحيات أرق من طيف الخيال إذا جرى ، سلام نسجته المحبة على منوال الأشواق ، وسطرته المودة بسواد مداد الأحداق ، وتحيات تلعب بالعقول ما لعبت الشَّمول حتى تقبل وجنتيك ، فيا ريحانة ودادي وشقيق فؤادي ، أشكو إليك ما لا يخفى عليك من ألم البعاد والسؤال عنك من كل حاضر وباد ، فما كان الظن يخيب بحضور جواب قريب ، فالتأخير لم يكن بواجب ، ولا سيما أنه مفروض على كل إنسان مصاحب ، وغاية ما أرجوه من حضرتكم البهية ومكارم أخلاقكم العلية إرسال جواب كافي التعبير يكون مفيدا عن صحتكم حتى يقال بعده : (ولا ينبئك مثل خبير) . وحضر تسطيره بعض إخوانكم الفخام فيهدونكم مزيد السلام ، وهم في غاية الصحة التي هي أعظم منحة ، ولا يشق عليهم إلا عدم مطالعة طلعتكم البهية ورؤية ذاتكم

المحروسة الشهية، ولا زلتم في صحة ما بدرٌ لاح ومسك فاح، والله يحفظ طلعتكم ويبقي بهجتكم، والسلام عليكم ورحمة الله ولا برحتم في أمان الإله.

صورة جواب آخر يكتب لبعض الإخوان:

حضرة سيدي العزيز فلان حسنت مساعيه، وخاب وخسر شانيه، نهدي إليك منا نوافح مسك عاطرات بتسليمات وتحيات، ويزهو من بهجتها نور على كل حاد، ويبهت من رونق مسلكها ساطع أنوار على كل باد، ويقوم مقام حلونا لديكم عدد الساعات ووقوفنا بين أيديكم مدى الأوقات، إلى جناب قرة عيني وعزيز المهاب حضرة فلان دام إقباله واستمر إفضاله.

وبعد:

فإن شوقا مني لجناب حار فيه الهائم والدائر، وشدة شجوني حيرت أهل الأعصار حتى في الزمن الغابر، وأمام علم محبتي إليك بالتصريف فلا تحتاج إلى التعريف كما قيل: [المتقارب]

إذا وصف الناس أشواقهم فشوقي لذاتك لا يوصف
وكيف أعبر عن حالة فؤادك مني بها أعرف

فأسأل الله أن يطوي شُقَّة البعد، ويطفي بالقرب نار الصد، فإني مشتاق إلى لقاكم، فإذا أنعمتم علينا برد هذا الخطاب فذلك من الإحسان المترتب عليه جزيل الأجر والثواب.

ومن لطيف المكاتبات ما كتبه بعض المحبين والمكتوب له اسمه أبو الفتوح الكاتب سليمان:

شقيق الروح وصاحب النصر وأبو الفتوح، عليك مني ألف تحية وسلام، فإني لم أزل لبعادك في شدة وهيام، وشوقي حينئذ لا يحد ولا يوجد مثله عند

أحد إذ ما من محب إلا وله مقام في الحب معلوم وقدره لا يتجاوزه محتوم[1] :

[البسيط]

فيا نسيم الصبا أنت الرسول له بلغ سلامي لمن أهواه في الاحيان
أستخدم الريح في حمل السلام لكم كأنما أنا في عصري سليمان

ولا زلت أرمق رد المكتوب عسى تفرج عني به جيوش الكروب، والله أسأل وبنبيه أتوسل أن يديم لنا السيادة، ويختم لنا ولكم بخاتمة السعادة آمين.

وكتب آخر إلى محب له فقال : [الطويل]

كتبت إليكم والسطور حروفها وأعينها ترنو إليكم وترمق
ولي قلم أمسى ورطب لسانه يرجّى لرد منكمو فهو يخفق

سلام من المحب الهائم والصب الصائم، فهو من الهوى على خطر، ومن إقامة الهجر على سقر لا يقر له قرار، ولم يكن له على البعد اصطبار قد شفه الجوى وأهلكه النوى، وما له من شفيع سوى أن يرثى له المحبوب، ويصفح عما كان على فرض أنها ذنوب، والعفو من شيم الكرام والصفح لا يكون بعد إلا غاية الاحترام، فمُنَّ بجواب تشفى به الأسقام، وتزول به الأوصاب فترفق بحال محب تيمه وصفك السني وارث له، فإنه أتعب نفسه في محبتك وعنَّى ومني على ربعك السلام لسلام ما غرد قمري أو هدر حمام.

وكتب بعض الإخوان إلى محبه فقال :

محبك يا شقيق الروح يهديك التحية والسلام، ويخصك من بين البرية بمزيد الإكرام، وينهي إليك أنه مشتاق، ولو شرح ذلك لم تسعه الأوراق، وإني

---

(١) البيتان ملفقان من أبيات للبهاء زهير، وهما في ديوانه :

فَيا نَسيمَ الصَبا أَنتَ الرَسولُ لَهُ وَاللَهُ يَعلَمُ أَنّي مِنكَ غَيرانُ
أَستَخدِمُ الريحَ في حَملِ السَلامِ لَكُم كَأَنَّما أَنا في عَصري سُلَيمانُ

لقربك دائما أشتاق لداعي هجرك لي والفراق ، فبينما أنا أتفكر في أمر البعاد وإذا بالبشير المسطر قد أشرق من غير ميعاد ، فترنمت عند سماع ما تلي عليَّ ، ففهمت جملة معانيه وعلمت ما سطر من مبانيه ، فانشرح الصدر واطمأن القلب ، والحمد لله على تمام المرغوب وإجابة المطلوب ، والأمل من عالي همم الجناب عدم انقطاع المكاتبات ؛ فإنه يزول بها الاكتئاب ، وإليك تنسب حسنها الأخلاق ، أطال الله بقاك ولا شمت فيك عداك آمين .

وكتب بعض الأدباء فقال :

إلى حضرة الجناب الذي علا قدره وكتب على جبين الأيام شكره ، مجيد الشرف فضله غرة في جبين الزمان ومدحه متلو بكل لسان .

وبعد :

فإني سطرت هذا الرقيم معنونا عما في الصميم ، مرقومة حروفه بمداد الفؤاد ، مرسومة مبانيه على رسوم المحبة والاتحاد ، مرفوعة مجاليه على كاهل التعظيم ، مترجمة معانيه عن شوق مقيم بالصميم ، ناشر عرف تحيات يقصر المسك عن نفحها وأشواق يطول القول في شرحها ، إلى ذاتك الشريفة وأخلاقك اللطيفة ، ثم لا نسأل إلا عن صحة المزاج الشريف والخاطر المنيف ، وها أنا ابتدأت بالسؤال ولو أني لم أخطر لك على بال ، ولما أن عز الطلب ببعد المحبوب عمن أحب جعلت لساني ترجمان جناني وأُملي اليراع ببعض ما في الضمير لئلا يعد ذلك من جملة التقصير ، أطال الله بقاكم ولا شمتت فيكم أعداكم .

نميقة تكتب للمحبين :

من محب معلوم جواه محتوم أهلكه الجوى وشفه البين والنوى ، وأحرقه السهاد وأضناه طول البعاد ، أودع من الائتلاف نصيبا وافرا ومن الحتف جزءا

عاكرا، وهو على الدوام يتلهف لورود كتاب من محبوبه ليحيي به دارس جسمه، ويبقي بقية ما بقي من رسمه، فإن جاء كتاب من ذلك الجناب صلحت حالته وحييت له روحه وزالت عنه غالته، وبان عنه النصب وانقطع عنه الوصب؛ فإنه الآن قد رقت له عواذله وشهدت له دلائله بأنه الحري بالحياة الدائمة والحقيق بزوال المراغمة، فكم من محب مع محبوب انهزمت عنه جيوش الكروب، وكم من فتية ما أضاعوا، وكم من المحبين ما أشاعوا، ولو كنت أشعت المحبة أو أتيت بشاهد بظهر الأمر كالدمع فما لي في ذلك مثقال حبة فإنه بالقهر عني وما كان بالتفريط مني، فأقسم عليك بعينيك وبما غرس من الجمال لديك إلا ما رثيت لحالي ونشلتني من أوحالي وأرسلت ولو ورقة صغيرة فإنها لا تكون لديَّ حقيرة بل هي في غاية العظم وبها تتبدل النقم بالنعم ويحسن بها الحال وتنال الآمال وتزول البأساء وتتوفر النعماء وإلا ذهب الجسم مني هباء منثورا وعاد الموجود عدما فإن القلب الآن صار كسيرا ومني على حضرتك السلام ما محب بمحبوبه قد هام وما غرد قمري على دوحه وما شمس جاءت بجواب من طلعتك السمحة.

* * *

خاتمة الباب

وتحفة لذوي الآداب

أقول: إن المكاتبة استدعاء للزيارة بين الأحباب والتماس للمقابلة بين الأصحاب، فهي من أهم الأمور الداعية إلى كمال الحبور، فمن ذلك ما كتب به بعضهم إلى صديق له فقال: طال عهدنا بالاجتماع حتى كدنا نتناكر عند التلاقي، وبعدت شقة النوى ولم نجد لإبراد أُوام[1] حر الجوى من ساقي، وقد جعلك الله للسرور نظاما وللأنس تماما فأطلع في إنسان عيني شمسا وفي سماء قلبي بدرا، فإمضاء العزم بالحر أحرى.

وقلنا استدعاءً لبعض الإخوان:

أيها الشاب الحسن، إن اسمك حسن وشأنك حسن، فزت بوصف شريف حسن وحزت الطبع الجميل الحسن، فاصفح الصفح الحسن واحضر ولو ساعة من الزمن لتصلح البدن وتذهب الحزن، وراقب الإله وارث لمن شفه لبعدك جواه، واحذر القطيعة فإنها بنت الذريعة، واحضر وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا، وفوض في العزم على الحضور أمرك عليه فأنعم به كفيلا.

وكتب آخر فقال:

يومنا ـ أعزك الله ـ رقيق الحواشي لين النواحي، ذو سماء قد رعدت وبرقت، وأنت موضع السرور ونظام العيش والحبور، فأقبل إلينا تنعم ولا تتأخر عنا تندم، وإنك بطاعتنا تسعد وبمخالفتنا لا ترشد.

---

(١) الأوام: شدة العطش. انظر: لسان العرب (أ وم).

وكتب آخر فقال : [الخفيف]

لو تفضلت بالمجيء إلينا لقررنا بقرة العين عينا
ودعا القلب أنسه بحضور وانزوى بالضياء ما كان غينا

وكتب بعضهم إلى صديق له فقال[١] : [السريع]

والإلف لا يصبر عن إلفه أكثر من يوم ويومين
وقد صبرنا عنكمو جمعة ما هكذا فعل المحبين

وكتب آخر فقال في كتابته وأجاد فيها مشمرا ساعد الجد في المحبة[٢] : [الوافر]

جعلت فداك في رأسي خمار وليس دواؤه إلا العشار
وعندي من تحب فدتك نفسي وأقداح وأكواب تدار
فبادر غير مأمور سريعا وإن بنا لموردك انتظار

وكتب سعيد بن حميد[٣] لبعض أصدقائه فقال :

قد طلعت الكواكب تنتظر بدرها فرأينك في الطلوع قبل غروبها كما قال الشاعر[٤] : [الطويل]

ولما رأينا منزلا حله[٥] الندى أنيقا وبستانا من النور جاليا

---

(١) غرر الخصائص الواضحة ٢/ ٤٢٦.

(٢) غرر الخصائص الواضحة ٢/ ٣٥٧.

(٣) سعيد بن حميد بن سعيد ، أبو عثمان (توفي نحو ٢٥٠هـ) : كاتب مترسل ، من الشعراء ، أصله من النهروان الأوسط ، من أبناء الدهاقين ، ومولده ببغداد ، ثم كان يتنقل في السكنى بينها وبين سامراء ، وقلده المستعين العباسي ديوان رسائله ، أكثر أخباره مناقضات له مع فضل الشاعرة ، وشعره رقيق ، كان ينحو فيه منحى ابن أبي ربيعة وأضرابه . انظر : الأعلام ٣/ ٩٣، ٩٤، الأغاني ١٧: ٢ ـ ٨، والمورد ٣: ٢: ٢٢٨.

(٤) ورد البيت في ديوان ابن نباتة السعدي ، والحسين بن مطير الأسدي ، ومالك بن أسماء الفزاري .

(٥) في ديوان ابن نباتة ، والحسين بن مطير : « ظله » ، وفي ديوان مالك بن أسماء الفزاري : « ظله » .

أجدَّ لنا طيب المكان وحسنه وكنا تمنينا فكنت الأمانيا

وقال آخر في زيارة[1] : [الطويل]

وماذا عليكم لو منتم بزورة فأوجبتمو فيها علينا التفضلا

فإن لم تكونوا مثلنا في اشتياقنا فكونوا أناسا تحسنون التجملا

اعلم أن بعض الإخوان قد يستدعي بعض الخلان ؛ لأن يزوره ليتم له السرور ويكثر عنده الحبور ، ولما كان قد يوجد للشخص بعض اشتغال يحول عن نوال الآمال فيقدم له بعض المعاذير ليتخلص من شغل يكون بالخاطر فتشعب القلوب وتتفاوت المقادير ، فإن الإخوان لا يعوقهم عائق وهذا بهم هو اللائق ، فمن ذلك أن بعض الإخوان دعانا لزيارة وكان عندنا ما يشغل عن تلك العبارة فكتبنا إليه :

سيدي ـ أعز الله الجناب ـ إن محلك عندنا هو المستطاب ، وقد وعدت بالجميل أن تزور الصب الذي فؤاده لبعدك عليل ، فإن وفيت كنت شفاء السقام ومبرئ الآلام ومبرد الغليل ، ورأيت أنك أرسلت إليَّ للزيارة وصرحت لي بدل الإشارة ، ولكن الآن عندنا شغل شديد ، وهو في هذا الأوان أكيد ، فسامحني الآن واحضر أنت لنوال الأمان ، ولا تظن أن في النفس شيء فإنه لا شيء أحسن منك عندي من كل حي ، والله يتولى هداك ويديم لي رضاك .

وكتب بعضهم معتذرا لما طلبه بعض إخوانه :

سيدي إن طلبك أهم الطلب وهو أجل شيء أنال به الأرب لما في مجلسك المحتشم من كمال الأدب ؛ إذ أنت في شرف الحسب ، والهفوات عندك تجتنب ، ولكن لا تؤاخذني بما نسيت ولا ترهقني من أمري عسرا وألقِ ما كان من بعض الأخوان فإنهم ليسوا بإخوان الصفا ، إذ لا يعولون على الوفا ، بل لا يعزمون إلا على المفاسد ومنهم المصرح والرائد ، وأما أنا فلست إلا في غاية من

(١) محاضرات الأدباء ٢/ ٤٥١، وغرر الخصائص ٢/ ٣٥٤..

يود دوام المحبة واستدامة حال الصحبة ، وإن شاء الله أحضر عن قريب ويزول بحضوري ـ إن شاء الله ـ ريب المريب ، والله يتولى هناك ولا يحرمني رضاك .

وكتب بعضهم معتذرا :

اقبل معذرتي الآن في الحضور وفوض الأمر لعالم السر والجهر في كل الأمور ، فإني الآن شارع في مهم جسيم وملم يحتاج تفرغ ذهن سليم ، وأرجو أن يكون منك لنا المساعدة فلا تحرمنا من وجودك ، ولا تعول على المباعدة ، ولا تؤاخذني الآن في عدم الحضور ، فلو كشفت لك النقاب عن حالي لعلمت أني معذور ، والله يبقيك على رغم شانيك آمين .

وكتب آخر معتذرا فقال :

وهذه ساعة التداني ولكن شديد المرض أعياني ، فإذا شفيت حضرت وعن تشرفي بجانبك ما قصرت ، وإياك أن تظن بي شرا فإن هذا بالأعداء أحرى .

وكتب آخر يعتذر ويذكر أنه لا يعلم مرض صاحبه فقال[1] : [الخفيف]

دفع الله عنك نائبة السو ء وحاشاك أن تكون عليلا
أشهد الله ما علمت وما ذا ك من العذر جائزا مقبولا
فلعمري أن لو علمت لقاسم تك نصفا وكان ذاك قليلا
فاجعلن لي إلى التعلق بالعذ ر سبيلا فلم أجد لي سبيلا
فقديما ما جاد ذو الود بالود د وما سامح الخليل الخليلا

وهذا فيما كتب من لطائف الاعتذار وما يعطف القلوب بعد النفار ، **فمن ذلك أقول :**

---

(١) العقد الفريد ٢/ ٤٤٩.

إن أحسن رقعة كتبت في الاعتذار وألطفها رقعة كتبها الراضي[١] على أخيه المتقي[٢] وكان قد جرى بينهما كلام بحضرة المؤدب، وكان المتقي قد اعتدى

---

(١) الراضي بالله (٢٩٧ ـ ٣٢٩هـ/٩١٠ ـ ٩٤٠م) محمد بن المقتدر بالله جعفر بن المعتضد بالله أحمد، أبو العباس، الراضي بالله: خليفة عباسي. كانت أيام سلفيه (القاهر والمقتدر) أيام ضعف امتنع فيها أمراء البلاد عن الطاعة واستقل كثير من الولاة بما كانوا يلون. ولما ولي الراضي (سنة ٣٢٢هـ) حاول إصلاح الأمر فأعجزه، فكتب إلى محمد بن رائق (عامله على واسط والبصرة والأهواز) يستقدمه إلى بغداد، وقلده إمارة الجيش، وجعله أمير الأمراء، وولاه الخراج والدواوين (سنة ٣٢٤) وتفاقم أمر العمال في الأطراف فلم يبق اسم للخليفة في غير بغداد وأعمالها، فكانت بلاد فارس في أيدي بني بويه، والموصل وديار بكر ومضر وربيعة في أيدي بني حمدان، ومصر والشام في يد محمد بن طغج، والمغرب وإفريقية في يد القائم العلوي، والأندلس في يد الناصر الأموي، وخراسان وما وراء النهر في يد نصر السامانى، وطبرستان وجرجان في يد الديلم. وهكذا تفككت عرى الدولة في أيامه.
ترجمته في: أخبار الراضي والمتقي للصولي ١/ ١٨٥، مروج الذهب ٢/ ٥١٩ وما بعدها، معجم الشعراء ٤٣٠، تاريخ بغداد ٢/ ١٤٢ ـ ١٤٥، المنتظم ٦/ ٢٦٥ ـ ٢٧١، ٣٢٤ ـ ٣٢٥، الكامل ٨/ ٢٨٢ وما بعدها، النبراس ١١٤ ـ ١١٩، العبر ٢/ ٢١٨ ـ ٢١٩، الوافي بالوفيات ٢/ ٢٩٧ ـ ٣٠٠ فوات الوفيات ٢/ ٣٧٥ ـ ٣٧٧، مرآة الجنان ٢/ ٢٩٦، البداية والنهاية ١١/ ١٧٨ ـ ١٧٩، النجوم الزاهرة ٣/ ٢٧١ تاريخ الخلفاء ٣٩٠ ـ ٣٩٣، شذرات الذهب ٢/ ٣٢٤.

(٢) المتقي لله (٢٩٧ ـ ٣٥٧هـ/٩١٠ ـ ٩٦٨م) هو: إبراهيم بن المقتدر بالله جعفر بن المعتضد بالله أحمد بن الموفق بن المتوكل، أبو إسحاق: خليفة عباسي. ولي الخلافة بعد موت أخيه الراضي بالله (سنة ٣٢٩هـ) ودامت خلافته أربع سنين إلا شهرا وأياما، كان فيها المسيطرون على الملك في أيام سلفه مسيطرون عليه، غير أنه وفق لاستبدال أشخاص بأشخاص. وكان موصوفا بالصلاح والتقى، يقول: نديمي المصحف. وفى أيامه تولى إمارة الأمراء (توزون) التركي (سنة ٣٣١هـ) وخافه المتقي فخرج بأهله من بغداد عاصمته إلى الموصل ومنها إلى الرقة. وتوزون يأمر وينهى. وفي سنة ٣٣٣ هـ بعث إلى توزون يستأمنه، فأقسم له بالأمان، فركب الفرات وبلغ السندية فقبض عليه توزون وخلعه، وسمل عينيه، وجئ؟ به إلى بغداد، فسجن وهو أعمى إلى أن مات. =

على الراضي فكتب إليه: أنا معترف لك بالعبودية فرضًا، وأنت معترف لي بالأخوة فضلا، والعبد يذنب والمولى يعفو ويغفر، وقد قال شاعر[1]:

ياذا الذي يغضب في غير شي اعتب فعتباك حبيب إلي
أنت على أنك لي ظالم أعز خلق الله طُرًا علي

فلما وقف على الرقعة هبت عليه منها رياح الأريحية، فعطت منه عواطف النفس الأبية ومضى إليه راضيا وأكب عليه باكيا، وانحسمت بينهما مواد الهجر بقبول صادق العذر، وأزيل مصون الحقد وانتظم بانتظار الشمل مثل انتظام العقد[2].

واعتذر آخر فقال في اعتذاره:

لُذْت بعفوك واستجرت بصفحك، فأذقني حلاوة الرضا وأجرني من مرارة السخط فيما مضى.

وكتب آخر معتذرا فقال:

لكل ذنب عفو وعقوبة فذنوب الخاصة مستورة وسيئاتهم مغفورة، وذنب مثلي من العامة لا يغفر، وكسره لا يجبر، وإن كان ولا بد من العقوبة فعاقبني بإعراض لا يؤدي إلى إبعاد، ولا يفضي في الصفح إلى ميعاد، ولأن تحسنوا وقد أسأنا خير من أن تسيئوا وقد أحسنا، فإن كان الإحسان منا فما أحقكم بمكافأته، وإن كان منكم فما أحقكم باستتمامه.

= ترجمته في: أخبار الراضي والمتقي للصولي: ١٨٦ - ٢٨٥، مروج الذهب: ٢/ ٥٣٠، تاريخ بغداد: ٦/ ٥١ - ٥٢، المنتظم: ٦/ ٣١٦ - ٣١٩، ٧/ ٤٣، الكامل: ٨/ ٣٦٨ وما بعدها، النبراس: ١١٩ - ١٢٠، العبر: ٢/ ٣٠٧ - ٣٠٨، الوافي بالوفيات: ٥/ ٣٤١، ٣٤٢، نكت الهميان: ٨٧، تاريخ الخلفاء: ٣٩٤ - ٣٩٧، شذرات الذهب: ٣/ ٢٢ - ٢٣.

(١) الأذكياء، ص ١٠٥.

(٢) غرر الخصائص ٢/ ٤١٦.

قال الشاعر في المعنى : [الوافر]

أقِل ذا الود عشرته وقِفْهُ على سنن الطريق المستقيمه
ولا تسرع بمعتبة إليه فقد يهفر ونيته سليمه

وكتب آخر فقال : [الطويل]

أسأت ولم أحسن وجئتك هاربا وأنى لعبد من مواليه مهرب
يؤمل غفرانا فإن خاب ظنه فما أحد منه على الأرض أخيب

وكتب آخر فقال : [البسيط]

يا من أسأت وبالإحسان قابلني وجوده لجميع الناس مبذول
قد جاء عبدك يا مولاي معتذرا وأنت للعفو مرجو ومأمول

وكتب آخر لبعض الملوك فقال[1] : [البسيط]

هبني أسأت فأين الفضل والكرم إذ قادني نحوك الإحسان والنعم
يا خير مولى وخير الناس كلهم قد جرني نحوك الإذعان والندم
يا خير من مدت الأيدي إليه أما ترثي لشيخ نعاه عندك الهرم
بالغت في السخط فاصفح صفح مقتدر أن الملوك إذا ما استرحموا رحموا

وكتب آخر معزيا بعض إخوانه فقال : [البسيط]

إنا نعزيك لا أنا على ثقة من البقاء ولكن سنة الدين
فلا المعزي بباق بعد ميتته ولا المعزي وإن عاشا إلى حين

وكتب آخر معتذرا فقال : [مجزوء الكامل]

إن كنت عبدا مذنبا فاعطف علي بحسن رأيك
أو كنت لست بمذنب فدع التمادي في جفائك

وكتب آخر فقال : [الوافر]

(١) الأبيات للحاجب المصحفي في ديوانه ٢٠٥.

وما قابلت سخطك باعتذار ولكني أقول كما تقول
سأطرق باب عفوك باعتراف ويحكم بيننا الخلق الجميل

وكتب آخر اعتذارا فقال :

سيدي ، إنني معتذر إليك وقد جنيت وجئت واقفا بين يديك ، فلا أقدر على شيء أخرج به من سخطك إلا رضاك عني ، فارض واقبل هذا الاعتذار مني ، فإنا المملوك وأنت المالك وحينئذ فلك التصرف فيما هنالك يا ذا الأخلاق الحسان فأنت من عنصر طيب طاهر مُصان وأنت للعفو أهل وعلى كل حال فلك جزيل الفضل .

ومن ذلك ما كتبه إسحاق الموصلي اعتذارا عما كان منه[1] :

لا شيء أعظم من ذنبي سوى أملي لعفوك اليوم عن ذنبي وعن زللي
فإن يكن ذا وذا عندي قد اجتمعا لأنت أعظم من ذنبي ومن أملي

وحسبك من فن المراسلة هذا المقدار فإن سنتنا في كتابنا هذا الإيجاز والاختصار ، ولما أنهينا الكلام على هذا النزر من صور المكاتبة بين كل خليل وحبيب مصان مما به تطيب القلوب بدوام الوداد والألفة بين الخلان ، أحببنا أن نذكر الهدايا التي يستعطف بها القلب الشارد عن إخوانه ويستمال بها الإلف المعرض عن أخدانه فقلنا :

* * *

(١) ديوانه ، ص ٢٦٦، والأغاني ٢/ ١٠٣.

obeikandl.com

الباب الرابع عشر

في ذكر ما كتب على الهدايا التي يستعطف بها القلب الشارد ليورد من المحبة أعظم الموارد

قال رسول الله ﷺ: «**تهادوا تحابوا وتذهب الشحناء**»[١]. وقال رسول الله ﷺ: «**تهادوا فإن الهدية تذهب وغر الصدور**»[٢].

وفي الأثر: الهدية تجلب إلى المودة القلب والسمع والبصر[٣].

وقال الشاعر[٤]: [مجزوء الكامل]

إن الهدية حلوة كالسحر تجتلب القلوبا
تدني البغيض من الهوى حتى تصيره حبيبا
وتعيد مضطغن العدا وة في تباعده قريبا

واعلم أن من امتنع من إهداء القليل لجلالة قدر المهدى إليه ورفعة شأنه، انقطعت سبل المودة بينه وبين إخوانه ولزمه الجفاء من حيث التمس الإخاء.

قال أبو العتاهية[٥]: [الوافر]

---

(١) أخرجه البيهقي (٦/ ١٦٩، رقم ١١٧٢٦)، والبخاري في الأدب المفرد (١/ ٢٠٨، رقم ٥٩٤)، وأبو يعلى (١١/ ٩، رقم ٦١٤٨) وابن عدي (٤/ ١٠٤، ترجمة ٩٥٣ ضمام بن إسماعيل مصري)، وابن عساكر (٦١/ ٢٢٥).

(٢) أخرجه أحمد (٢/ ٤٠٥، رقم ٩٢٣٩)، والترمذي (٤/ ٤٤١، رقم ٢١٣٠) وقال: غريب من هذا الوجه والطيالسي (ص ٣٠٧، رقم ٢٣٣٣)، وابن أبي الدنيا في مكارم الأخلاق (ص ١٠٩، رقم ٣٥٩)، وابن عبد البر في التمهيد (٢١/ ١٩).

(٣) المستطرف ٢/ ٢٩١.

(٤) عيون الأخبار ٣/ ٣٥.

(٥) إسماعيل بن القاسم بن سويد العيني، العنزي (من قبيلة عنزة) بالولاء، أبو إسحاق الشهير بأبي =

هدايا الناس بعضهم لبعض تولد في قلوبهم الوصالا
وتزرع في القلوب هوى وودا وتكسوهم إذا حضروا جمالا[١]

وبالجملة فإن الهدية إذا كانت من الصغير إلى الكبير فلطفت ودقت كانت أبهى وأحسن، وإذا كانت من الكبير إلى الصغير فعظمت وجلت كانت أوقع في النفوس وأنجع وأمكن، فمن ذلك ما أهداه يعقوب الكندي[٢] إلى بعض

= العتاهية (١٣٠ - ٢١١هـ): شاعر مكثر، سريع الخاطر، في شعره إبداع، كان ينظم المائة والمائة والخمسين بيتا في اليوم، حتى لم يكن للإحاطة بجميع شعره من سبيل، وهو يعد من مقدمي المولدين، من طبقة بشار وأبي نواس وأمثالهما، وكان يجيد القول في الزهد والمديح وأكثر أنواع الشعر في عصره، ولد في عين التمر بقرب الكوفة، ونشأ في الكوفة، وسكن بغداد، وكان في بدء أمره يبيع الجرار فقيل له الجرار ثم اتصل بالخلفاء وعلت مكانته عندهم، وهجر الشعر مدة، فبلغ ذلك المهدي العباسي، فسجنه ثم أحضره إليه وهدده بالقتل أو يقول الشعر، فعاد إلى نظمه، فأطلقه، وأخباره كثيرة، توفي في بغداد. انظر: الأعلام ١/ ٣٢١، الأغاني، طبعة دار الكتب، ٤: ١ وابن خلكان ١: ٧١ ومعاهد التنصيص ٢: ٢٨٥ ولسان الميزان ١: ٤٢٦ وتاريخ بغداد ٦: ٢٥٠ والشعر والشعراء ٣٠٩.

(١) انظر: ديوانه ٣٢٨.

(٢) الكندي (نحو ٢٦٠هـ/نحو ٨٧٣م) هو: يعقوب بن إسحاق بن الصباح الكندي، أبو يوسف: فيلسوف العرب والإسلام في عصره، وأحد أبناء الملوك من كندة. ونشأ في البصرة. وانتقل إلى بغداد، فتعلم واشتهر بالطب والفلسفة والموسيقى والهندسة والفلك. وألف وترجم وشرح كتبا كثيرة، يزيد عددها على ثلاثمائة. ولقي في حياته ما يلقاه أمثاله من فلاسفة الأمم، فوشي به إلى المتوكل العباسي، فضرب وأخذت كتبه، ثم ردت إليه. وأصاب عند المأمون والمعتصم منزلة عظيمة وإكراما. قال ابن جلجل: "ولم يكن في الإسلام غيره احتذى في تواليفه حذو أرسطاطاليس" من كتبه "رسالة في التنجيم" و"اختيارات الأيام" و"تحاويل السنين" و"إلهيات أرسطو" و"رسالة في الموسيقى" و"الأدوية المركبة" ترجمت إلى اللاتينية وطبعت بها، و"رسم المعمور" خرائط وصور عن الارض، ذكره المسعودي، و"الترفق، في العطر" في العطور، و"السيوف وأجناسها" رسالة، و"القول في النفس" رسالة نشرت في مجلة الكتاب، و"المد والجزر" و"ذات الشعبتين" وهي آلة فلكية، و"خمس رسائل، أولاها في ماهية العقل"=

إخوانه؛ فإنه أهدى سيفا له وكتب معه: الحمد لله الذي خصك بمنافع ما أهدى إليك وأتحفك بعلو المزايا فيما مَنَّ به عليك، فجعلك تهتز للمكارم اهتزاز الصارم، وتمضي في الأمور مضاء المأثور، وتصون عرضك بالإرفاد كما تصان السيوف في الأغماد، ويظهر دم الحياء في صفحة خدك المشروف كما يشف الرونق في صفحات السيوف، وتصقل شرفك بالعطيات كما تصقل متون المشرفيات[١].

وقال يحيى بن خالد بن برمك[٢] رحمه الله تعالى: ثلاثة أشياء تدل على عقول الرجال: الهدية والرسول والكتاب.

ولذا قيل في ذلك[٣]: [الوافر]

إذا أرسلت في أمر رسولا فأفهمه وأرسله أديبا

= ترجمت إلى اللاتينية، و"الشعاعات" و"الفلسفة الأولى فيما دون الطبيعيات والتوحيد" نشر باسم "كتاب الكندي إلى المعتصم بالله في الفلسفة الأولى".

ترجمته في: طبقات الأطباء ١/ ٢٠٦، ٢١٤، والفهرست: ٢٥٥، ٢٦١، وطبقات الأطباء والحكماء لابن جلجل: ٧٣، أخبار الحكماء للقفطي: ٢٤٠، ٢٤٧، لسان الميزان، ٦/ ٣٠٥، سرح العيون: ١٢٣، وسير أعلام النبلاء ١٢/ ٣٣٧.

(١) غرر الخصائص الواضحة وعرر النقائص الفاضحة ٢/ ٤١١.

(٢) يحيى بن خالد بن برمك، أبو الفضل (١٢٠ ـ ١٩٠ هـ = ٧٣٨ ـ ٨٠٥م): الوزير السري الجواد، سيد بني برمك وأفضلهم، وهو مؤدب الرشيد العباسي ومعلمه ومربيه، رضع الرشيد من زوجة يحيى مع ابنها الفضل، فكان يدعوه: يا أبي! وأمره المهدي سنة ١٦٣هـ وقد بلغ الرشيد الرابعة عشرة من عمره، أن يلازمه، ويكون كاتبا له، ولما ولي هارون الخلافة دفع خاتمه إلى يحيى، وقلده أمره، فبدأ يعلو شأنه، واشتهر يحيى بجوده وحسن سياسته، واستمر إلى أن نكب الرشيد البرامكة فقبض عليه وسجنه في الرقة إلى أن مات. الأعلام ٨/ ١٤٤، وفيات الأعيان ٢/ ٢٤٣، والبداية والنهاية ١٠/ ٢٠٤.

(٣) الأبيات لأبي عطاء السندي، انظر: الأغاني ٤/ ٤٨١، وتنسب لأبي الأسود الدؤلي، انظر: المحاسن والمساوئ ص ٧٦.

ولا تترك وصيته بشيء وإن هو كان ذا عقل أريبا
فإن ضيعت ذاك فلا تلمه على أن لم يكن علم الغيوبا

وأهدى الصابي[١] دواة ومرفعا وكتب معهما :

قد خدمت مجلس مولانا بدواة يداوي بها مرض عفاته ، ويروي بها قلوب عداته على مرفع يؤذن بدوام رفعته وارتفاع النوائب عن ساحته .

وأهدى أيضا إلى بعض الأصحاب فرسا وكتب معه :

قد قدمت إليك فرسا ، فالله تعالى يبارك لك فيه ، ويجعل الخير معقودا بنواصيه ، والإقبال غرة وجهه ونيل الأماني طلق شده ، [وفتح][٢] الفتوح غاية شأوه ، ودراك المطلب تحجيل قوائمه ، وسلامة العواقب منتهى عنانه والسلام[٣] .

وكتب آخر مع هدية أهداها ليلا فقال[٤] : [المتقارب]

بعثت عشيا إلى سيد بما هو من خلقه مقتبس
هدية خل صحيح الإخا جرى منه ذكرك مجرى النفس
فجد بالقبول وأيقن بأن لفرط الحياء أتت في الغلس

وكتب آخر فقال : [البسيط]

بث المعارف عادات لك اشتهرت إن شئت أثبتني أو شئت تنفيني
إن لم تكن حاجة تقضى فلا أسف شمول حلمك لي والعفو يكفيني

---

(١) إبراهيم بن هلال الصابى ، كان متشددا فى دين الصابئه ، حاول معه عز الدولة البويهى لكى يسلم فما استطاع ، وكان مع ذلك يحفظ القرآن ويصوم رمضان مع المسلمين مات سنة ٣٨٤. ترجمته فى معجم الأدباء ٢/ ٢٠، ووفيات الأعيان ١/ ٥٢..

(٢) في الأصل : « وفيخ » ، والمثبت من غرر الخصائص .

(٣) غرر الخصائص ٢/ ٤٢٤.

(٤) الشعر للأغلبي السعدي كما في خريدة القصر وجريدة العصر٢/ ٢٧٠.

وكتب آخر مع هدية أرسلها فقال[١] : [مجزوء الكامل]

يـا أيهـا المولى الـذي عـمـت أيـاديـه الجـمـيـلـه
اقـبـل هـديـة مـن يـرى فـي حـقـك الـدنـيا قـلـيلـه

وكتب آخر مع هدية صغيرة فقال[٢] : [المتقارب]

قـبـول الـهـديـة أكـرومـة وحاشاك من أن ترد الكرم
فـإن الملـوك عـلى قـدرهـا لـتـقـبـل نُـشَّـابـة أو قـلـم

ومن الحكايات المستظرفة ما يحكى أن بعض القينات افتصدت[٣] فأهدى لها محبوبها هدايا فكان من جملتها ثلاث سِلال مخيطة :

* ففتحت سلة منها فوجدتها مملوءة ماشًا[٤] وفيها رقعة مكتوب فيها : ماش خير من لاش[٥] .

* ثم فتحت الأخرى فإذا مملوءة عصافير ، فطاروا وفيها رقعة مكتوب فيها هذه : أعتقتها لوجه الله تعالى شكرا له على سلامتك من فصدك .

* ثم فتحت الثالثة فإذا هي فارغة لا شيء فيها إلا رقعة مكتوب فيها : لو كان لنا شيء لأهديناه وما أخرناه .

فضحك الحاضرون جميعا من ذلك ولم تدع القينة شيئا مما أهدي إليها إلا أعطته منه[٦] .

---

(١) غرر الخصائص ٢/ ٤٢٢.

(٢) غرر الخصائص ٢/ ٤٢٢.

(٣) يقال فصد المريض : أخرج مقدارا من دم وريده بقصد العلاج . الوسيط (ف ص د) .

(٤) الماش : قماش البيت . انظر : لسان العرب (م ي ش) .

(٥) أي : ما كان في البيت من قماش لا قيمة له خير من بيت فارغ لا شيء فيه . فخُفّف (لاش) لازدواج (ماش) . لسان العرب (م ي ش) .

(٦) محاضرات الأدباء ٢/ ٤١٩.

وكتب آخر على هدية أرسلها لأحد الإخوان هذين البيتين:

أرسلتُ شيئا قليلا يقل عن قدر مثلك
فابسط يدا العذر فيه واقبله مني بفضلك

وقد أهدينا لبعض إخواننا مصحفا وكتبنا معه رقعة وهي:

قد أهدينا إليك ما هو أحب إليك وأعظم لديك لما عرفنا محبتك لكلام رب العالمين وتعظيمك لشريعة سيد المرسلين، فيه الحلال والحرام وطلب فعل الواجب، واجتناب الآثام ولا شيء من ذلك إلا وأنت ولع بإعلائه وإغلائه على حسب ما أمرك الإله في أنبائه، فتمتع بالقراءة فيه والنظر إليه، ومتع بصرك وشنف مسامعك فيما تثاب عليه، والله يولي الجميل لمن يشاء، ويعطي الفضل لمن أراد خير الجزاء، لا رادَّ لما أولاه ولا دافع لما قضاه.

وحكي أن الشريف أهدى إلى الملك صلاح الدين أيوب[1] هدايا وكان

(١) صلاح الدين الأيوبي (٥٣٢ - ٥٨٩هـ/١١٣٧ - ١١٩٣م) هو: يوسف بن أيوب بن شاذي، أبو المظفر، صلاح الدين الأيوبي، الملقب بالملك الناصر: من أشهر ملوك الإسلام. كان أبوه وأهله من قرية دوين (في شرقي أذربيجان) وهم بطن من الروادية، من قبيلة الهذانية، من الأكراد. نزلوا بتكريت، وولد بها صلاح الدين، وتوفي فيها جده شاذي. ثم ولي أبوه (أيوب) أعمالا في بغداد والموصل ودمشق. ونشأ هو في دمشق، وتفقه وتأدب وروى الحديث بها وبمصر والإسكندرية، وحدث في القدس. ودخل مع أبيه (نجم الدين) وعمه (شيركوه) في خدمة نور الدين محمود بن عماد الدين زنكي (صاحب دمشق وحلب والموصل) واشترك صلاح الدين مع عمه شيركوه في حملة وجهها نور الدين للاستيلاء على مصر (سنة ٥٥٩هـ) فكانت وقائع ظهرت فيها مزايا صلاح الدين العسكرية. وتم لشيركوه الظفر أخيرا، باسم السلطان نور الدين، فاستولى على زمام الأمور بمصر، واستوزره خليفتها العاضد الفاطمي. ولكن شيركوه ما لبث أن مات. فاختار العاضد للوزارة وقيادة الجيش صلاح الدين، ولقبه بالملك الناصر. وهاجم الفرنج دمياط، فصدهم صلاح الدين. ثم استقل بملك مصر، مع اعترافه بسيادة نور الدين. ومرض العاضد مرض موته، فقطع صلاح الدين خطبته، وخطب=

الرسول يخرج منها واحدة واحدة ويعرضها على الملك ، ثم إنه أخرج مروحة من

=للعباسيين ، وانتهى بذلك أمر الفاطميين . ومات نور الدين (سنة ٥٦٩) فاضطربت البلاد الشامية والجزيرة ، ودعي صلاح الدين لضبطها ، فأقبل على دمشق (سنة ٥٧٠) فاستقبلته بحفاوة . وانصرف إلى ما وراءها ، فاستولى على بعلبك وحمص وحماة وحلب . ثم ترك حلب للملك الصالح إسماعيل بن نور الدين ، وانصرف إلى عملين جديين : أحدهما الإصلاح الداخلي في مصر والشام ، بحيث كان يتردد بين القطرين ، والثاني دفع غارات الصليبيين ومهاجمة حصونهم وقلاعهم في بلاد الشام . فبدأ بعمارة قلعة مصر ، وأنشأ مدارس وآثارا فيها . ثم انقطع عن مصر بعد رحيله عنها سنة ٥٧٨ إذ تتابعت أمامه حوادث الغارات وصد الاعتداآت الفرنجية في الديار الشامية ، فشغلته بقية حياته . ودانت لصلاح الدين البلاد من آخر حدود النوبة جنوبا وبرقة غربا إلى بلاد الأرمن شمالا ، وبلاد الجزيرة والموصل شرقا . وكان أعظم انتصار له على الفرنج في فلسطين والساحل الشامي "يوم حطين" الذي تلاه استرداد طبرية وعكا ويافا إلى ما بعد بيروت ، ثم افتتاح القدس (سنة ٥٨٣) ووقائع على أبواب صور ، فدفاع مجيد عن عكا انتهى بخروجها من يده (سنة ٥٨٧) بعد أن اجتمع لحربه ملكا فرنسا وانكلترة بجيشيهما وأسطوليهما . وأخيرا عقد الصلح بينه وبين كبير الفرنج ريكارد قلب الأسد ملك انكلترة) على أن يحتفظ الفرنج بالساحل من عكا إلى يافا ، وأن يسمح لحجاجهم بزيارة بيت القدس وأن تخرب عسقلان ويكون الساحل من أولها إلى الجنوب لصلاح الدين . وعاد "ريكارد" إلى بلاده . وانصرف صلاح الدين من القدس ، بعد أن بنى فيها مدارس ومستشفيات . ومكث في دمشق مدة قصيرة انتهت بوفاته . وكان رقيق النفس والقلب ، على شدة بطولته ، رجل سياسة وحرب ، بعيد النظر ، متواضعا مع جنده وأمراء جيشه ، لا يستطيع المتقرب منه إلا أن يحس بحب له ممزوج بهيبة . اطلع على جانب حسن من الحديث والفقه والأدب ولا سيما أنساب العرب ووقائعهم ، وحفظ ديوان الحماسة . ولم يدخر لنفسه مالا ولا عقارا . وكانت مدة حكمه بمصر ٢٤ سنة ، وبسورية ١٩ سنة ، وخلف من الأولاد ١٧ ذكرا وأنثى واحدة . وللمصنفين كتب كثيرة في سيرته ، منها : كتاب "الروضتين" لابي شامة ، في تاريخ دولته ودولة نور الدين ، و "النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية" لابن شداد ، ويسمى "سيرة صلاح الدين" و"البرق الشامي" سبعة أجزاء ، في أخباره وفتوحاته وحوادث الشام في أيامه ، لعماد الدين الكاتب ، و"النفح القسي في الفتح القدسي" لعماد الدين أيضا ، و"صلاح الدين الأيوبي وعصره" لمحمد فريد أبي حديد ، و"حياة صلاح الدين الأيوبي" لأحمد بيلي المصري . =

خوص النخل وقال : أيها الملك ، هذه مروحة ما رأى الملك ولا واحد من آبائه مثلها . فاغتاظ الملك غيظا شديدا وتناولها منه ، ونظر إليها فإذا مكتوب عليها : [الخفيف]

أنا من نخلة تجاور قبرا ساد من فيه سائر الناس طرا
شملتني سعادة القبر حتى صرت في راحة ابن أيوب أُقرا

فعرف أنها من خوص النخل الذي في مسجد سيدنا رسول الله ﷺ فقبلها الملك ووضعها على رأسه ، وقال للرسول : صدقت[1] . انتهى .

وأهدينا لبعض أصحابنا ساعة كبيرة لمنزله ، وكتبنا معها رقعة قلنا فيها :

أرسلنا إليك ما هو من مقامنا لا من مقامك ، فإن مقامك يجل عن أن يقوم ويسمو عن إهداء مثله عظيم احترامك ، فالساعة آتية والأوقات متناهية ، ولا يبقى إلا الجميل وينال الجزاء الوافر من رضي من الدنيا بالقليل ، فنعيمها لا يبقى والطامع فيه ـ وإن جل ـ يشقى ، ﴿فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ﴾[2] .

* * *

=ترجمته في : وفيات الأعيان ٢/ ٣٧٦، وتاريخ الخميس ٢/ ٣٨٧، وابن إياس ١/ ٦٩، وابن خلدون ٤/ ٧٩ و ٥/ ٢٥٠ ـ ٣٣٠، وابن الأثير ١٢/ ٣٧، والسلوك للمقريزي ١/ ٤١ ـ ١١٤، والإسلام والحضارة العربية ١/ ٢٨١، ٢٩٠ و ٢/ ٢٨٩، وطبقات السبكي ٤/ ٣٢٥، والدارس ٢/ ١٧٨ ـ ١٨٨، ومرآة الزمان ٨/ ٤٢٥، ومفرج الكروب ١/ ١٦٨ وما بعدها . وترويح القلوب ٨٧، ٨٨ وحلى القاهرة ١٠٧ ـ ١٩٤، والنجوم الزاهرة ٦/ ٢ ـ ٦٣ وشذرات الذهب ٤/ ٢٩٨، والأعلام للزركلي ٨/ ٢٢٠.

(١) الكشكول ١/ ١٨٢، وثمرات الأوراق ٦٥.

(٢) سورة لقمان ، الآية : ٣٣.

خاتمة الباب

وتحفة لذوي الآداب

أقول: قد أردنا إيراد جملة مما كتب على تكك السراويل وأطواق النساء العارفات بالأدب والشعر والنثر فأوردنا من ذلك ما هو رائق مستعذب ومطرب مستغرب.

فمن ذلك ما كتبته مهج جارية إسحاق النديم على إحدى ذؤابتيها:

من يكن صبًّا وفيًّا فعناني في يديه

وعلى الذؤابة الأخرى:

خذ خليل بعناني لا أمانعك عليه

وكتبت دينار على تكتها:

أنا قفل من حرير فوق خصر مستدير
أنا لا أفتح إلا عند أوقات السرور

وكتبت لطيفة جارية الفضل بن يحيى على طوقها بحلي الذهب الوهاج: [الكامل]

الحب فيه حلاوة ومرارة فاسال بذلك من تطعم أو ذق
ما ذاق بؤس معيشة ونعيمها في الناس من في عمره لم يعشق

وكتبت زاجر جارية المتوكل على عصابتها بالذهب: [الوافر]

إذا خفنا من القرباء يوما تكلمت العيون عن القلوب
وفي غمز الحواجب مغنيات لحاجات المحب إلى الحبيب

وكتبت حسان البدوية جارية المعتز[1] على برقعها بالذهب: [الطويل]

---

(١) المعتز العباسي (٢٣٢ ـ ٢٥٥هـ/٨٤٦ ـ ٨٦٩م) هو: محمد (المعتز بالله) بن جعفر (المتوكل=

أراقبها خوف المراقب لحظة ... فأشكو بطرفي ما لقلبي من الوجد
فتفهم من لحظي خفي صبابتي ... فنومي بطرف العين إني على العهد

وكتب ماجن على تكتها :

اقطع التكة حتى ... تذهب التكة أصلا
ثم قل للردف أهلا ... بك يا ردف وسهلا

وكتبت دينار على تكتها :

قف واستمع ما قاله ... ملك الهوى لجليسه
تِكَكُ المِلاح يحلها ... من حل عقدة كيسه

وكتب على سراويل :

يا سراويل سيدي ... ليتني تكة لكا

فكتب سيدها حين رأى ذلك :

أنا واله أشتهي ... يا سراويل حلكا

وكتبت فرحة إحدى الجواري لبعض العظماء على خمارها : [البسيط]

=على الله) بن المعتصم : خليفة عباسي (هو أخو المنتصر بالله) ولد في سامراء . وعقد له أبوه البيعة بولاية العهد سنة ٢٣٥ هـ ، وأقطعه خراسان وطبرستان والري وأرمينية وأذربيجان وكور فارس . ثم أضاف إليه خزن الأموال في جميع الآفاق ، ودور الضرب ، وأمر أن يضرب اسمه على الدراهم ، ولما ولي المستعين بالله (سنة ٢٤٨) سجن المعتز ، فاستمر إلى أن أخرجه الأتراك بعد ثورتهم على المستعين . وبايعوا له (سنة ٢٥١) فكانت أيامه أيام فتن وشغب . وجاءه قواده فطلبوا منه مالا لم يكن يملكه ، فاعتذر ، فلم يقبلوا عذره ، ودخلوا عليه فضربوه ، فخلع نفسه ، فسلموه إلى من يعذبه ، فمات بعد أيام شابا . قيل اسمه (الزبير) وقيل (طلحة) . وكان فصيحا ، له خطبة ذكرها ابن الأثير في الكلام على وفاته . قال ابن دحية : كان فيه أدب وكفاية فلم ينفعه ذلك لقرب قرناء السوء منه ، فخلع ، وما زال يعذب بالضرب حتى مات بسر من رأى ، وقيل : أدخل في الحمام فأغلق عليه حتى مات . مدة خلافته ثلاث سنوات وستة أشهر و ١٤ يوما . ترجمته في : الأعلام للزركلي ٦/ ٧٠.

يا راميا ليس يدري ما الذي فعلا أمسك عليك فإن السهم قد قتلا
رميت أسود قلبي إذ رميت فلا شلت يمينك إذ صيرتني مثلا

وكتبت العفراء على تكتها[١] : [مجزوء الكامل]

لم لا أتيه ومضجعي بين الروادف والخصور

وكتبت عنان جارية الناطفاني[٢] على عصابتها بالذهب :

ليس في العشق مشورة .

وكتبت سلامة محظية الأمير عبد الله بن طاهر[٣] :

ليس على القلب حكم .

وكتبت مليحة جارية علي بن هشام على خدها الأيمن :

بالغالية افتضحنا واسترحنا . وعلى خدها الأيسر : امتحنا واطرحنا .

وكتبت سمحاء جارية إبراهيم الموصلي[٤] **على عصابتها بالذهب :**

---

(١) البيت لأبي الحسن البتي ، انظر : بدائع البدائه ص ٨٢، معجم الأدباء ١/ ١٤٠، نشوار المحاضرة ص ٢٨٤.

(٢) عنان الناطفية (٢٢٦هـ/٨٤١م) هي : عنان الناطفية : شاعرة مستهترة ، من أذكى النساء وأشعرهن . كانت جارية لرجل يدعى " لناطفي" من أهل بغداد . وهي من مولدات اليمامة ، وقيل المدينة ، اشتهرت ببغداد . وكان العباس بن الأحنف يهواها . لها أخبار معه ومع أبي نواس وغيرهما . ماتت بخراسان . قال أبو علي القالي : عنان الشاعرة اليمامية ، كانت بارعة الأدب ، سريعة البديهة ، وكان فحول الشعراء يساجلونها فتنتصف منهم . وأخبارها مدونة .
ترجمتها في : الأعلام ٥/ ٩٠.

(٣) هو أبو العباس عبدالله بن طاهر بن الحسين والى الدينور ، كان سيدا نبيلا عالى الهمة شهما وكان المأمون كثير الاعتماد عليه . ترجمته وأخباره فى تاريخ بغداد ١٠/ ٣٤٠، ووفيات الأعيان ٣/ ٨٣.

(٤) إبراهيم بن ماهان (أو ميمون) بن بهمن ، الموصلي التميمي بالولاء ، أبو إسحاق النديم (١٢٥ - ١٨٨هـ) : أوحد زمانه في الغناء واختراع الألحان ، شاعر ، من ندماء الخلفاء ، فارسي الأصل ،=

من كان لنا كنا له .

وكتبت مزنة على عودها :

من نظر إلى سوانا لم يصدُق في هوانا .

وكتبت فرحة جارية علي بن الجهم على عصابتها بالذهب :

من صبر ظفر ومن استعجل حرم وندم .

وكتبت دنانير جارية خالد بن يحيى على حائط بخطها :

النيك على أربعة أقسام :

فالأول : شهوة .

والثاني : لذة .

والثالث : شقاء .

والرابع : داء .

وجرٌّ إلى أَيرين أحوج من أير إلى جرَّيْن[1] .

وكتبت غواشي جارية الإسكافي على جبينها بالعنبر :

ليس من الخلاف ائتلاف وما معه إلا الائتلاف .

=من بيت كبير في العجم ، انتقل والده إلى الكوفة ، فولد بها ، ومات أبوه وهو صغير فكفله بنو تميم وربوه ، فنسب إليهم ، ورحل إلى الموصل فأقام سنة يتعلم الضرب بالعود ، فنسب إليها أيضا ، وأجاد الغناء الفارسي والعربي ، وكانت له عند الخلفاء منزلة حسنة ، وأول من سمعه منهم المهدي العباسي ، ثم حبسه لشربه النبيذ ، فحذق القراءة والكتابة في الحبس ، ولما ولي موسى (الهادي) أغدق عليه نعمه ، وكذلك هارون الرشيد من بعده ، وجعله من ندمائه وخاصته ، واستصحبه معه إلى الشام ، ومرض فعاده الرشيد ، فمات بعد قليل ببغداد ، أخباره كثيرة جدا ، كان ينظم الأبيات ويلحنها ويغنيها . انظر : الأعلام ١/ ٥٨، ٥٩، الأغاني ، طبعة دار الكتب ٥: ١٥٤ ـ ٢٥٨ ومرآة الجنان ١: ٤٢٠، ووفيات الأعيان ١: ٩ وتاريخ بغداد ٦: ١٧٥.

(١) محاضرات الأدباء ١/ ٣٠٥.

وكتبت المستحسنة جارية اللاسقي على خدها الأيمن :

من زار خليله داوى عليله . وعلى الأيسر : من كشف الغطاء استحق العطاء .

وكتبت وساح المريدية :

الوفاء مليح والغدر قبيح .

وكتبت غادر جارية الهادي[1] على عصابتها بالذهب :

عين ترى ، وقلب يهوى ، ووجد يقوى ، وألم يخفى ، وأنت كل المنى .

وكتبت نزهة جارية الخصاص على تكتها :

العقول تتهادى والقلوب تتمادى .

وكتبت بعض الجواري على تكتها :

العقل يعقل ، والشهوة تغري ، ولكن شهوتنا أقوى فتغلب بحيلتنا ولا تدخل علينا الحيلة .

وكتبت أخرى على صدرها :

من زارنا فلا يربطن كيسه ، ومن أراد أن يحظى بوصالنا فلا يبالي أحضر

---

(١) هو موسى (الهادي) بن محمد (المهدي) بن أبي جعفر المنصور ، أبو محمد : من خلفاء الدولة العباسية ببغداد . ولد بالري ، وولي بعد وفاة أبيه (سنة ١٦٩هـ) وكان غائبا بجرجان فأقام أخوه (الرشيد) بيعته . واستبدت أمه الخيزران بالأمر . وأراد خلع أخيه هارون (الرشيد) من ولاية العهد وجعلها لابنه جعفر ، فلم تر أمه ذلك ، فزجرها فأمرت جواريها أن يقتلنه فخنقنه ، ودفن في بستانه بعيسى آباذ . ومدة خلافته سنة وثلاثة أشهر ، وكان طويلا جسيما أبيض ، في شفته العليا تقلص ، شجاعا جوادا ، له معرفة بالادب .

ترجمته في الوزراء والكتاب ، ص ١٦٧ - ١٧٥، ومروج الذهب ٢/٢٥٥ - ٢٦٣، وتاريخ بغداد ١٣/٢١ - ٢٥، والعبر ١/٢٥٧ - ٢٥٨، وتاريخ الخلفاء ٢٧٩ - ٢٨٣، وشذرات الذهب ١/٢٦٦ - ٢٧١.

بشيء أم لم يحضر بشيء، فإنه قد جاء على رغبتنا.

وكتبت أخرى:

من أراد النجاح فليَمِل إلى المِلاح فإنهن رباح، ومن رام تخليص جسمه من الضرر فعليه بالخرد ذوات الغرر، ومن قصد الانتعاش فعليه ببعد الإيحاش.

ومثل هذا كثير جدا وفيما ذكرناه كفاية والله ولي الهداية وبيده العناية.

وحيث انتهى هذا الباب الذي كاد أن يأخذ بالألباب أردنا أن نذكر الأبيات المشتملة على الحل والعقد والتي تقرأ عرضا وطولا فقلنا:

* * *

obeikandl.com

الباب الخامس عشر

في الأبيات المشتملة على الحل والعقد والتي تقرأ عرضا وطولا كما يعلم ذلك لأهل النقد وبعض مواليا به حرف يخدم في أغصانه جميعا كما يعلم ذلك لمن يكون مصغيا سميعا وبعض من القصائد العجيبة والأبيات المطربة الغريبة

ولنقدم أولا ما قدمناه في الترجمة فنقول :

هذه الأبيات المشتملة على الحل والعقد :

١ ـ سيد الرسل صفا در الصفا تاج نور ساطع نسل لؤي
٢ ـ قمر لاح عظيم مشرق حين لا ذنب تقي من قصي
٤ ـ فهو غيث حيث يجري سقيه وصلاح حيث يسقى جوف حي
٧ ـ ورسول وملاذ مكـــرم كنز در خصه مولاه شي
١٥ ـ فيه ظني معط مغن للملا فيقيني كل موضع علي

وبيان ما اشتملت عليه هذه الأبيات الخمسة من كيفية الحل والعقد هو أن تقول لغيرك : أضمر في نفسك حرفا من حروف الهجاء التسعة والعشرين ، فإذا أضمره فاقرأ عليه الأبيات الخمسة واسأله عقب كل بيت منها ، هل وجد فيه ما أضمره أولا ؟

فإن وجد في الكل فاحسب البيت الأول بواحد ، والبيت الثاني باثنين ، والبيت الثالث بأربعة ، والبيت الرابع بسبعة ، والخامس بخمسة عشر ، واجمع الأعداد المذكورة في سرك تبلغ تسعة وعشرين فيكون ما أضمره الحرف التاسع والعشرين من حروف الهجاء ، وهو الياء المثناة التحتية ، فأخبره به .

وإن وجد في بعضه دون بعض، فاجمع أعداد ما وجد فيه فقط، فإذا بلغت عشرا مثلا، فالحرف المضمر يكون العاشر من حروف الهجاء، وهو الراء فأخبره به.

ولو بلغت أحد عشر لكان المضمر الحرف الحادي عشر، وهكذا فافهم.

وهذان بيتان يقرأان طولا وعرضا وبالعكس وهما هذان: [المتقارب]

ألوم حبيبا وذاك محال حبيبا يحب كلاما يقال
وذاك كلام عداه الوصال محال يقال الوصال ينال

وهذه أبيات أيضا تقرأ عرضا وطولا معكوسة وهي هذه:

ليت شعري لك علم من سقامي يا شفائي
لك علم من زفيري ونحولي وضنائي
من سقامي ونحولي يا دوائي أنت دائي
يا شفائي وضنائي أنت دائي ودوائي

وهذه أبيات أيضا يرد فيها العجز إلى الصدور وهي هذه:

زارني محبوب قلبي سحرا سحرا محبوب قلبي زارني
سرني لما تبدي باسما باسما لما تبدى سرني
ينشني كالغصن لينا قده قده كالغصن لينا ينشني
خصني من دون غيري باللقا باللقا من دون غيري خصني
اسكني يا نفس قد زال العنا العنا قد زال يا نفس اسكني

﴿ وهذه أبيات من بحر الموالياجعولة دائرة فيها حرف عين بوسط الدائرة يبتدئ بها قارئ الابيات ويختم بها وهي هذه ﴾

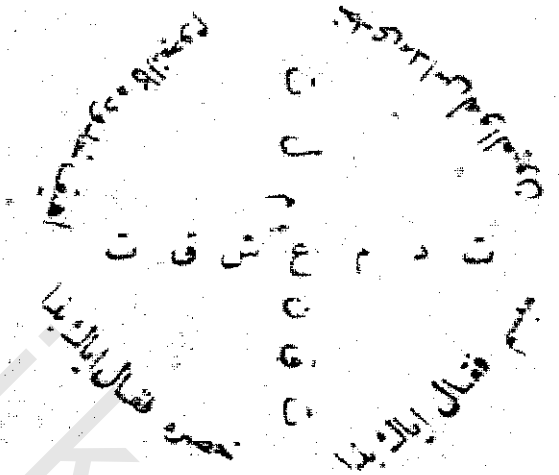

﴿ وهذه أيضا دائرة ثانية مثل الاولى فى الكيفية وان كانت حائية وتلك عينية ﴾

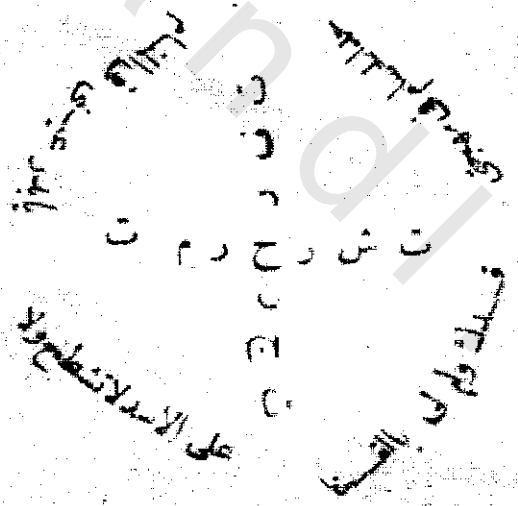

﴿ وقد رأيت ﴾ بيتا مفردا تدور عليه شجرة من الشعر البليغ وذلك البيت فى وسط تلك الشجرة وقد تفرع من كل كلمة من كلماته بيتان كالغصنين أحدهما من جهة اليمين والآخر من جهة الشمال وكل غصن منها ينطق بالكملة وكلمات البيت تخدم على جميع الابيات وتملاؤه وعدوبة اللفظ

أحببنا أن نذكره مع ما فرع عليه (وهو هذا)

ويعجبني أبيات حيدر الرومي بن محمد الرومي اليمني إذ جعل عجز كل بيت منها معكوسا لصدره، فلعذوبته أحببت أن أذكره وهو هذا:

غازلني من أحب حين دنا ... حين دنا من أحب غازلني
يحسبني في هواه غير شج ... غير شج في هواه يحسبني
حين بُني في الفؤاد منزله ... منزله في الفؤاد حين بني
يفتنني بالفتور ناظره ... ناظره بالفتور يفتنني

ومن أبدع هذا النوع وأبلغه أيضا قول بعضهم:

طلعته كالهلال حين بدا ... حين بدا كالهلال طلعته
قامته كالقضيب مائلة ... مائلة كالقضيب قامته
لفتته للغزال مخجلة ... مخجلة للغزال لفتته
لهجته بالخطاب تسحرني ... تسحرني بالخطاب لهجته
نكهته كالعبير إن نفحت ... إن نفحت كالعبير نكهته
وجنته للزهور قد جمعت ... قد جمعت للزهور وجنته
مقلته بالقلوب قد فتكت ... قد فتكت بالقلوب مقلته
ناظره بالسهام كلمني ... كلمني بالسهام ناظره
وا سقمي في هواه وا تلفي ... وا تلفي في هواه وا سقمي
سفك دمي في الغرام يعجبه ... يعجبه في الغرام سفك دمي
وا ندمي من جفاه ذبت أسا ... ذبت أسى من جفاه وا ندمي
يقتلني إن أراد يهجرني ... يهجرني إن أراد يقتلني

ومن هذا النوع أيضا قول بعض الأدباء: [الوافر]

مودته تدوم لكل هول ... وهل كلٌّ مودته تدوم

وقد قيل في الشطرنج الذي يوضع على هيئة الدائرة أو النرد مثلا، وتطرح قطعه السود وتبقى البيض بالعدد المرتب في البيت المشهور وهو هذا:

الله يقضي بكل يسر ويرزق الضيف حيث كان

وطريق معرفة ذلك هو أن تضع الشطرنج أو النرد مثلا كهيئة الدائرة، وتجعل مكان الحرف المهمل قطعة من القطع البيض، ومكان الحرف المعجم قطعة من السود، فإذا تكاملت الدائرة فتعد من أول الدائرة إلى أن تبلغ تسعا من العدد، ثم تأخذ التاسع أي تطرح ما تكمل به العدد، وهكذا إلى أن تفني الجميع من القطع السود، وتبقى البيض فقط فافهم ترشد وهذه القاعدة وإن لم تكن مما نحن فيه لكن لنفاستها وشّحْنا بها هذا الباب وجعلناها وسطه لخيرتها والله الموفق.

ومن القصائد العجيبة المطربة الغريبة القصيدة المشهورة للأديب الأريب من حاز من الأدب أوفر نصيب كمال الدين علي بن محمد بن المبارك الشهير بابن الأعمى[1] في صفة دار كان يسكنها وهي هذه[2]: [الكامل]

دار سكنت بها أقل صفاتها أن تكثر الحشرات من حجراتها
الخير عنها نازح متباعد والشر دانٍ من جميع جهاتها
من بعض ما فيها البعوض عدمته كم أعدم الأجفان طيب سناتها
وتبيت تسعدها براغيث متى غنت لها رقصت على نغامتها
رقص بتنقيط ولكن قافه قد قدمت فيه على أخواتها
وبها ذباب كالضباب يسد عيـ ـن الشمس ما طربي سوى غناتها
أين الصوارم والقنا من فتكها فينا وأين الأُسد من وثباتها
وبها من الخطاف ما هو معجز أبصارنا عن وصف كيفياتها

(١) ابن الاعمى (٦٩٢هـ/١٢٩٣م) هو: علي بن محمد بن المبارك، كمال الدين ابن الاعمى: شاعر، من أهل القاهرة. له "المقامة البحرية".
ترجمته في: فوات الوفيات ٢/ ٨١، وشذرات الذهب ٥/٤٢١ و ٤٤٤، الأعلام للزركلي ٤/ ٣٣٤.

(٢) المستطرف ٢/ ١١٢.

وبها من الجرذان ما قد قصرت ... عنه العناق الجرد في حركاتها
وبها خنافس كالطنافس أفرشت ... في أرضها وعلت على جنباتها
لو شم أهل الحرب منتن فسوها ... أردى الكماة الصيد عن صهواتها
وبنات وردان[1] وأشكال لها ... مما يفوت العين كنه ذواتها
أبدا تمص دماءنا فكأنها ... حجامة لبدت على كاساتها
وبها من النمل السليماني ما ... قد قل ذر الشمس عن ذراتها
ما راعني شيء سوى وزغاتها ... فتعوذوا بالله من لدغاتها
سجعت على أوكارها فظننتها ... ورق الحمام سجعن في شجراتها
وبها زنابير تظن عقاربا ... حر السموم أخف من زفراتها
وبها عقارب كالأقارب رتع ... فينا حمانا الله لدغ حماتها
كيف السبيل إلى النجاة ولا نجا ... ة ولا حياة لمن رأى حيانها
منسوجة بالعنكبوت سماؤها ... والأرض قد نسجتا على آفاتها
واليوم عاكفة على أرجائها ... والدود يبحث في ثرى عرصاتها
والجن تأتيها إذا جن الدجى ... تحكي الخيول الجرد في حملاتها
والنار جزء من تلهب حرها ... وجهنم تعزى إلى نفحاتها
لا تقربوا منها وخافوها ولا ... تلقوا بأيديكم إلى هلكاتها
أبدا يقول الداخلون ببابها ... يا رب نجِّ الناس من آفاتها
قالوا إذا ندب الغراب منازلا ... تتفرق السكان من ساحاتها
وبدارنا ألفا غراب ناعق ... كذب الرواة فأين صدق رواتها
دار تبيت الجن تحرس نفسها ... فيها وتندب باختلاف لغاتها
صبرا لعل الله يعقب راحة ... للنفس إذ غلبت على شهواتها
كم بت فيها مفردا والعين من ... شوق الصباح تسح من عبراتها

(١) دواب . انظر : تاج العروس (و ر د) ، ولسان العرب (و ر د) .

وأقول يا رب السماوات العلى يا رازقا للوحش في فلواتها
أسكنتني بجهنم الدنيا ففي أخرايَ هب لي الخلد في جناتها

وقد رأيت بيتين من اللطائف وها هما :

وإذا نعمة من الله وافت فاشكروه فإنه يستاهل
وإذا ما جلست عند لقاكم فاعذروني في ركبتيَّ دمامل

وجاء نور الدين بن المشرق إلى مصرفي زمن الشتاء فشكى حاله إلى الملك الكامل فنظم له قصيدة وهي من الغرائب وقدمها إليه وهي هذه :

أحسن إلى الرز المفلفل بالتبل ويشتاق قلبي للبسائس بالعسل
وأرتاح إن هبت رياح شرائح وإن حضر اللحم السمين فلا تسل
وإن قدموا نحوي خروفا من الشوى ترى وقعتي فيه ولا وقعة الجمل
أشمر عن كف بخمس أصابع وأبعثه فيه إلى أينما وصل
أميل على الأطراف ميلة هائم وأنزل في الأضلاع مع كل من نزل
وأعمل في الكشكا إذا زاد دهنها ويا فوز من حيا على خير ذا العمل
وأي فتى يشري الدجاج أزوره هو المشتري لكن يصادفه زحل
ورقّاصة في الصحن تطربني إذا تجلت لنا من غارق السمن والعسل
ولوزينج مثل البروق قروصه وكم من هلال في المشبك يا أمل
وإن بخبيص الريح جزتم فبلغوا تحية صب في هواه قد انصطل
فلو سلبت عقلي مشوشة الشتا والله طعام لكشك ما لي به قبل
سكنت بظل الكهف والبرد جائر فيا ليت شمس الأفق عادت إلى الحمل
وكم نظرة منها أروم تقول لن تراني بهذا الفصل وانظر إلى الجبل
وما لي سوى ملك يسابق فعله مقالي وما مَنْ قال شيئا كمن فعل
وإن رمت ما ترجو وتبلغ مقصدا ترد إليه الشمس يوما كما فعل

وقد ألغز أبو الحسن بن التلميذ[1] في **الميزان** فقال :

ما واحد مختلف الأسماء ... يعدل في الأرض وفي السماء
يحكم بالقسط بلا رياء ... أعمى يري الإرشاد كل رائي
أخرس لا من علة وداء ... يغني عن التصريح بالإيماء
يجيب إن ناداه ذو امتراء ... بالرفع والخفض عن النداء

وما ألطف قول إبراهيم المعمار في رجل اسمه حمص أخضر ملانه حيث قال فيه أبياتا اسمه فيها وهي هذه :

أوردت نفسك ذلا ... ورد النفوس المهانة

---

(١) ابن التلميذ (٤٦٥ ـ ٥٦٠هـ/١٠٧٣ ـ ١١٦٥م) هو : هبة الله بن صاعد بن (هبة الله بن) إبراهيم ، أبو الحسن ، أمين الدولة ، موفق الملك ، المعروف بابن التلميذ : حكيم ، عالم بالطب والأدب . له شعر ، كله ملح ولطائف وابتكارات ، في بيتين أو ثلاثة ، وترسل جيد . مولده ووفاته ببغداد . عمر طويلا . وخدم الخلفاء من بني العباس . وانتهت إليه رياسة الأطباء في العراق . وكان عارفا بالفارسية واليونانية والسريانية . وتولى البيمارستان العضدي إلى أن توفي . وكان رئيس النصارى ببغداد وقسيسهم . وهو صاحب الابيات المشهورة ، التي أولها : "بزجاجتين قطعت عمري * وعليهما عولت دهري" من كتبه : "حاشية على القانون لابن سينا" و"حاشية على المنهاج لابن جزلة" و"شرح مسائل حنين" و"شرح أحاديث نبوية تشتمل على مسائل طبية" و"الكناش في الطب" و"الموجز البيمارستاني" ثلاثة عشر بابا ، و"المقالة الأمينية في الأدوية البيمارستانية ـ خ" و"مقالة في الفصد ـ خ" و"مقالة في أصول التشريع عند المسيحيين ـ خ" و"اختيار كتاب الحاوي لحنين" و"اختصار شرح جالينوس لكتاب الفصول لابقراط" و"ديوان رسائل" في مجلد ضخم ، اطلع عليه ابن أبي أصيبعة ، و"ديوان شعر" صغير وأشهر كتبه "الاقرباذين ـ خ" . قال ابن العبري : "سأله ابنه قبل أن يموت بساعة : ما تشتهي ؟ فقال : أن اشتهي !"

ترجمته في : طبقات الأطباء ٢٥٩/١ ـ ٢٧٦ وسماه "هبة الله ابن صاعد بن إبراهيم" خلافا للمصادر الآتية .، وإرشاد الأريب ٢٤٣/٧، ووفيات الأعيان ١٩١/٢ وفيه : "توفي في صفر وقد ناهز المئة" ، الأعلام ٨/ ٧٢.

وبالرشا حزت مالا ملأت منه الخزانة
وكم عليك قلوب يا حمص أخضر ملانه

وقال الأمير أسامة بن منقذ[1] ملغزا في ضرسه وقد قلعه :

وصاحب لا أملُّ الدهرَ صحبته يشقى لنفعي ويسعى سعي مجتهد
لم ألقه مذ تصاحبنا فمذ وقعت عيني عليه افترقنا فرقة الأبد

ومثل هذا كثير فلو أراد الإنسان أن يبحث عن ذلك لجمع منه أبلغ من وقر بعير ، وفي هذا القدر منه كفاية ، والله ولي التوفيق وبيده العناية .

وحيث انتهى هذا الباب وما أوردنا به مما تنتعش به الأذهان وتطرب به الألباب ، أردنا أن نذكر كل ما لاح لنا من الحكايات الظريفة والنوادر المفرحة اللطيفة فقلنا :

* * *

(١) أسامة بن مرشد بن علي بن مقلد بن نصر بن منقذ الكناني الكلبي الشيزري ، أبو المظفر ، مؤيد الدولة (٤٨٨ ـ ٥٨٤هـ) : أمير ، من أكابر بني منقذ أصحاب قلعة شيزر (بقرب حماة) ومن العلماء الشجعان ، له تصانيف في الأدب والتاريخ ، منها : لباب الآداب ، والبديع في نقد الشعر ، وغيرها . ولد في شيزر ، وسكن دمشق ، وانتقل إلى مصر سنة ٥٤٠ هـ ، وقاد عدة حملات على الصليبيين في فلسطين ، وعاد إلى دمشق ، ثم برحها إلى حصن كيفا فأقام إلى أن ملك السلطان صلاح الدين دمشق ، فدعاه السلطان إليه ، فأجابه وقد تجاوز الثمانين ، فمات في دمشق ، وكان مقربا من الملوك والسلاطين ، وله ديوان شعر ، وكتب سيرته في جزء سماه الاعتبار . انظر : الأعلام ١/ ٢٩١، ابن عساكر ٢: ٤٠٠ والبداية والنهاية ١٢: ٣٣١ وابن خلكان ١: ٦٣.

الباب السادس عشر

في ذكر الحكايات اللطيفة والنوادر الغريبة الظريفة التي تفرح بها القلوب وتزول عند تلاوتها الكروب

لاح لنا إبرادها لتزول عن الصدور أنكادها ، وتحصل بها الفكاهة والصفا ، ويبعد عن مطالع كتابنا أدران الجفا

أقول : اعلم أن كل حكاية لطيفة أو نادرة ظريفة تفتق الأذهان وتنبه الجنان ، قال أبو العيناء[1] سمعت الأصمعي يقول : النوادر تشحذ الأذهان وتفتح الآذان .

قالت الحكماء : ينبغي أن يكون الهزل في الكلام كالملح في الطعام .

وفي المعنى قال الشاعر[2] : [الطويل]

أفد طبعك المذوذ بالهم راحة تجم وعلله بشيء من المزح
ولكن إذا أعطيته المزح فليكن بمقدار ما تعطي الطعام من الملح

---

(١) محمد بن القاسم بن خلاد بن ياسر الهاشمي ، بالولاء ، أبو العيناء (١٩١ - ٢٨٣هـ) : أديب فصيح ، من ظرفاء العالم ، ومن أسرع الناس جوابا ، اشتهر بنوادره ولطائفه ، وكان ذكيا جدا ، حسن الشعر ، مليح الكتابة والترسل ، خبيث اللسان في سب الناس والتعريض بهم ، كف بصره بعد بلوغه أربعين سنة من عمره ، أصله من اليمامة ، ومولده بالأهواز ، ومنشؤه ووفاته في البصرة ، قال المتوكل : لولا أنه ضرير لنادمته . فنقل إليه ذلك فقال : إن أعفاني من رؤية الاهلة فاني أصلح للمنادمة ! انظر : الأعلام ٦/ ٣٣٤، وفيات الأعيان ١: ٥٠٤ ونكت الهميان ٢٦٥ وميزان الاعتدال ٣: ١٢٣ ولسان الميزان ٥: ٣٤٤.

(٢) هو البستي ، ديوانه ص ٥٩، ونهاية الأرب ٦/ ٩٧. والظرائف واللطائف والبواقيت في بعض المواقيت ، ص ٢٢٢.

قال أردشير: إن للآذان مجة وللقلوب ملة ففرقوا بين الحكمتين.

قيل: إن بعض الأدباء كتب إلى ابن قريعة[1] القاضي سؤالا وحاصله:

ما يقول القاضي في رجل سمى ولده مداما، وكناه أبا الندامي، وسمى ابنته الراح وكناها أم الأفراح، وسمى عبده الشراب، وكناه أبا الإطراب، وسمى جاريته القهوة وكناها أم النشوة، أينهى عن بطالته أم يؤدب على خلاعته؟

فكتب إليه الجواب بنثر يعجز عن وصفه البديع ومجون لا يلحقه فيه الخليع وحاصله:

لو نعت هذا لأبي حنيفة لجعله خليفة، ولعقد له راية، وقاتل تحتها من خالف رايه، ولو علمنا أنه قد أحيا دولة المجون وأقام لواء ابنة الزرجون بايعناه وشايعناه، وإن تكن أسماء سماها ما له بها من سلطان خلعنا طاعته وفارقنا جماعته، ونحن إلى إمام فعال أحوج منا إلى إمام قوال.

* * *

(١) ابن قريعة (٣٠٢ - ٣٦٧هـ/٩١٤ - ٩٧٨م) هو: محمد بن عبد الرحمن، أبو بكر ابن قريعة - وهو لقب جده: قاض من أهل بغداد، اشتهر بسرعة البديهة في الجواب عن جميع ما يسأل عنه. ودونت (أجوبته) في كتاب أقبل الناس على تداوله، وفيها الظريف المضحك. وهو صاحب البيتين:

لي حيلة فيمن ينم وليس في الكذاب حيلة

وكان مختصا بالوزير أبي محمد المهلبي، ونادم عز الدولة بن بويه، فكان لا يفارقه. وولي قضاء (السندية) وغيرها من أعمال بغداد.

ترجمته في: وفيات الأعيان ١/ ٥١٧، والبداية والنهاية ١١/ ٢٩٢، وتاريخ بغداد ٢/ ٣١٧، والوافي بالوفيات ٣/ ٢٢٧، والأعلام ٦/ ١٩٠.